المحور الثالث

التغطية الإعلامية للحرب وتحليل الخطاب السياسى لأطراف الصراع (الحرب النفسية)

٥ـ المعالجة الصحفية: دراسة مقارنة لجريدتى «الأهرام» و«المصرى اليوم» ..... د. آمال كمال

٦ـ قراءة فى خطاب السيد حسن نصر الله بين بناء نسق وهدم أسطورة ..... أ. نسمة شرارة

٧ـ قراءة فى الخطاب السياسى للسنيورة: الحكومة اللبنانية وأزمة تموز (يوليو) ٢٠٠٦م ..... د. أمانى مسعود

٨ـ دراسة لخطاب إيهود أولمرت:

توظيف الخطاب السياسى فى الحرب النفسية ..... أ. حسام حسن

• التعقيب ..... أ. سعد هجرس ـ د. قدرى حفنى

obeikan.com

obeikan.com

٥ ـ المعالجة الصحفية: دراسة مقارنة لجريدتى «الأهرام» و«المصرى اليوم»

د. آمال كمال(*)

مقدمة

كان عدوان إسرائيل على جنوب لبنان فى يوليو وأغسطس ٢٠٠٦ هو آخر جولات الصراع العربى الإسرائيلى، غير أن هذا العدوان وأداء حزب الله فى مقاومته؛ قد مثلا علامة فارقة فى تطور ذلك الصراع. وقد تابع العالم كله فى السياق الدولى وقائع الحرب والقتال والتدمير، فى بث حى ومباشر عبر المئات من محطات التليفزيون والقنوات الفضائية، ناهيك عن مواقع الإنترنت(١).

وقد أبرزت الحرب الإسرائيلية على لبنان جملة حقائق، بعضها يتصل بالوضع الداخلى وبعضها يتصل بالوضع العربى والإقليمى والدولى؛ بل يتصل بعضها الآخر بطبيعة المواجهة ذاتها وأساليبها وتكتيكاتها ودروسها المستقبلية؛ حيث يرى البعض أن هذه الحرب العدوانية على لبنان تأتى فى إطار مشروع أمريكى/ إسرائيلى متكامل ينفذ حلقاته فى المنطقة، وينتقل من بلد إلى آخر، وأن الحرب ترتبط إلى درجة كبيرة بتعثر المشروع الأمريكى الأصلى فى العراق، والسعى إلى تغطية الفشل الأمريكى هناك، وأن الدور الأمريكى فى هذه الحرب يختلف عن كل الحروب العربية الإسرائيلية السابقة، فالولايات المتحدة لم تكتف بمنح إسرائيل ضوءًا أخضر لشن هذه الحرب، أو اضطرت للتعامل معها بعد اندلاعها كما اعتادت؛ بل كانت شريكًا فيها ومحرضًا عليها وراعيًا لها، إلى درجة أن البعض اعتبر هذه الحرب بالذات حربًا أمريكية تؤديها إسرائيل بالوكالة.

(*) قسم الاتصال الجماهيرى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

كما أثارت الحرب الجدل حول رؤى مجموعة أطراف عربية وإقليمية ودولية مشاركة فيها؛ فقد تولى البعض التهيئة السياسية والإعلامية لهذه الحرب، والبعض الآخر تولى التغطية الضرورية لها، فيما هيأ البعض الثالث نفسه لقطف ثمارها؛ فلم يكن من السهل لحكومة تل أبيب أن تندفع فى حربها الإعلامية لولا أنها كانت مطمئنة إلى مواقف بعض الأطراف العربية، التى أطلق مسئولوها منذ فترة جملة تصريحات ترمى فى النهاية إلى التركيز على مذهبية المقاومة اللبنانية، ومحاولة ربطها بمشاريع مذهبية على مستوى إقليمى.

كما أن هذه الحرب أظهرت مقدرة عسكرية وسياسية وإعلامية متميزة لحزب الله والمقاومة اللبنانية، وأسقطت المقاومة منطق العجز والتذرع بفارق القوة بين العرب وأعدائهم، وعززت فكرة المقاومة على مستوى الأمة[٢]؛ فقد ساعد الإنجاز الذى حققته المقاومة اللبنانية فى إخراج الشعوب العربية من حالة الإحباط واليأس والعجز، وساعد فى عودة التفاؤل إليها وإخراجها من سباتها السابق.. وتجلى ذلك -إضافة إلى أمور أخرى- فى التظاهرات الصاخبة فى معظم العواصم العربية[٣].

• المواقف العربية تجاه الحرب

وقد أثارت هذه الحرب الجدل حول المسئولية وراء نشوبها؛ فقد تباينت الآراء بين من يوجه اللوم للمقاومة ممثلة فى حزب الله بوصفه البادئ والمبادر بخطوة وصفت بأنها غير محسوبة أو مغامرة أسفرت عن حجم هائل من الدمار لحق بالشعب اللبنانى والدولة اللبنانية، وكاد يورط المنطقة بأسرها فى حرب لم تخترها.. وإن أعمال حزب الله غير مسئولة وجاءت فى توقيت غير مناسب، وإنه من الضرورى أن ينسق حزب الله مع الدولة اللبنانية، لا سيما أن مواقفه قد تجر المنطقة إلى حرب كبيرة. ومن الجانب الآخر أشاد البعض بالمقاومة وصمودها وتصديها للعدوان، واعتبر أن عمليات حزب الله ضد إسرائيل مشروعة ولا تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة، وتأتى فى إطار القرارات الدولية فى شأن الكفاح المسلح للشعوب من أجل التحرير.

ونظر فريق ثالث للحرب بأنها تعكس مواجهة غير مباشرة بين معسكر الغرب الأمريكى/ الأوروبى، ومعسكر إيران/ سوريا/ حزب الله[٤].

تعد المواقف الرسمية السعودية والمصرية والأردنية هى أكثر المواقف الرسمية العربية المثيرة للجدل، والتى أثارت العديد من الانتقادات؛ فقد أعلنت السعودية موقفها فى بداية الحرب من خلال البيان السعودى الذى أكد إيمان المملكة بالحق فى مقاومة الاحتلال، ووقوفها بجانب المقاومة المشروعة، وأعلن البيان أن المملكة ترى أنه لا بد من التفرقة بين المقاومة المشروعة وبين المغامرات غير المحسوبة التى تقوم بها عناصر داخل الدولة ومن ورائها، دون الرجوع للسلطة الشرعية فى دولتها، ودون التشاور والتنسيق مع الدول العربية، وأنه قد حان الوقت لكى تتحمل هذه العناصر وحدها المسئولية الكاملة عن هذه التصرفات غير المسئولة، وأن يقع عليها وحدها عبء إنهاء الأزمة التى أوجدتها[٥].

وفى اليوم التالى صدر من القاهرة بيان مصرى أردنى مشترك حذر من انجراف المنطقة إلى مغامرات لا تخدم القضايا والمصالح العربية، ونبه إلى خطورة انزلاق المنطقة نحو أجواء حرب تقوض فرص السلام، وتفتح الباب أمام دائرة جديدة من العنف والتوتر، لا يعرف أحد مداها. وأكد البيان على «ضرورة التزام جميع الأطراف بأقصى قدر من ضبط النفس والمسئولية، وعدم القيام بأعمال تصعيدية غير مسئولة تستهدف جر المنطقة إلى أوضاع خطيرة، وتورطها فى مواجهات غير محسوبة تتحمل تبعاتها دول المنطقة وشعوبها»[٦].

وقد أثارت هذه المواقف العربية الرسمية الكثير من الجدل، ودارت حولها المناقشات؛ مما أشعل الغضب الشعبى العربى؛ ليس فقط احتجاجًا على العدوان الإسرائيلى على لبنان، ولكن أيضًا تنديدًا بالموقف الرسمى العربى المتخاذل من وجهة نظر البعض، وظهرت العديد من الأقلام والكتابات التى تناقش التفرقة بين المقاومة المشروعة والإرهاب، والمحسوب وغير المحسوب فى المقاومة.

وفى هذا الإطار عمت التظاهرات الشعبية شرائح مختلفة من الدول العربية للتنديد بالعدوان الإسرائيلى، والتواطؤ الأمريكى، والتخاذل الدولى والعربى. وطالب الرأى العام الحكومات بضرورة طرد السفيرين الأمريكى والإسرائيلى، وقطع البترول عن الدول الغربية المساندة لإسرائيل، والسماح لهم بالجهاد والتطوع فى صفوف المقاومة المسلحة ضد العدوان الإسرائيلى، هذا فضلاً عن حملات التبرع والإغاثة للشعب اللبنانى.

وقد أصبح دور الإعلام فى تغطية الشئون الخارجية والصراعات والحروب أكثر بروزًا خلال الفترة الأخيرة؛ وذلك نظرًا للانتشار الهائل فى وسائل الإعلام، والتبادل الفورى للمعلومات؛ ومن ثم يكون التساؤل الجوهرى: كيف يتم عمل هذه الوسائل تحت ظروف معينة، واستجابة لعوامل سياسية وثقافية معينة؟ فوسائل الإعلام لديها القدرة على تعريف المواقف وإضفاء الشرعية على أحداث وشخصيات معينة، كما يمكن أن تمارس دور الحث على التعجيل بالسياسات الحكومية فى الشئون الخارجية، هذا فضلاً عن دورها كأدوات دعائية فى مرحلتى صياغة السياسة الخارجية وتنفيذها[٧].

• الإطار النظرى للدراسة ـ تحليل الإطار الإعلامى

يعتبر «تحليل الإطار ـ Frame Analysis» أحد الاتجاهات الحديثة فى دراسات الاتصال؛ حيث يتيح تفسيرًا منتظمًا لدور وسائل الإعلام فى تشكيل الأفكار والاتجاهات حيال القضايا المطروحة. وتعد دراسة كم المعلومات السياسية التى يستقبلها الجمهور من خلال وسائل الإعلام، وطبيعة هذه المعلومات؛ من بين أكثر الموضوعات أهمية فى بحوث الاتصال السياسى. وفى الآونة الأخيرة توجه المزيد من الاهتمام إلى السبل التى من خلالها تؤكد التراكيب الفكرية أو الأسلوبية فى التغطية الإعلامية على توجه معين. وتكمن أهمية الأطر الإعلامية فى تأثيرها على التفسيرات والأحكام التى يصدرها الجمهور على قضايا معينة [٨].

ويعد مفهوم الإطار مفهومًا أساسيًا فى دراسة دور الإعلام فى تشكيل الجدل حول الموضوعات والقضايا المختلفة، ووفقًا لـ «إنتمان ـ Entman 1993» يعنى مفهوم وضع الإطار اختيار بعض الجوانب من الواقع وإبرازها فى النص الإعلامى؛ وبذلك يمكن تدعيم تحديد معين لمشكلة ما، ووضع تفسير سببى لها، وتقييم أخلاقى لها كذلك[٩].

ويتم تشكيل الأطر من خلال الكلمات الرئيسة والوصف المجازى، والمفاهيم، والرموز، والصور المرئية التى يتم التركيز عليها فى سرد الأخبار؛ فمن خلال التكرار والتدعيم لكلمات وصور معينة؛ يتم الإشارة إلى أفكار معينة واستبعاد أخرى؛ ومن ثم تجعل الأطر بعض الأفكار أكثر بروزًا فى النص من غيرها، فى حين تجعل أفكارًا أخرى غير موجودة كليةً؛ حيث يعمل التكرار والموقع وتدعيم ارتباط أفكار ببعضها البعض

على أن يتبقى تفسير واحد أكثر وضوحًا وشمولاً، وأكثر قابلية للتذكر من التفسيرات الأخرى[١٠].

وتشير نتائج الدراسات إلى أهمية الأطر التى تقدم من خلالها الأحداث والقضايا العامة فى تشكيل الرأى العام إزاء الشئون السياسية، وأن هذه الأطر الإعلامية تؤدى إلى غرس رؤى معينة للقضايا السياسية المطروحة، وتحدد تقييمات معينة يستخدمها الجمهور للحكم على أهمية الأولويات السياسية[١١].

وثمة عدة عوامل تمارس تأثيراتها على الأطر الإعلامية، تشمل التأثيرات الأيديولوجية والاتجاهات السياسية للوسيلة الإعلامية، وكذلك العوامل الخارجية التى تتمثل فى الفاعلين السياسيين والسلطات السياسية، وجماعات المصالح والنخب الأخرى فى المجتمع[١٢]، وتمارس وسائل الإعلام دورًا هامًا، من خلال التركيز على أطر معينة فى تشكيل الرأى العام وصياغة اتجاهاته نحو قضايا معينة، كما يمكن حشد التأييد لسياسات معينة، بما يحقق أهداف النخب السياسية فى المجتمع[١٣].

• الهدف

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الملامح الرئيسة للمعالجة الصحفية للحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦، ورصد وتحليل الأطر الإعلامية التى تبنتها معالجات الصحف موضع الدراسة لأحداث الحرب، ومقارنة مدى الاتفاق أو الاختلاف بين مواقف الخطابات الصحفية محل الدراسة من ناحية، وبينها وبين الموقف الرسمى من ناحية أخرى، وذلك فيما يتعلق بأسباب نشوب الحرب والأطراف المسئولة عن اندلاعها، وتوجهات الخطابات الصحفية نحو المواقف السياسية الرسمية المصرية والعربية، ونحو المقاومة اللبنانية، والعدوان الإسرائيلى على لبنان، وموقف المجتمع الدولى حيال الأحداث.

• التساؤلات

١- ما جوانب الاهتمام فى المعالجة الصحفية للحرب فى كل صحيفة، وما مدى الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الجوانب فى كل صحيفة؟

٢- ما مدى الاتساق بين الأطر الإعلامية التى قدمتها كل صحيفة تجاه الحرب الإسرائيلية على لبنان وأسبابها والآثار المترتبة عليها؟

٣- ما الحجج التى تستند إليها كل صحيفة فى تدعيم موقفها تجاه الحرب؟

وما مدى الاختلاف أو الاتفاق بين الصحف فى هذه الحجج؟

٤- ما طبيعة التصورات التى أبرزتها المعالجات الصحفية للحرب على لبنان؟ والأطراف الفاعلة فيها؟

٥- ما مدى وجود اتساق بين الموقف السياسى للدولة وتوجهات الخطاب الصحفى للحرب فى الصحف موضع الدراسة؟

٦- ما هى الإستراتيجيات التى وظفتها الصحف لتدعيم إطار معين وتقديمه للقارئ؟

• منهج الدراسة ـ (المنهج المقارن)

تعتمد الدراسة على المنهج المقارن فى مقارنة المعالجة الصحفية للحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦ فى الصحف موضع الدراسة خلال الفترة الزمنية للبحث، وذلك لمقارنة أوجه الاتساق أو التباين بين الصور التى تقدمها هذه الصحف للحرب وللأطراف الفاعلة فيها، ومقارنة الأطر الإعلامية التى ارتكزت عليها الصحف فى معالجة أحداث الحرب والعوامل المؤثرة فى ذلك.

وفى إطار هذا المنهج اعتمدت الدراسة على عدة أساليب:

(أ) المسح الإعلامى

وذلك لمسح الخطابات الصحفية المتصلة بقضية الدراسة فى الصحف موضع البحث، بهدف استكشاف الأبعاد التى ركزت عليها كل صحيفة، ومكونات الصورة التى أبرزتها للحرب وللأطراف المشتركة فيها.

(ب) دراسة الحالة

تعد دراسة الحالة إستراتيجية بحثية تركز على مفردة قد تكون منظمة أو حدثًا أو قرارًا

obeikan.com

أو سياسة أو جماعة معينة، وتسعى إلى التفسير والبحث وراء الأسباب الكامنة خلف بروز موقف معين؛ حيث تبحث ظاهرة معينة فى إطار السياق الواقعى الذى يفرزها[١٤].
وتساعد دراسة الحالة على التعمق فى دراسة القضية موضع الدراسة (الحرب الإسرائيلية على لبنان) بما تنطوى عليه من ملابسات وردود أفعال وقضايا وأحداث مختلفة؛ مما يتيح إمكانية دراسة الظاهرة، وتحليل العوامل المختلفة المؤثرة فى التناول الإعلامى لها.

• الأدوات البحثية:

(أ) تحليل الخطاب الإعلامى

يستند تحليل الخطاب إلى كون الخطاب الصحفى رسالة إقناعية، تستهدف تثبيت قناعات محددة أو تغييرها، أو تفنيد وجهات نظر مضادة فى مجال حوار تفاعلى تنافسى بين خطابات تستند إلى أطر مرجعية متباينة، وتتنازع فيما بينها بشأن قضية جدلية[١٥].

حيث يتلاءم أسلوب تحليل الخطاب مع طبيعة القضية محل البحث، من حيث كونها قضية خلافية تختلف بشأنها عدة رؤى متباينة، تنتمى إلى سياقات ثقافية مختلفة؛ إذ يفترض تحليل الخطاب وجود علاقة جدلية بين البنية الاجتماعية، وبين الأفعال والمواقف والمؤسسات التى تنبثق منها؛ فالسياق الاجتماعى والمؤسسى يشكل ويؤثر فى الخطابات الصحفية التى تقوم بدورها فى التأثير فى الواقع السياسى والاجتماعى[١٦].

وتتم عملية تحليل الخطابات الصحفية من خلال تحديد الأطروحات والأفكار المحورية التى يعنى الخطاب بتقديمها وتدعيمها، من خلال عدد من الحجج التى يسوقها لتأييد هذه الأفكار والمقولات.

(ب) تحليل مسار البرهنة

تستعين الدراسة بتحليل مسار البرهنة؛ مما يفيد فى رصد الحجج والمبررات والأدلة التى يستند إليها كل خطاب فى معالجة الحرب على لبنان وتطوراتها. ويفيد ذلك فى تحديد البراهين التى يستند إليها الكاتب لإثبات المقولات التى يقدمها فى الخطاب.

(جـ) تحليل القوى الفاعلة

وذلك من خلال تحليل تصور الخطابات الصحفية للقوى الفاعلة فى القضية موضع

الدراسة، ورصد وتحليل الأدوار والصفات المنسوبة إليها فى الخطابات الصحفية موضع الدراسة، ومقارنة هذه الصفات ومدى اتساقها وفقًا لموقف كل صحيفة من الأحداث والأطراف الفاعلة فيها.

• عينة الدراسة

حددت الباحثة عدة معايير لاختيار الصحف، تشمل الاهتمام بالشئون والأحداث الدولية والعربية، وتخصيص مساحات كافية لمواد الرأى، وتنوع أنماط الملكية فى المؤسسات الصحفية التى تصدر عنها بين مؤسسات قومية وأخرى شركات مساهمة؛ ومن ثم تنوع سياساتها التحريرية، والقيم والتوجهات التى تحكم عملية النشر. . وقد أجرت الباحثة دراسة استطلاعية لعدد من الصحف المصرية للتعرف على حجم اهتمامها بالحرب، ومدى التنوع فى المعالجة الصحفية نحوها. . وقد أسفرت هذه الدراسة عن وجود تشابه فى الاتجاهات العامة لتناول الحرب بين الصحف القومية، فى حين اتخذت الصحف الخاصة مواقف متباينة؛ ومن ثم وقع الاختيار على صحيفة الأهرام كصحيفة قومية، والمصرى اليوم كجريدة خاصة(*).

وهذا التنوع يتيح دراسة الأطر المختلفة التى تمت من خلالها معالجة الحرب الإسرائيلية على لبنان، والجدل المثار حولها فى الصحيفتين محل البحث.

• المواد الخاضعة للتحليل

قامت الباحثة بتحليل مواد الرأى فى صحيفتى الدراسة، وشملت المقالات والأعمدة والافتتاحيات، وذلك خلال الفترة يوليو- أغسطس ٢٠٠٦، وهى الفترة التى شهدت الحرب على لبنان منذ بدايتها، وحتى وقف إطلاق النار.

(*) يقصد بالصحف الخاصة؛ الصحف الصادرة عن شركات مساهمة مصرية تأسست وفقًا للقانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦، والذى حدد شروط إصدارها؛ ومن أهمها أنها صحف مصرية يمتلك أسهمها مصريون فقط، كما أنها ليست ملتزمة فى سياستها بالتعبير عن سياسات الحكومة، أو أحزاب أخرى معينة.

• نتائج الدراسة: كثافة اهتمام صحف الدراسة بالحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦

اتسمت المعالجة الصحفية لأحداث الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦ بالكثافة الشديدة، والزخم الإعلامى، والاهتمام المتزايد بأحداث الحرب وتطوراتها، وحجم الدمار الذى خلفته، والمواقف والرؤى المتباينة حولها، والأطراف الفاعلة فيها.

ويلحظ المراقب للأحداث خلال تلك الفترة احتلال أحداث الحرب مقدمة الأجندة الإعلامية، وبروزها عل كافة أولويات الاهتمام بالشئون العامة. وقد برز ذلك الاهتمام من خلال عدد من المؤشرات فى الصحف موضع الدراسة لعل من أهمها:

* الكثافة العددية للمعالجات الصحفية التى تناولت الحرب خلال فترة الدراسة، وكثافة المعالجات التى تهتم بتناول أحداث الحرب على مستوى العدد الواحد.

* تصدرت أحداث الحرب العناوين الرئيسة فى الصحف خلال تلك الفترة، كما احتلت الموضوع الرئيس بالصفحة الأولى فى صحف الدراسة؛ مما يدل على كثافة الاهتمام بالحدث.

* اهتمت كافة الفنون الصحفية بأحداث الحرب ووقائعها، وحجم الخسائر الناجمة عنها، وردود الأفعال حيالها؛ فقد تم تناول الحرب من خلال العديد من الأشكال الخبرية ومواد الرأى على حد سواء، فضلاً عن نشر العديد من التحليلات السياسية المتعمقة، كما خصصت صفحات كاملة لتغطية الأحداث، ولعبت الصور الصحفية دورًا أساسيًا فى نقل أحداث الحرب للقارئ.

* وقد بلغ إجمالى مواد الرأى التى خضعت للتحليل ٢٧٢ مادة رأى، منها ١٥٣ مادة بالأهرام، ١١٩ مادة بصحيفة المصرى اليوم.

أولاً: الخطاب الصحفى تجاه الموقف الرسمى المصرى والعربى من الحرب

١ ـ صحيفة الأهرام

يشير تحليل الخطاب الصحفى لجريدة الأهرام إلى غلبة المعالجات الصحفية المؤيدة للموقف المصرى الرسمى من الحرب؛ حيث نشرت الصحيفة الكثير من المواد الصحفية

التى تؤيد الموقف الرسمى، وترددت ذات المقولات التى برزت فى الخطاب السياسى الرسمى؛ فهى تردد وتعيد إنتاج ذات المفردات والمصطلحات المستخدمة من قبل النظام الرسمى المصرى.

وقد ظهر ذلك جليّا من خلال افتتاحية الصحيفة، ومقالات رئيس التحرير، فضلاً عن بعض مواد الرأى الأخرى؛ حيث أشارت الصحيفة إلى ضرورة تحكيم لغة العقل والمنطق بعيدًا عن الحسابات الضيقة، وأن أى محاولة لجر المنطقة إلى مواجهات غير محسوبة من شأنها أن تحرق أصابع الجميع(١٧).

وأشارت الصحيفة إلى أنه كان لا بد من موقف عربى فاعل يؤسس لتحرك عربى فى مرحلة لاحقة، وأن هذا الموقف جاء من قبل ثلاث دول هى مصر والسعودية والأردن، وتمثل فى ضرورة التفرقة بين المقاومة المشروعة ضد الاحتلال وبين الأعمال العسكرية التى تنطوى على مغامرات تضر بأصحاب القضية أكثر مما تفيد أحد، وأنه لا بد من تنسيق أعمال المقاومة فيما بين الأطراف المختلفة حتى تتوافق الرؤية تجاه العمل المقاوم وتجاه التوقيت(١٨)، وأنه ليس من حق فصيل أو تنظيم واحد أن يتخذ قرارًا منفردًا بعمل عسكرى يمكن أن يجلب كارثة على البلد، وأن لبنان هو الذى يدفع ثمن أخطاء قد ارتكبها البعض باسم الشعب وباسم المقاومة، وانتهزتها إسرائيل فرصة لتحقيق أهدافها(١٩).

اهتم الخطاب الصحفى بالأهرام بالرد على الخطابات الأخرى التى تطالب الحكومات العربية باتخاذ مواقف أكثر حزمًا مع إسرائيل، وأشار إلى أنه عندما تقع الكارثة تنهال الاتهامات على الحكومات العربية التى عليها أن ترضخ لما تريده القوى المغامرة وتنصرها بغض النظر عن حقائق الواقع الإقليمى والدولى(٢٠). وأشارت الصحيفة إلى أن «هذا المشهد لا تجدى معه حالات الصراخ التى يفتعلها البعض لجر الأنظمة العربية التى تمتلك جيوشًا نظامية إلى الانجراف للمشاركة فيه، بحجة النخوة أو النجدة؛ لأنها إذا فعلت ذلك ستقع فى المحظور الذى تنتظره إسرائيل لكى تخرج من المأزق الذى تعيشه.. إننا نعيش صراعًا سوف تهزم فيه كل الأطراف التى تحميها القوة والغرور، ولن ينتصر فيه سوى العقل والحكمة والالتزام بموازين الحق والعدل»(٢١).

وانتقدت بعض المعالجات الدعوات للدخول فى صراعات مسلحة مع إسرائيل: «لم يجد الإخوة فى مصر من يجد حرجًا من تسليم المصير المصرى كله لقرارات تتخذ فى

ضاحية من ضواحى بيروت. . . . فبعض القوى اليسارية والليبرالية لكى تحرز نقطة ديماجوجية فى إحراج النظام على استعداد للقبول بميليشيات سياسية وعسكرية تقوم مقام الدولة، وتتخذ بدلاً منها قرارات الحرب والسلام. . . ولا ننسى أن تاريخ الأمة هو تاريخ من المغامرات غير المحسوبة التى أضاعت أرضها وماضيها ومستقبلها»[٢٢].

«لا شىء غير الحكمة والواقعية يمكن أن يجدى مع هذا الواقع العالمى الجديد؛ فالحكمة والعقل جديران بتحقيق المزيد، ولن تفيدنا الشعارات والمظاهرات. . . وبات من الضرورى أن نفصل بين استجابة الشارع واستجابة الساسة؛ فاستجابات الساسة لا بد أن تستند إلى دراسات وتحليلات أكثر دقة وعمقًا. . . ولكن توسيع نطاق الحرب سوف يزيد الدمار والخراب، ويدخل المنطقة فى نفق مظلم لا يعلم أحد مداه، ولن يكون قرار الحرب قراراً يمليه الشارع المحتقن والمنفعل على الساسة والعسكريين»[٢٣].

وأشارت الصحيفة فى افتتاحيتها إلى أنه جدير بالأطراف أن تستمع لنصيحة مصر؛ حيث دعا الرئيس مبارك إلى عدم الانجراف وراء مغامرات حماسية غير مدروسة دون تقدير للعواقب، وما ستجره على الشعوب من نتائج يدفع ثمنها المواطنون، وأن مصر تعى مسئوليتها، وتأخذ قرارها وفقًا لمصالح الأمة العربية، مع حساب دقيق وتقدير كامل لكل الظروف والعواقب، وأن الدبلوماسية المصرية تحركت لوقف التدهور، وتجنيب لبنان والمنطقة التصعيد غير المحسوب، الذى يجر المنطقة كلها إلى ما لا تحمد عقباه[٢٤].

كما أكد الخطاب الصحفى بالأهرام على إبراز جهود مصر فى وقف العدوان على لبنان، ودعوة مصر للوقف الفورى لإطلاق النار، ودعوتها للمجتمع الدولى للتدخل لحل الأزمة لتجنب المزيد من التصعيد والدمار فى المنطقة[٢٥].

وحرصت الصحيفة على إبراز أن القرار المصرى مستقل ولا يخضع لضغوط أحد، ولا يدخل فى صفقات مع أحد، وأن الدور المصرى هدفه مصلحة المواطنين العرب الأبرياء العزل، وأن محادثات مصر مع السعودية فى إطار حرص الدولة على الاستقرار وعدم انزلاق المنطقة إلى المزيد من العنف، وأن تحرك مصر من منطلق مسئوليتها لحماية لبنان وليس من منطلق محور مصرى سعودى أردنى كما ردد البعض: «تحرك مصر من أجل وقف العنف فى لبنان ليس له علاقة بما يتردد عن قيام محاور جديدة فى الشرق الأوسط؛ لأن الرئيس ليس من أنصار المحاور أو التحالفات». . . «القمة المصرية السعودية تكشف

عن تطابق وجهات النظر، وتؤكد أن أى حديث عن عمل عربى مشترك حقيقى يعنى تحرك القاهرة والرياض، دون أن يعنى ذلك محاور فى العمل العربى؛ فمبارك نفى هذه الفكرة نفيًا قاطعًا؛ فالمحاور تعنى أن هناك جبهات مختلفة أو متصادمة، فى حين أن الأمر لا يخرج عن اختلافات فى التقديرات»[٢٦].

كما اهتم الخطَاب الصحفى فى الأهرام بإظهار وجود اختلافات فى المواقف بين مصر وواشنطن حول وقف إطلاق النار؛ «فمبارك يسعى أولاً لوقف إطلاق النار لتوفير دماء حزب الله وشعب لبنان، أما رايس فتسعى لإطالة أمد الحرب لمنح إسرائيل فرصة تدمير المزيد من قواعد نصر الله ومقاومته»[٢٧]... «كيف يقال إن مصر وأمريكا وإسرائيل واحد؟ إلى هذا الحد وصل البعض إلى أعلى مراحل الخبل؟ هل كفرت مصر لأنها تريد حلا؟ لقد قالت مصر منذ اللحظة الأولى إن الحل إيقاف الحرب، والدخول فى مفاوضات للجلاء عن مزارع شبعا، والإفراج عن الأسرى، والانسحاب الإسرائيلى من غزة، وإيقاف العدوان... فما وجه الاعتراض؟ لماذا السب واللعن وخلط الأوراق؟»[٢٨].

٢ ـ صحيفة المصرى اليوم

يشير تحليل خطاب جريدة المصرى اليوم إلى أن معظم مواد الرأى بالصحيفة اتجهت إلى توجيه الهجوم والنقد الشديد للحكومات العربية، وانتقدت بصفة خاصة الموقف الرسمى المصرى السعودى الأردنى حيال الأزمة، ووصفت الصحيفة الحكام العرب بأنهم «يتبارون فى اتخاذ المواقف المائعة والمتوازية مع مصالحهم التى تتخذ فى واشنطن»[٢٩]. «لم يبق للعرب سوى أن يثبتوا للدنيا أن ما يجرى فى فلسطين والعراق ولبنان مقاومة مشروعة وليس إرهابًا، وبالتوازى مع هذا الخطاب المتواضع تراجعت قوى العرب ميدانيًا.. وها هو المنحنى يهبط أكثر فأكثر؛ لتعلن دولتان عربيتان مثل مصر والسعودية أن ما يفعله حزب الله إنما هو مغامرة غير محسوبة.. هكذا لم يعد العرب يتحملون حتى فكرة المقاومة نفسها؟»[٣٠]، وإن بعض الأنظمة العربية وفرت الغطاء الإسرائيلى لحرب لبنان. وأشارت الصحيفة إلى أن الموقف الرسمى العربى يصيب بالصدمة: «لم نكن نتصور أن النظام الرسمى العربى ينتهى به هذا العجز والشلل إلى تواطؤ صريح مع إسرائيل فى حرب من هذا النوع ضد شعب عربى أعزل؛ فلا جدال فى أن التصريحات التى حاولت إلقاء اللوم على حزب الله، واعتبرت عمليته العسكرية مغامرة غير محسوبة العواقب؛ كانت غير

موفقة على الإطلاق وغير ملائمة من حيث توقيتها، وأنها ساعدت إسرائيل على تجاوز كل الخطوط الحمراء»[٣١].

وانتقدت الصحيفة الموقف المصرى من الأحداث، واعتبرت: «... إننا بلا دور وبلا تأثير وندور فى الفراغ، وهذا الفراغ يحلو للبعض أن يسميه حكمة واتزان»[٣٢]. وانتقدت تصريحات رئيس الوزراء المصرى بأن مصر لا تستطيع خوض حرب مع إسرائيل[٣٣].

وعبرت الصحيفة عن الشعور بالعجز العربى: «... فى انتظارنا المزيد بعد أن أصبحت ردود أفعالنا معروفة مقدمًا؛ تبدأ بالاستنكار والحسرة والتنديد، ومناشدة الصهاينة الضرب مع عدم استخدام القوة المفرطة»[٣٤].

وتساءلت الصحيفة: ما سر هذا الصمت الرهيب وكل هذه التنازلات التى نقدمها بلا حساب؟ لماذا يقبل حكامنا استباحة إسرائيل لهم ولنا، وإصرارهم على استضعافنا وانتهاك كرامتنا؟..[٣٥].

واهتمت الصحيفة بتفنيد الموقف المصرى الرسمى، والرد على الحجج التى يطرحها فى مواجهة من يتهمون النظام المصرى بالتخاذل عن اتخاذ موقف واضح من العدوان الإسرائيلى على لبنان بالقول: «إننا لن نتورط فى حرب ضد إسرائيل، ويقاتل جنودنا نيابة عن الآخرين». وترد الصحيفة أنها حجة فى غاية الغرابة؛ فلم يطالب أحد مصر بإعلان الحرب على إسرائيل، وأن هذه الحجة لم تقنع الشعب بتقبل الموقف الرسمى الذى لم يدن الجرائم الإسرائيلية والتأييد الأمريكى لها بعبارات واضحة[٣٦].

كما استنكرت الصحيفة تأخر التصريحات الصادرة من مجلسى الشعب والشورى بعد مرور ٢٢ يومًا على قيام الحرب، واستنكرت تصريحات وزير الخارجية أمام لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشورى، التى أشار فيها إلى «أن العرب لن يحاربوا بالدماء المصرية»، وقللت من التحركات الرسمية بأنها لا تخرج عن تحذير سوريا من التورط فى هذه الحرب ودعوتها للتخلى عن المقاومة اللبنانية[٣٧].

ودعت الصحيفة الدولة المصرية للقيام بدورها الإقليمى للدفاع عن الأمن القومى، وحذرت من تآكل الدور المصرى، وطالبت بحسن إدارة وتوظيف كل ما نملكه من أوراق فى سبيل أن تبقى القاهرة قبلة لكل من يبحث عن حلول لمشكلات يمر بها الشرق الأوسط[٣٨].

وعلق البعض على التصريحات الرسمية المصرية بأنها غير موفقة واستفزت الكثيرين، وأنها تعكس اتساع الهوة بين المواقف الرسمية والمواقف الشعبية[٣٩].

وتساءل البعض عن السبب وراء كل الأموال المهدرة على العسكرة بدلاً من التنمية طالما لا نملك سوى شعار السلام والاستسلام الإستراتيجى الشهير منذ قمة بيروت ٢٠٠٢، وأننا أصحاب حكمة وعقل وتعقل، ولسنا من هواة المغامرة والمقاومة والدفاع عن شرف الأمة[٤٠].

واهتم الخطاب الصحفى بالمصرى اليوم بالرد على الخطابات الأخرى المؤيدة للموقف الرسمى، وانتقد تلك الآراء التى تطلب التعقل والنظر إلى حساسية الأوضاع الاقتصادية المصرية: «يرون فى الصمت على مجزرة قانا اختباراً لصلابة الليبرالية العربية فى مواجهة صراخ الفاشية الأصولية... لا تهز مشاعرهم الليبرالية الأشلاء تحت الأنقاض، ولا يحسون بالدماء تنزف وكأن ما فى عروقهم ليس دمًا عربيًا... دوركم مقصود.. إشاعة الوهن فى جسد الأمة»[٤١].

ثانيًا: موقف صحيفتى الدراسة من العملية التى قام بها حزب الله

١ ـ صحيفة الأهرام

أفردت صحيفة الأهرام مساحات واسعة على صفحاتها لمناقشة الجدل حول العملية التى قام بها حزب الله من أسر جنديين إسرائيليين، وقتل ثمانية أفراد، وما أسفرت عنه من العدوان العسكرى على لبنان. ونشرت الصحيفة العديد من مواد الرأى التى ناقشت العملية ودلالاتها وما تسفر عنه، وتقييم مدى إيجابياتها وسلبياتها، والعوامل والقوى الكامنة وراءها.

وتراوحت الخطابات الصحفية بين معارض وناقد لتلك العملية (بنسبة ٤٠٪) وبين مؤيد لها (بنسبة ٦٠٪ من جملة مواد الرأى التى تناولت العملية)، وتمثلت وجهات النظر المعارضة للعملية فى أنه ليس من المنطق وضع الدولة اللبنانية وكذلك الدول العربية أمام أمر واقع يحتم عليها أن تختار إما أن تؤيد سياسة الكمائن التى ينفذها حزب الله دون استشارة أحد، وإما ترفض فتصبح خائنة للعروبة والإسلام والمقاومة: «أليس من الغريب أن يتجاهل حزب الله مجرد إبلاغ الحكومة اللبنانية بالعملية مسبقًا ثم يطالبها أن تبصم على

صحة إستراتيجيته . . . عندما تتحول المقاومة إلى أداة لإعطاء العدو ذريعة لانتهاك سيادة الدولة تتوقف تمامًا عن أن تكون مقاومة»[٤٢].

وتساءلت الصحيفة هل من حق نصر الله أن يعلن الحرب على إسرائيل ثم يوجه رسالة عتاب إلى العرب، وهو لم يشاورهم أو ينسق معهم فى قراره، وأن هذا الوضع جعل من حزب الله وكأنه دولة داخل الدولة يتصرف من تلقاء نفسه فى قرارات مصيرية مثل الحرب والسلام، وأنه لا بد أن تفرض حكومة لبنان سيطرتها على كل التراب اللبنانى، وتنهى وضع الدولة داخل الدولة الذى يمثله حزب الله حتى لا يتصرف منفردًا ويورط البلد والمنطقة فى مأزق آخر[٤٣].

وأشارت بعض مواد الرأى أن السلام السيئ قد يكون أفضل من المقاومة بغير قدرات تكافئ القوة العسكرية الإسرائيلية، وتجلب الدمار للبلاد العربية، وتهدر القدرات وتغلق كل مجالات التأييد، وأن نصر الله وغيره أعطوا لإسرائيل الذريعة التى كانت تنتظرها لكى تنفذ خطتها هى وتفرضها بالقوة والعدوان وجلبوا الخراب على المنطقة[٤٤].

ونبهت الصحيفة إلى أن أخطر ما فى الأمر أن أطرافًا إقليمية أولها إيران صارت تستطيع أن تشعل الحرب فى المنطقة العربية، كما أن الميليشيات المسلحة أصبح بينها تنسيق سياسى وعمل يتجاوز الحدود الوطنية، وأنه وراء عمليات الاختطاف عقلية واحدة أو عقيدة واحدة تقول إن دفع الأمور إلى حافة الهاوية هو أفضل أسلوب للخروج من المصاعب الحالية[٤٥].

وأشارت بعض الخطابات إلى أن توقيت العملية يشير إلى ضلوع إيران فى الأزمة:

«ما تريده إيران وحليفتها سوريا وحزب الله ذراعهم فى المعركة ليس سوى إشاعة الفوضى فى المنطقة» . . ورأى البعض أن حزب الله هو واجهة تقف خلفها إيران وسوريا، وأن إيران استخدمت حزب الله ضد إسرائيل[٤٦].

ومن الجانب الآخر أفسحت الصحيفة المجال لتوجه آخر يشيد بالمقاومة وبالعملية التى قام بها حزب الله، ويرى أنها جزء من المقاومة المشروعة، وأن القوانين الدولية تكفل هذا الحق؛ حيث وقع الأسر على أرض لبنانية محتلة، وأن هذه العملية رفعت الروح المعنوية للمقاومين، وهبطت بالروح المعنوية الإسرائيلية، وأنه إذا كانت إسرائيل تشن حربًا لاستعادة جنديين أسيرين فلماذا يحرم حزب الله من أن يفعلها من أجل مقاتليه الأسرى.

ورأت بعض المعالجات الصحفية أن هذه العملية تكتسب شرعيتها من ثلاثة أمور: **أولها:** أنها هجوم ضد موقع عسكرى فى أرض محتلة، **وثانيها**: أنها باتت خياراً لا بديل عنه لإطلاق الأسرى اللبنانيين، هذا فضلاً عن أن إسرائيل رغم سحب قواتها من لبنان فإن تطبيقها للقرار ٤٢٥ ظل منقوصًا بسبب تمسكها بالأرض والأسرى، **فضلاً** عن أنها لم تتوقف عن عدوانها على المجال الجوى اللبنانى[٤٧].

ومن جانب آخر اتخذت بعض الخطابات موقفًا وسطًا؛ حيث ترى أنه على الرغم من أن الأمر كان يتطلب حسابات أكثر دقة للموقف من قيادة حزب الله، لأن الحرب المفتوحة ستكون فى صالح إسرائيل؛ إلا أن العملية لا تتجاوز أعمال المقاومة المشروعة، رغم نزعة المغامرة فيها، وأنه قد يكون حزب الله أساء التوقيت، وربما تداخلت عناصر أخرى، ولكن ذلك لا يبرر انقسام الدول العربية، ولا يبرر أن ينفرط عقد لبنان بدعوى محاكمة حزب الله[٤٨] وأن ما قد يقوم به الطرف المجنى عليه من خطوات غير محسوبة قد تسهل مهمة إلصاق التهمة به، ويعطى للجانى مبررات للمضى فى تزييف الحقيقة بهدف إثارة حفيظة الجماعة الدولية ضده[٤٩].

ودافعت بعض الخطابات عن المقاومة؛ حيث أشارت أنه رغم الانتقادات لممارسات حماس وحزب الله؛ ولكن لا يجب أن ننزع عنهما شرف المقاومة، ولا ينبغى أن نوجه لهما اتهامات طائشة بأنهما تسببا فى هذه الحرب[٥٠]. وأشارت بعض المعالجات الصحفية إلى أن سلاح حزب الله هو الذى أكسب المواجهة مع إسرائيل قيمة ومذاقًا حينما طرح حيفا مقابل الضاحية الجنوبية.. ويكفى أن هذا السلاح خاض وحده معركة الكرامة المفقودة للأمة العربية كلها وليس لبنان وحده، وتساءل البعض: ما الذى يفعله حزب الله للإفراج عن مقاتليه بعد خمس سنوات من خروج إسرائيل؟ هل يعتمد على الحكومة اللبنانية أم المنظمات الدولية؟ هل يشكو للأمريكيين؟[٥١].

ودافعت بعض مواد الرأى عن حزب الله، وردت على من ينتقده بأنه كان سيجد الحجج اللازمة لتبرير العدوان الإسرائيلى، وإدانة حزب الله حتى لو تم العدوان بدون قيام حزب الله بعملية أسر الجنديين، وبررت ذلك بأنه سبق لهؤلاء إدانة عمليات الحزب ضد قوات الاحتلال فى جنوب لبنان قبل انسحابه منها، وسلم هؤلاء الكتاب للولايات المتحدة بالحق فى شن الحرب الاستباقية حين كرسوا أنفسهم للدفاع عن أكاذيبها حول أسلحة الدمار الشامل. وأشار الخطاب المؤيد لحزب الله إلى أن صمود الحزب فى وجه العدوان أكسبه

مساندة من الشارع العربى وأثبت امتلاكه تقنية عالية كحركة مقاومة تتمتع بطول النفس وسرعة الحركة[٥٢].

٢ ـ صحيفة المصرى اليوم

أسفر تحليل خطاب صحيفة المصرى اليوم عن غلبة المعالجات الصحفية التى أيدت المقاومة اللبنانية ودافعت عنها، وأشادت بصمودها تجاه العدوان الإسرائيلى، وفى الوقت ذاته قامت بتفنيد الخطابات المعارضة للعملية التى قامت بها، على أساس أنها جلبت الدمار على لبنان، هذا بينما كانت مواد الرأى المنتقدة لحزب الله ضئيلة للغاية. ويشير التحليل إلى أن الخطاب الصحفى وصف حزب الله بأنه ليس تنظيمًا شيعيًا بقدر ما هو تيار عربى مقاوم، خطابه السياسى كان أقل الخطابات استخدامًا للنعرة الطائفية على الساحة اللبنانية، وأنه ارتبط منذ لحظة قيامه بفكرة مقاومة المشروع الصهيونى، وأن خطابه الاجتماعى والعقائدى كان متفتحًا ومنفتحًا على الآخر، وأنه فعل أكثر مما تكلم، ويتمتع بقيادة تحظى بقبول وثقة وإجماع الشعوب العربية... وأن حزب الله أثبت أن المقاومة المسلحة هى الإستراتيجية الوحيدة القادرة على هزيمة المشروع الصهيونى، والتفاف الشعوب العربية حولها هو الضمان الوحيد لنجاحها فى تحقيق غاياتها[٥٣].

وتشير النتائج إلى تعدد الحجج التى ساقها الخطاب الصحفى للمصرى اليوم وراء تأييده المقاومة اللبنانية؛ منها:

* تحميل حزب الله وأمينه العام المسئولية عما حدث أمر يحمل فى طياته تبرئة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ومشروع الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة من المسئولية الفعلية عما يجرى فى لبنان وفلسطين: «كل الذين قاموا بإلقاء اللوم على حزب الله وتحميله مسئولية ما جرى قدموا لإسرائيل خدمة جليلة، ووفروا لها مظلة عربية تحتاجها لتبرير همجيتها»[٥٤].

* إن التمسك بالعقلانية لا يقدم جديدًا على أى صعيد، ولا يفعل إلا تقديم المبرر تلو الآخر للخضوع والتسليم بمشروع الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية على المنطقة... فتحت ستار العقلانية يتم تسويق العجز والقصور فى السياسات العربية: «لو تمسكت أى مقاومة بهذه العقلانية الباردة والحسابات الجامدة الكمية للقوة؛ لما عرف تاريخ العالم مفهوم المقاومة أصلاً، ولبقيت الأحوال على ما كانت عليه؛ أى سيادة الأقوى على الأضعف»[٥٥].

* وإذا كانت إسرائيل تستدعى كل قوتها انتقامًا لأسر حزب الله أو إحدى الفصائل الفلسطينية اثنين أو ثلاثة من جنودها؛ أفلا يحق منطقيًا للفلسطينيين أو حزب الله أن يستعملوا كل قوتهم للإفراج عن العشرات بل الآلاف من الأسرى فى السجون الإسرائيلية؟ وإذا كان لإسرائيل الحق فى الدفاع عن نفسها كما يقول الأمريكيون؛ فأين حق الفلسطينيين واللبنانيين؟ أم أن ما يحق لإسرائيل لا يحق لطرف عربى؟(٥٦).

وأشادت بعض الخطابات الصحفية بالمقاومة اللبنانية، وأن نصر الله أربك بقيادته حسابات العدو الإسرائيلى، ونجح فى إرباك المبهورين بالنموذج الأمريكى، وأن إسرائيل مجرد قوة عسكرية لا تقدر على تحقيق انتصار على الأرض فى حالة المواجهة (٥٧)، كما أضافت الصحيفة أن صمود المقاومة وقيادة السيد نصر الله لها أربك كلا من واشنطن وتل أبيب، وأسقط حساباتهم التى تجهل تاريخ المنطقة وثقافتها وتراثها. . وظهر للعيان أن المغامرة أمريكية/ إسرائيلية وليست لبنانية من جانب المقاومة(٥٨). «جاءت ما سموها مغامرة نصر الله لتحدث للمرة الأولى -فى أطول حرب خاضتها إسرائيل- خلافًا بين جيش وحكومة إسرائيل؛ يطالب الجيش الساسة بقرار سياسى بوقف الحرب كى لا يعلن فشله، ويتهمه السياسيون بحكومة أولمرت بالفشل وعدم إحراز نصر يقوى موقفهم التفاوضى»(٥٩).

ورأى البعض أنه على الرغم من التكاليف الباهظة للعملية التى قام بها حزب الله على الشعب اللبنانى؛ إلا أنه لا يمكن إدانتها «إلا إذا كانت إسرائيل دولة طبيعية تحترم القانون، ولا تمارس بحق الشعب الفلسطينى أسوأ صور التنكيل والبطش التى مارستها دولة احتلال فى العالم، وفى ظل صمت عربى ودولى وصل إلى حد التواطؤ مع هذه الجرائم»(٦٠).

ومن الجانب الآخر كانت الآراء الناقدة لعملية حزب الله ضئيلة للغاية، وترى أنه لا يمكن إدانة حزب الله وحده فى ظل الممارسات الإسرائيلية وخرقها للمواثيق الدولية، وفى ظل فشل العرب عن القيام بدور فاعل فى استعادة الحقوق العربية؛ فوصفت هذه العملية بأنها «صرخة احتجاج على ما يجرى فى الأراضى الفلسطينية، ولكنها لم تمثل تحولاً نوعيًا فى ساحة المواجهة العربية ضد إسرائيل. . إنما جاءت صرخة منفردة لا تضيف إلى الواقع العربى شيئًا، وستزيد الواقع اللبنانى انقسامًا. وإذا كان من الوارد تفهم الرأى الذى يرفض عملية حزب الله نتيجة الثمن الباهظ الذى يدفعه اللبنانيون؛ فإن الرفض والتحفظ لا بد أن

يكون أكبر على أداء الحكومات العربية المعتدلة، التى فشلت أن تستثمر ساحة السلم فى بناء اقتصاد قوى، وديموقراطية مزدهرة، ووزن واحترام دولى»[٦١].

وعلى خلاف خطاب صحيفة الأهرام؛ فلم يظهر الاتجاه الذى يرى أن إيران وراء عملية حزب الله فى الخطاب الصحفى للمصرى اليوم إلا فيما ندر، ويرى هذا الاتجاه أن من الأهداف التى دفعت حزب الله لتنفيذ العملية غير المدروسة هو تخفيف الضغط الدولى على إيران بسبب مشكلة الملف النووى.

وتساءل أصحاب هذا الاتجاه: هل من أجل لعبة سياسية لصالح إيران يغامر حزب الله بتدمير نصف لبنان الجنوبى؟ وهل من أجل إيران يخسر العرب قوة المقاومة الوحيدة فى المنطقة والمؤثرة فى إسرائيل؟ لماذا لم يزن حزب الله الأمر هذه المرة بميزان حساس ـ كما كان يفعل فى كل عملية مقاومة ـ ويعرضنا لهذه الخسارة الإستراتيجية؟ هذا الخطاب الإستراتيجى لحزب الله سيترتب عليه أن يتفتت لخلايا مقاومة صغيرة، وتنهار القوة العربية التى لا تزال لديها القدرة على المواجهة العسكرية المحدودة مع إسرائيل[٦٢].

ثالثا: موقف صحيفتى الدراسة من العدوان الإسرائيلى على لبنان

١ ـ صحيفة الأهرام

هاجم الخطاب السياسى لجريدة الأهرام الحرب الإسرائيلية على لبنان، واعتبرها حربًا مفتوحة تهدف للقضاء على جميع عناصر المقاومة المشروعة لاستمرار احتلالها للأرض العربية بالقوة، وأنها تحسم من خلالها كل صور المقاومة، وتضع البداية الحقيقية للتعامل مع العالم العربى من منطلق فرض الأمر الواقع. وشبهت الصحيفة السياسة الإسرائيلية بتلك التى انتهجتها ألمانيا النازية لغزو أوروبا، وأن هذه الحرب تتجاوز بكثير الرد على عملية حزب الله[٦٣].

وأشارت مواد الرأى بالصحيفة إلى أن إسرائيل تمارس شتى جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، وتمارس انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وبررت هذه الخطابات تلك المقولة بعدد من الحجج، منها أن جوهر هذه الحرب إلحاق عقاب جماعى بالغ القسوة للسكان المدنيين، بذريعة أتفه من أن يعطيها أى عاقل قيمة تذكر؛ وهى أسر جنود إسرائيليين،

وتدمير ما بناه الشعبان الفلسطينى واللبنانى عبر عقود طويلة . . . وهى من نفس نمط الحروب القذرة التى تندرج تحتها مثلاً حروب المغول بقيادة جنكيز خان وحروب التتار بقيادة تيمور لنك «وأن ما تم ارتكابه من أفعال تشكل جرائم ضد الإنسانية وانتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان، وتتمثل فى القتل العشوائى المستمر للسكان المدنيين، وفى تدمير البنية الأساسية التى تقوم عليها حياة الإنسان، وفرض عقاب جماعى مفرط فى القسوة على السكان المدنيين»(٦٤).

كما انتقدت بعض الخطابات الصحفية بالأهرام رد الفعل الإسرائيلى، واعتبرته لا يتناسب مع ما قام به حزب الله؛ مما يوحى أن إسرائيل كانت لديها خطط جاهزة للانقضاض على لبنان، وأن ما يجرى هو مشهد من مشاهد معدة ومدبرة وجارية على قدم وساق . . إنها حرب الإبادة فى لبنان، وإن السرعة البالغة التى ردت بها إسرائيل على عملية أسر الجنديين والقوة البالغة التى تحركت بها، والأهداف المنتقاة التى دُمرت؛ كل ذلك يؤكد أن السيناريو كان معدًا وينتظر لحظة الانطلاق(٦٥).

وأشار بعض الكتاب فى صحيفة الأهرام إلى أن سبب القصف الإسرائيلى لا يرجع فقط إلى فاجعة اختطاف الجنود، ولكن يرجع إلى المفاجأة التى أذهلت القادة الإسرائيليين من هذا التحول النوعى فى تكتيك المقاومة التى ابتعدت عن قتل المدنيين إلى أسر العسكريين، فى عملية اتسمت بالبراعة والحرفية، وأن هذه العملية كشفت عن درجة عالية من الجرأة والخيال، وقدمت الدليل على أن إسرائيل وبالرغم من آلتها العسكرية الهائلة منكشفة أمنيًا أمام المقاومة، وأن هدف العمليات العدوانية فى الداخل الفلسطينى «تحت وهم أن الاستخدام المفرط للقوة كفيل بمحو عار الخيبة والانكسار أمام المقاومة العربية»(٦٦).

وأكدت معظم الخطابات الصحفية على أن الاحتلال الإسرائيلى هو السبب الرئيس، «وهو الذى أضعف تيار الاعتدال العربى، وساعد على نمو جماعات المقاومة، ونشوء قوى التطرف، وهو الذى عمق كراهية العرب والمسلمين، وأن المسئول عن كل ما يحدث هو استمرار استخفاف إسرائيل بالمطالب العربية المشروعة، والإفراط فى الرهان على عدم قدرة العرب على تحدى الأمر الواقع»(٦٧).

ومع تصاعد العمليات العسكرية فى لبنان وتوالى الأحداث والمشاهد المأساوية فى الأراضى اللبنانية؛ انتقد الخطاب الصحفى التوسع الإسرائيلى فى استخدام قنابل من نوع

غير مصرح باستخدامه، وأن ذلك يتناقض مع الأعراف الدولية، وأن مكمن الخطورة أن المشاهد المأساوية فى لبنان لا تمثل فقط انتهاكات جسيمة لأحكام اتفاقية جنيف؛ بل تمثل أيضًا صورًا تترسخ فى وعى الشعوب وذاكرة الأطفال؛ لتبث فى نفوسهم قدرًا لا ينبغى الاستهانة به من الشعور بالمرارة والظلم والإهانة، وهو شعور كفيل بتوليد طاقة متجددة من الغضب والكراهية فى نفوس البشر، وأن هذه القوات تواجه مأزقًا شديدًا؛ حيث عاود الحديث عن الخوف من التورط فى المستنقع اللبنانى؛ نتيجة صمود حزب الله، وأن المعارك البرية كشفت عن فشل أجهزة التخابر العسكرية فى كشف خطط مقاتلى حزب الله وخطوطهم الدفاعية، وأن العسكريين الإسرائيليين يتصرفون بعد معركة بنت جبيل مثل «الذئب الجريح تسيرهم أوهام العجرفة والغطرسة وغريزة الانتقام، فى محاولة لاسترداد سمعة الجيش الإسرائيلى».

كما عبرت بعض الكتابات عن أن صواريخ حزب الله فى حيفا والشمال الإسرائيلى قد «أثلجت صدور الشعوب العربية التى أسقمتها منذ زمن الدعاية الصهيونية؛ فمنذ عام ١٩٧٣ وإسرائيل تَضرب ولا تُضرب»، وإن قصف حزب الله للمدن الإسرائيلية «إشارة تنذر بكل جسارة أن أىَ عدوان قادم على أمتنا لن تكلله سلامة الإياب؛ وذلك أن الفريسة نبتت لها مخالب وأنياب»[٦٨].

٢ ـ صحيفة المصرى اليوم

اتفقت صحيفة المصرى اليوم مع الأهرام فى توجيه الهجوم والانتقاد الشديد للعدوان الإسرائيلى على لبنان، وأعربت عن استنكارها للممارسات الإسرائيلية الوحشية فى لبنان، والتى أدت لتدمير البنية التحتية والعودة بها لسنوات طويلة للوراء.

وتساءلت الصحيفة عن أهداف إسرائيل من وراء شن هذه الحرب، ومدى قدرتها على توجيه هذه الضربة الشاملة دون مشاركة من جانب الولايات المتحدة، وارتباط أهداف الدولتين فى هذه الحرب. . وانتقدت الصحيفة الخيار العسكرى، وأنه لن يحقق الأمن للإسرائيليين، وأبرزت مساوئ التصعيد العسكرى على المنطقة: «هكذا تتحول المنطقة بأسرها إلى مكان آمن لا عنف فيه ولا سفك لدماء بعد أن تكون القوات الإسرائيلية قد أجهزت على الجنس العربى كله فى حرب إبادة عادلة».

وأشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل التى قدمت لها الدول العربية كل مبادرات السلام لها أهداف أخرى ليس من بينها العيش بسلام: «إسرائيل أقنعت ملايين العرب بأنها دولة عنصرية أهدرت كل فرص السلام على الأرض، وأنها خرجت من نطاق السياسة إلى نطاق المطلق النازى بالاستهانة الإنسانية». ووصفت الصحيفة العدوان الإسرائيلى بأنه عدوان بربرى، يتعدى فى أبعاده مسألة رد الفعل التلقائى لأسر جنديين إسرائيليين، ولكنه وثيق الصلة بتواصل توظيف المعطيات والبيئة الدولية والإقليمية لصالح تنفيذ القرار الدولى ١٥٥٩، وإن تعجل إنهاء حزب الله والمقاومة يرجع إلى المخاوف من استمرار وجودهما وتعزيز مكانة إيران الإقليمية(٦٩).

وأشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل منذ بدء القتال خسرت عدة أمور فى تفكيرها الإستراتيجى؛ منها أن حزب الله أثبت أنه بوسع جماعة قتالية عربية مدربة أن تدخل حدود إسرائيل، وتدير معركة محدودة ضد جيشها، وأن صواريخ حزب الله أضافت لبنة قوية فى سبيل القضاء على الحدود الآمنة التى بذلت إسرائيل جهداً فائقا فى سبيل الحفاظ عليها، هذا فضلاً عن تثبيت الصورة القبيحة للآلة الحربية الإسرائيلية، مع انكشاف إسرائيل جغرافيّا وإستراتيجيّا(٧٠).

وأضافت الصحيفة «أن ثمة قاعدة قانونية وأخلاقية تتمثل فى وجوب أن يكون رد الفعل متناسبًا مع حجم الفعل الأصلى، والعقوبة مع حجم الجريمة ونوعها، فى حين أسفرت الحرب عن أن السلوك الإسرائيلى لا يمت لسلوك الأمم المتحضرة بصلة، وأن موقف الأمم المتحدة من هذا السلوك يوحى بأن المجتمع الدولى بات محكومًا بشريعة الغاب، وأن فكرة القانون سقطت من قاموسه كلية»(٧١).

رابعًا: موقف صحيفتى الدراسة من السياسة الأمريكية تجاه الحرب

١ ـ صحيفة الأهرام

انتقدت الصحيفة السياسة الأمريكية تجاه الحرب على لبنان، من حيث انحيازها لإسرائيل، والتصريحات الأمريكية حول حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها، مقابل إنكار هذا الحق للشعوب العربية، وسعيها لإطالة أمد الحرب لمنح إسرائيل فرصة لمزيد من التدمير للبنان وإمداد إسرائيل بالأسلحة، هذا فضلاً عن انتقادات الصحيفة لتصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية بأن هذه الحرب سوف تسفر عن الشرق الأوسط الجديد.

كما أظهرت نتائج التحليل أن الخطاب الصحفى لجريدة الأهرام وجه انتقادات شديدة للانحياز الأمريكى الواضح للعدوان الإسرائيلى، وأشار إلى أنه لن يثمر سوى المزيد من الكراهية والعنف، وتساءلت الصحيفة إلى متى تصر واشنطن على إرجاء وقف إطلاق النار وتمد الجيش الإسرائيلى بالوقت: «إلى متى يظل الرئيس بوش غير عابئ بالغليان فى الشارعين العربى والإسلامى، لا يكترث بحقوق المدنيين رغم تشدقه بالديموقراطية، ولا يهتم بالضحايا الأبرياء من اللبنانيين»(٧٢).

وأشارت الصحيفة فى افتتاحيتها إلى أهمية الدور الأمريكى فى حل الصراعات الدولية، ودعت الولايات المتحدة للتدخل بفاعلية لوقف الحرب؛ لأنها الأكثر تأثيراً على إسرائيل؛ لوقف عدوانها(٧٣)، ومن جانب آخر أعربت بعض الخطابات عن اعتراضها على ازدواجية المعايير فى التعامل مع القضايا العربية: «يرفض المجتمع الدولى المتمثل الآن فى الولايات المتحدة بالدرجة الأولى قبول حق الشعب العربى فى الدفاع عن نفسه وفى إطلاق سراح أسراه، ويقبل عربدة إسرائيل فى الأرض العربية، وعدم انصياعها لتطبيق القانون الإنسانى الدولى(٧٤).

وانتقدت بعض مواد الرأى تصريحات رايس حول الشرق الأوسط الجديد: «لم تأت للشرق الأوسط بغير الحروب والدمار وتحويل المدن إلى خرائب... إنها تقصد منطقة بدون أدنى مقاومة للهيمنة الأمريكية والإسرائيلية.. بدون الحركة الوطنية فى فلسطين المحتلة وبدون حزب الله وبقية قوى المقاومة اللبنانية... هى ببساطة تريد شرقًا أوسطيًا من الخدم والأذلاء، أو هى تريد نظام عزل عنصرى باسم الديموقراطية»(٧٥).. «واشنطن وعميلتها إسرائيل تحاولان فرض الاستسلام علينا، وتتآمر الدولتان لفرض واقع جديد، ورسم خريطة جديدة للشرق الأوسط»(٧٦).

٢ ـ صحيفة المصرى اليوم

انتقد الخطاب الصحفى للمصرى اليوم الدور الأمريكى فى هذه الحرب، وتشابه إلى حد كبير مع خطاب صحيفة الأهرام فى ذلك، وأشارت بعض مواد الرأى بالمصرى اليوم إلى أن هذه الحرب بقرار وإدارة أمريكا، وأنها حرب تقوم بها إسرائيل بالوكالة عن أمريكا، وأن أمريكا «تعرت تمامًا أمام القيادة اللبنانية التى صدقت أن أمريكا تحميها وتبحث عن مصلحتها عندما أصرت على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ ... ولم تجد لبنان

سوى ديموقراطية القصف والخراب والدمار برعاية أمريكا»[٧٧] . . وأن : «معركتنا مع أمريكا وليس إسرائيل ؛ فإسرائيل مجرد حاملة طائرات أمريكية ، وهى تتلقى الأوامر من واشنطن غير آبهة لا بقوانين وأعراف دولية ولا بمبادئ إنسانية»[٧٨] .

وهاجم خطاب المصرى اليوم التصريحات الأمريكية حول عدم وقف إطلاق النار ، حتى تمهل إسرائيل فرصة لتدمير لبنان ، وكذلك هاجمت الصحيفة تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية حول ميلاد الشرق الأوسط الجديد : «هل هناك ما هو أغبى من ربط مشروع الشرق الأوسط الجديد بالمجازر التى ترتكبها إسرائيل بحق الشعب اللبنانى . . . هذا الشرق الأوسط الجديد لا يحمل إلا الإذلال للشعوب العربية ، ولا يعنى سوى تغليظ العقوبة على شعب أعزل ومدنيين أبرياء»[٧٩] .

وانتقدت بعض مواد الرأى الخلط الأمريكى/ الإسرائيلى المتعمد بين الإرهاب والمقاومة ؛ أى إغفال الأبعاد السياسية التى تدفع قوى المقاومة المسلحة لممارسة العنف ؛ أى تحويله فقط لمسألة أمنية وجنائية .

وأشارت الصحيفة إلى أن الولايات المتحدة هى أكثر وحشية من إسرائيل ، وإلا ما وقفت فى وجه محاولات وقف إطلاق النار : «الولايات المتحدة أيدت ولا تزال تؤيد القوة الإسرائيلية الفاشية ضد أى عربى فى المنطقة ، وتسعى لبناء شرق أوسط جديد تكون الكلمة الأولى والأخيرة فيه لحليفتها إسرائيل»[٨٠] .

وحذرت الصحيفة من تدمير حزب الله ، ورأت أن ذلك سيعنى الانتقال من عصر المقاومة المسلحة إلى الإرهاب الأعمى ، ومن مرحلة البحث عن بناء دولة التوافق اللبنانية ، إلى مرحلة نهاية الدولة وتفككها وظهور جماعات إرهابية [٨١] .

خامسًا: موقف صحيفتى الدراسة من الدور العربى فى الحرب

١ ـ صحيفة الأهرام

أشارت بعض الخطابات الصحفية فى صحيفة الأهرام إلى أن مناقشات وزراء الخارجية العرب كشفت عن أن العالم العربى وصل إلى حالة إنهاك سياسى ومعنوى شديد ، وأن عمليات المقاومة أظهرت الحكومات العربية «عارية من ورقة التوت التى ظلت تختفى

وراءها؛ وهى الدعوة إلى عملية سلام وهمية قدمت فيها تنازلات دون أن تفضى إلى شىء». وتساءلت الصحيفة: ماذا فعلت الحكومات العربية طوال السنوات الماضية عندما لم يكن هناك صوت يعلو على صوت السلام؟ لقد سلمت ملف السلام إلى إسرائيل التى دفنته دون إعلان وتفرغت لقمع الفلسطينيين.

ودعا البعض إلى البحث عن أساليب وطرق جديدة لإقامة سلام القوة فى المنطقة بعيداً عن السلام غير المتكافئ على الطريقة الإسرائيلية التى تريد القوى الكبرى تطبيقها فى المنطقة من أجل مصالحها ومصالح إسرائيل، وأشار البعض إلى أن الذى مات هو الأمة العربية التى كان منوطًا بها التعامل مع ملف السلام العادل، ودعت بعض مواد الرأى العرب إلى الاستيقاظ من حالة الغيبوبة الاختيارية... «وأن إسرائيل قدمت درسًا جديداً للعرب الغافلين عن أبسط حقوقهم؛ حق حماية الوطن والحفاظ على ما تبقى من الأرض»[٨٢].

وأشار خطاب صحيفة الأهرام إلى أن موقف السكون أو العجز العربى هو وضع مفروض على الشعوب العربية، بغياب الإرادة السياسية التى تنبع من إدراك المسئولين لمسئوليتهم عن كسر دائرة السكون والإفلات منها.

وعلق بعض الكتاب فى الصحيفة على تصريحات عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية: «هل اكتشف الوزراء العرب الآن فقط أنهم خدعونا وضحكوا علينا؟ وهل ذهابنا إلى مجلس الأمن سيوقف الضحك علينا؟ إنهم يضحكون علينا ويخدعوننا منذ نحو ستين عامًا؛ أى منذ اشتعل الصراع العربى الإسرائيلى»[٨٣].

وانتقد الخطاب الصحفى الضعف العربى، وأشار إلى أن المصير العربى لم يعد بيد العرب، وأن العالم العربى دخل فى طور انتداب جديد قامت فيه واشنطن بدور الوصى وولى الأمر فى المنطقة: «إنها حرب كاشفة فضحت الكثير من عورات واقعنا، وبددت الكثير من الأوهام الشائعة»[٨٤].

واتفق الخطاب الصحفى لجريدة الأهرام مع الموقف الرسمى؛ حيث دعا إلى وقف إطلاق النار بلا شروط، ودعا المجتمع الدولى للضغط على إسرائيل لوقف عدوانها، وأن ما يحدث يدفع ثمنه المدنيون الأبرياء، وأنه يمثل انعكاسًا لغياب تسوية سلمية عادلة وشاملة لمشكلات المنطقة[٨٥].

٢ ـ صحيفة المصرى اليوم

هاجم الخطاب الصحفى لصحيفة المصرى اليوم المواقف العربية تجاه الحرب على لبنان هجومًا عنيفًا، وانتقدت الصحيفة التصريحات التى خرجت من بعض العواصم العربية، والتى أدانت حزب الله وحملته المسئولية، وأشارت إلى اتفاقها مع التصريحات التى خرجت من تل أبيب: «كأن السياسة الإسرائيلية تطابقت فى أهدافها وتوجهاتها مع رؤية بعض العواصم العربية فى الصراع العربى الإسرائيلى»(٨٦).

وانتقدت الصحيفة العجز العربى عن اتخاذ مواقف حازمة تجاه العدوان على لبنان: «أصبحنا عاجزين حتى عن إصدار بيان إدانة... رفعنا شعار الشرعية الدولية لنفرط فى أشلاء كرامتنا المبعثرة... باركنا تدمير لبنان باستنكار المغامرة غير المحسوبة لحزب الله»(٨٧).

وانتقدت الصحيفة السكون والصمت العربى وأطلقت عليه التخاذل العربى: «إنه ليس بجديد بل هو عرف عام...»... وهاجمت الصحيفة دعوة الحكام العرب الالتزام بالعقل والحكمة فى مواجهة الحرب: «إن الاعتصام بالعقل على طريقتهم أصابنا بالجنون؛ لأنه لم يحقق سوى الانتكاسات المتتالية، ولم يورث شعوبنا سوى الجوع والفقر والمرض والذل والهوان...»(٨٨).

واستنكرت الصحيفة تقديم اللوم لحزب الله، ودعت بدلاً من ذلك إلى محاكمة الأنظمة العربية، التى أدت بشعوبها إلى الضعف والهوان: «بدلاً من أن نلوم حزب الله الذى يحاول أن يسترد أسرى العرب؛ يجب أن نحاسب الحكام الأشاويس، الذين لم يمدوا للمقاومين يدًا، وتركوهم يقعون فى الأسر.. يجب أن نحاكم الذين أوصلونا إلى منتهى الضعف، وأخرجوا مقاومة العدو من المعادلة، وجعلوا الخيارات المتاحة أمامنا هى الاستسلام أو الموت...»(٨٩).

وانتقدت بعض الخطابات الصحفية الدول العربية التى تدعو لتنفيذ القرار ١٥٥٩، بينما إسرائيل لا تخدم القرارات الدولية: «وتبلغ المأساة ذروتها حينما ترى الدول التى كانت تغض الطرف عن تجاهل واحتقار إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بل تكاد تشجعها على ذلك، تتحدث هى الأخرى عن ضرورة احترام وتنفيذ القرار المريب ١٥٥٩»(٩٠).

ودعت بعض مواد الرأى إلى عدم الاعتماد على الحكام العرب أو الجامعة العربية، والمراهنة فقط على تحرك الشعوب: «لا يجب أن يراهن أحد على الحكام العرب، ولا على الجامعة العربية؛ فكل هؤلاء مشغولون بالحفاظ على كراسيهم وعلى مناصبهم... راهنوا فقط على تحرك الشعوب وعلى صحوة ضمائرهم»(٩١).

وانتقدت الصحيفة القمع الذى يمارس ضد الشعوب، فى حين لا يتعدى الأمر بيانات شجب ومناشدة تجاه إسرائيل: «وإن الحكام العرب يحاربوننا نحن فى الداخل.. يحاربون شعوبهم.. يحاربون بالرصاص الذى تدفع ثمنه الشعوب، بينما يحاربون العدو بالمانشيتات الصحفية»(٩٢).

وأشارت الصحيفة إلى الهوة العميقة التى تتسع بين الأنظمة العربية وشعوبها، لا سيما حيال قضايا الصراع العربى الإسرائيلى: «إلى متى تظل الشعوب الغاضبة الثائرة الرافضة فى واد، ويظل الحكام العرب فى واد آخر»(٩٣).

• مناقشة النتائج

- كشفت نتائج تحليل الخطابات الصحفية بالأهرام والمصرى اليوم عن تباين فى الأطر المسيطرة على المعالجة الصحفية فى الصحيفتين؛ حيث كان الإطار المسيطر فى الأهرام توجيه النقد للعدوان الإسرائيلى على لبنان، وما أسفر عنه من تدمير للدولة اللبنانية، والنتائج السلبية التى أسفر عنها؛ حيث برز إطار النتائج المترتبة فى المرتبة الأولى، وركز على العواقب الوخيمة على لبنان والمنطقة بأسرها من جراء نشوب الحرب، ثم يليه إطار المسئولية الذى تراوح بين مسئولية إسرائيل عن التصعيد العسكرى ومسئولية حزب الله عن تقديم ذريعة لإسرائيل لشن عدوانها، ومسئولية أمريكا عن استمرار القتال وعدم إصدار قرار عاجل بوقف إطلاق النار، فى حين كان الإطار المسيطر على خطاب صحيفة المصرى اليوم يتمثل فى نقد المواقف الرسمية العربية والمصرية، وإبراز مسئولية الأنظمة العربية عن تردى الأوضاع والعجز فى السياسات العربية. ويمكن تفسير تلك النتائج فى ضوء تباين أهداف السياسة التحريرية لكل صحيفة، ومدى علاقتها بالسلطة الحاكمة، ومدى التزامها بالتوجه الرسمى للدولة.

- يمكن القول إن الخطاب الصحفى لجريدة الأهرام التزم بتوجيه الخطاب السياسى الرسمى تجاه الحرب، وذلك بشكل أساسى، عبر افتتاحية الصحيفة ومقالات رئيس التحرير، وبعض المقالات الأخرى لعدد من الكتاب؛ حيث عنيت هذه الخطابات بإعادة إنتاج المقولات الأساسية التى انطوى عليها الخطاب الرسمى منذ بدء العدوان، وكذلك اهتمت هذه الخطابات بالرد على الاتهامات والانتقادات والأصوات المعارضة للموقف الرسمى من قبل الليبراليين واليساريين والإسلاميين، وتبرير الموقف الرسمى، والعمل على حشد التأييد له وإبراز تميزه عن المواقف الأمريكية والإسرائيلية، وإبراز اهتمام مصر بوقف إطلاق النار، وتجنيب المنطقة ويلات الحروب والدمار والانقسام.

- تشير النتائج إلى تفاوت حجم اهتمام الصحيفتين بمناقشة الموقف من عملية الوعد الصادق التى قام بها حزب الله؛ حيث ازداد الاهتمام بها من قبل المصرى اليوم (٦ ,٢٩٪) عنه فى الأهرام (٢١٪) هذا فضلاً عن ارتفاع نسبة الخطابات المؤيدة للعملية فى المصرى اليوم (٨٤٪)، بينما لم تتعد هذه النسبة ٦٠٪من جملة الخطابات التى تناولت العملية فى الأهرام. ويرجع ذلك إلى أن صحيفة الأهرام وظفت الخطاب السياسى وتصريحات الرئيس كإطار مرجعى فى تناولها للحرب، وخاصة فى الافتتاحية ومقالات رئيس التحرير، هذا فضلاً عن عدد من مواد الرأى الأخرى التى قدمها بعض محررى الجريدة.

- أسفرت مقارنة الخطاب الصحفى فى الأهرام والمصرى اليوم حيال الموقف الرسمى المصرى والعربى تجاه الحرب، عن ارتفاع نسبة المواد المؤيدة لذلك الموقف فى الأهرام مقارنة بخطاب المصرى اليوم الذى كانت النسبة الغالبة فى مواد الرأى بها تعارض وتنتقد ذلك الموقف، وترى أنه غير موفق، ويعكس تراجعًا وتخاذلاً، ويسفر عن اتساع الهوة بين كل من المواقف الرسمية والشعبية، ويشجع إسرائيل على تجاوز كل الخطوط الحمراء.

- تشابهت الصحيفتان فى استنكار الحرب الاسرائيلية على لبنان، وإدانة التصعيد العسكرى الإسرائيلى، والتدمير الذى لحق بلبنان، وتشابهت التصورات والصفات التى قدمت فى الصحيفتين عن الحرب؛ فقد وصفت بأنها حرب وحشية إجرامية، حرب إبادة جماعية، حملة للفتك بالشعبين الفلسطينى واللبنانى، حرب إبادة اشتعلت بذرائع وهمية، وأنها حرب مبيتة. كما تشابهت الصحيفتان فى تقديم تصورات شديدة السلبية لإسرائيل والولايات المتحدة لمساندتها لتلك الحرب، وعدم التعجيل بوقف إطلاق النار.

- كشف تحليل خطاب صحيفتى الأهرام والمصرى اليوم عن وجود تنوع فى التصورات المقدمة عن حزب الله وزعيمه السيد حسن نصر الله وفقًا لتباين المواقف التى تعبر عنها كل صحيفة، ومدى التنوع فى المنطلقات التى يؤكد عليها كل خطاب. ويمكن القول إن حزب الله وزعيمه لم تقدم عنهما صفات سلبية إلا بنسبة قليلة للغاية، وظهر ذلك فى الخطابات التى انتقدت العملية التى قام بها حزب الله من أسر الجنديين الإسرائيليين، وتلك التى أيدت المواقف الرسمية العربية، غير أن هذه الخطابات لم تقدم تصورات شديدة السلبية لحزب الله، ولم تشن هجومًا عنيفًا عليه؛ وإنما اكتفت بتوجيه اللوم له على سوء تقديره للعواقب، وعلى إقدامه على تلك العملية التى جلبت الدمار للبنان، وأنها أعطت الذريعة لإسرائيل لكى تنفذ خطتها. غير أنه مع توالى الأحداث وتزايد حجم الدمار، وظهور الصور المأساوية على شاشات الفضائيات للضحايا من جراء القصف الإسرائيلى؛ تحسنت صورة حزب الله وزعيمه حتى بين الخطابات التى كانت تنتقده فى بداية الحرب. ومن أمثلة الصور الإيجابية عن حزب الله أنه أصبح «الرمز للصمود والتصدى للدفاع عن أمة انشغلت عن مهامها القومية بالانخراط فى ملذاتها وشهواتها»، و«أن عملية حزب الله سخرت من سمعة الجيش الذى لا يقهر».

- تشير النتائج إلى سيطرة الإطار الناقد والمهاجم للحكومات العربية فى خطاب المصرى اليوم مقارنة بالأهرام، وتقديم تصورات شديدة السلبية لتلك الحكومات؛ حيث تصفها بالخضوع والتخاذل، وأنه لا هدف لها سوى البقاء فى السلطة: «أنظمة تنام وتصحو وتسهر الليل على حماية عروشها». «ماتت الحكومات العربية منذ زمن طويل ودفناها ولم ننعها ولم نبك عليها». كما تشابهت خطابات صحيفة الأهرام فى تقديم تصورات سلبية للدول العربية، وإن كانت أقل حدة فى الهجوم؛ فأبرزت الضعف العربى، وأن العرب فى حالة غيبوبة اختيارية، وأن العالم العربى وصل إلى حالة إنهاك سياسى ومعنوى شديد.

***

الهوامش :

١- أسامة الغزالى حرب، «من السويس ٥٦ إلى جنوب لبنان ٢٠٠٦»، السياسة الدولية، العدد ١٦٦، أكتوبر ٢٠٠٦، ص ص ٦-٧ .

٢- الافتتاحية، العدوان على لبنان: الأهداف والنتائج، المستقبل العربى، العدد ٣٣٠، أغسطس ٢٠٠٦، ص ص ٦-١٠؛ حسن نافعة، «التداعيات الدولية»، المستقبل العربى، العدد ٣٣٢، ١٠/٢٠٠٦، ص ص ٨٨- ١٠٣ .

٣- خير الله حسيب، «حول الحرب الإسرائيلية على لبنان وتداعياتها»، المستقبل العربى، العدد ٣٣١، سبتمبر ٢٠٠٦، ص ص ٦-٢٦ .

٤- لمزيد من التفاصيل حول هذا الجدل بشأن المتغير الإيرانى فى الحرب، انظر: نيفين مسعد، التداعيات الإقليمية: إيران، المستقبل العربى، ٣٣٢، ١٠/٢٠٠٦ .

٥- انظر: الأهرام ١٥/٧/٢٠٠٦ .

٦- لمزيد من التفاصيل حول المواقف العربية، انظر: أحمد يوسف أحمد، التداعيات العربية، المستقبل العربى، ٣٣٢، ١٠/٢٠٠٦، ص ص ٣٣- ٥١ .

7 - Mowlana, Hamid, "The Media and Foreign policy", in Malek, Abbas (ed.) Mass Media and Foreign Relations, New Jersey,Ablex Publishing Corporation, 1997, pp. 36-39.

- Piers, Robinson, "War and Media", Media, Culture and Society, vol. 27,No.6, 2005, pp. 951- 959.

- Stuart Allan et al., " Media Performance and War Efforts" , European Journal of Communcation , vol. 3 , 2005, pp.379-386.

8- Rhee,June W.," Strategy and Issue Frames in Election Campaign Coverge", Journal of communication, vol 47. No.3,summer 1997,pp.26-48.

9- Entman ,Robert M., " Framing : Toward Clarification of a Fractured Paradigm" , Journal of Communication, vol 43. No.4,Autumn 1993,pp.51-58.

10- Entman ,Robert M, " Framing U.S. Coverage of International News" , Journal of Communication, vol 41. No.4,Autumn 1991,pp.6-27.

11- Price,v. etal, " Switching Trains of Thought" , Communication : Research, vol. 24,No , 1997,pp481-506.

12- Scheufele, Dietram, " Framing As a Theory of Media Effects" , Journal of Communication, vol 49. No.4,winter 1999,pp.114-118.

13- Collagher,Karen & Schaull, Frank ," Assessing the Democratic Debate", Political Communication, vol 18 , 2002,pp.183-212.

14- Baker,these L.,Doing Social Researrch, 3rd ed., New York McGraw-Hill College,1999,pp.321-322.

١٥ ـ هشام عبد المقصود، «تأثير السياسة الخارجية للدولة فى المعالجة الصحفية للشئون الدولية: دراسة تحليلية مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٢»، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، قسم الصحافة، ١٩٩٥ .

16- Nohrstedt, Stig A. et al.," From The Persian Gulf to Kosovo war, Journalism and Propaganda" ,Europeen Journal of Communication, vol. 15. No.3,Autumn 2000 p.357.

١٧ ـ رأى، الأهرام، ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٨- إبراهيم نافع، عمود حقائق، الأهرام ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ صلاح منتصر، عمود مجرد رأى، الأهرام ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٩- أسامة سرايا، الأهرام ٢١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٠- إبراهيم نافع، عمود حقائق الأهرام ١٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢١- أسامة سرايا، الأهرام ٢١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٢- عبد المنعم سعيد، الأهرام ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٣- أسامة سرايا، ما بعد قانا، الأهرام ٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٢٤- رأى، الأهرام، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٥- رأى، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٦- رأى، الأهرام، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ إبراهيم نافع، عمود حقائق، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٧- صلاح منتصر، عمود مجرد رأى، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٨- طارق حسن، أين عقلى، الأهرام، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٩- مجدى الجلاد، المسألة أخطر وحكامنا يعرفون كل شىء، المصرى اليوم، ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٠- محمود الكردوسى، لكن خلفك عار العرب، المصرى اليوم، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣١- مجدى مهنا، فى الممنوع ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦، هل تنتظر النظم العربية أن تضرب إسرائيل شعوبها بالقنابل النووية كى تتحرك، المصرى اليوم، ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٢- مجدى مهنا، «فى الممنوع»، المصرى اليوم، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٣- محمد صلاح، كلام والسلام، المصرى اليوم، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٤- لبيب سباعى، هتك عرض الأمة العربية، المصرى اليوم، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٥- طارق عباس، فلتقل خيراً أو لتصمت، المصرى اليوم؛ العرب تطوروا وكانوا يشجبون واليوم يناشدون، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٦- حسنين كروم، الشيعة وإعلان مصر الحرب على إسرائيل، المصرى اليوم، ٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٧- مجدى مهنا، فى الممنوع، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٨- عمار على حسين، تآكل الدور المصرى، المصرى اليوم، ٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٩- حسن نافعة، هل تحولت مصر إلى ساعى بريد فى ديوان الحكومة الإسرائيلية، المصرى اليوم، ٦/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٠- عادل السنهورى، «سلاح للزينة والقمع وتسديد الثمن»، المصرى اليوم، ٥/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤١- حمدى رزق، «النوم بعيون مفتوحة»، المصرى اليوم ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٤٢- عبد الله عبد السلام، «فى معنى المقاومة»، ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٣- انظر أمثلة المواد الصحفية التى أشارت لذلك الرأى:
- صلاح منتصر، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
- محمد السعدنى، «إهانة شديدة القسوة»، ١٧/ ٦/ ٢٠٠٢ .
- رأى الأهرام، ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٤- انظر على سبيل المثال:
- طارق حسن، «الجنين توفى والأم ماتت»، الأهرام، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٦ .
- حازم عبد الرحمن، «عقلية الهزيمة»، الأهرام ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٥- حازم عبد الرحمن، «إيقاعات إيران والشام»، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٦- عبد الرحيم على، «حزب الله وإسرائيل»، الحرب بالوكالة، الأهرام ١٨/ ٧/ ٢٠٠٦؛ محمد قدرى سعيد، حرب ضد إسرائيل، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦؛ رضوان السيد، «لبنان فى مهب الصراع على المنطقة العربية»، الأهرام، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٧- من أمثلة مواد الرأى التى اتخذت ذلك الموقف انظر:
- أحمد بهجت، صندوق الدنيا، ٢١/ ٧/ ٢٠٠ .
- محمود مراد، هل تنشب حرب شاملة، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
- نبيل عمر، ارتباك عام، ١٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
- فهمى هويدى، «بيان وزراء الخارجية الذى لم يصدر»، الأهرام، ١٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٨- مكرم محمد أحمد، «حرب مبيتة»، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ طه عبد العليم، «فى مواجهة العدوان الإسرائيلى»، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ مكرم محمد أحمد، «تغيير المعادلة»، الأهرام، ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٩- فؤاد عبد المنعم رياض، «الضمير العالمى وهم أم حقيقة»، الأهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٠- صلاح الدين حافظ، «مواقف ومخازى هذا الصيف اللاهب»، الأهرام ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥١- عمود أحوال عربية، «وعلى المقاومة السلام»، الأهرام ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦؛ نبيل عمرو، «أسئلة صعبة»، الأهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٢- عبد العظيم حماد، «غاضبون دومًا على حزب الله»، الأهرام ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦؛ محمود سليمان، «مؤتمر روما هل أعطى الضوء الأخضر لمواصلة العدوان؟»، الأهرام ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٣- حسن نافعة، «المقاومة هى الحل، والتفاف الأمة حولها هو النجاح»، المصرى اليوم، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٤- عبد العليم محمد، الشامتون يتكلمون، مرجع سابق.
٥٥- سليمان الحكيم، «منطق القوة وقوة المنطق»، المصرى اليوم، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٦- عبد العليم محمد، «الشامتون يتكلمون»، المرجع السابق.
٥٧- نصر القفاص، «نصر الله رمزهم فقط»، المصرى اليوم، ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٨- فريدة الشوباشى، «فرصة بوش ضاعت»، المصرى اليوم، ٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٩- كريمة الشيخ، «مغامرة الكرامة وحكمة أصحاب القمامة»، المصرى اليوم، ٣/ ١١/ ٢٠٠٦ .
٦٠- عمرو الشوبكى، «نهاية التيارات الإسلامية ونهاية التاريخ»، المصرى اليوم، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦١- عمرو الشوبكى، «عملية حزب الله: صرخة بلا صدى»، المصرى اليوم، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٦٢- أسامة هيكل، «الخطأ الإستراتيجى لحزب الله»، المصرى اليوم، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٣- أمين محمد أمين، «حرب مفتوحة»، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ سلامة أحمد سلامة، «الركوع لإسرائيل»، الأهرام، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٤- محمد السيد سعيد، «حرب إجرامية فهل هى ذكية؟»، الأهرام ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦؛ فؤاد عبد المنعم رياض، «الضمير العالمى وهم أم حقيقة؟»، الأهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٥- رجائى عطية، «سقوط آخر أوراق التوت»، الأهرام ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦؛ صلاح منتصر، «حماقة القوة»، الأهرام ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٦- مسعود الحناوى، «المواجهة»، الأهرام ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦؛ حسن أبو طالب، «الصمود الفلسطينى يغير قواعد اللعبة»، الأهرام، ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٧- مكرم محمد أحمد، «أزعر الحى العربيد»، الأهرام، ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦؛ مرسى عطا الله، «تساؤلات مشروعة وسلوك مجنون»، الأهرام، ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٨- أحمد بهجت، «صندوق الدنيا»، الأهرام، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦؛ سليمان عبد المنعم، «الأسئلة الأولى فى الحرب على لبنان»، الأهرام، ١/ ٨/ ٢٠٠٦؛ إبراهيم نافع، «عمود حقائق»، الأهرام، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦؛ مكرم محمد أحمد، «بنت جبيل»، الأهرام، ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦؛ سعيد اللاوندى، «قراءة فى قاموس الحرب الإسرائيلية على لبنان»، الأهرام، ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦؛ على فاضل حسن، «فريسة ذات أنياب»، الأهرام، ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٩- إبراهيم عبد المجيد، «دم لبنان حرام علينا»، المصرى اليوم، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦؛ إبراهيم البحراوى، «الحرب المفتوحة أين تتوقف؟»، المصرى اليوم، ١٨/ ٧/ ٢٠٠٦؛ محمد سلماوى، «الخيار العسكرى والسلام»، المصرى اليوم، ٢١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٠- عمار على حسن، «ما خسرته إسرائيل»، المصرى اليوم، ٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٧١- المصرى اليوم، «هل تنتظر النظم العربية أن تضرب إسرائيل شعوبها بالقنابل النووية كى تتحرك؟»، ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٢- مكرم محمد أحمد، «المستنقع اللبنانى ينتظر»، الأهرام ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦؛ أحمد بهجت، «الطبخة الجديدة»، الأهرام، ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٣- رأى، الأهرام، ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٤- هدايت عبد النبى، «سخف المجتمع الدولى»، الأهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٥- محمد السيد سعيد، «أى معنى للشرق الأوسط الجديد»، الأهرام ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٦- مصطفى سامى، «موت السلام»، الأهرام، ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٧٧- عمرو خفاجى، «سقوط أمريكا»، المصرى اليوم، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٨- فريدة الشوباشى، «مولود رايس مشوه»، المصرى اليوم، ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٦ .
٧٩- خالد صلاح، «رجال أمريكيون أغبياء»، المصرى اليوم، ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٠- أسامة هيكل، «قبلة مكلفة جدًا جدًا»، المصرى اليوم، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨١- عمرو الشوبكى، «تدمير حزب الله وميلاد الزرقاوى الشيعى»، المصرى اليوم، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٨٢- سلامة أحمد سلامة، «سقوط ورقة التوت»، الأهرام، ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦؛ عبد الله عبد السلام، «قائمة الخطابات»، الأهرام، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٦؛ أمين محمد أمين، «موت السلام»، الأهرام ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦؛ مصطفى سامى، «محنة العرب»، الأهرام ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٨٣- عاطف الغمرى، «هذا السكون العربى»، الأهرام، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ صلاح الدين حافظ، «وماذا بعد أن ضحكوا علينا؟»، الأهرام، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦؛ فهمى هويدى، «الكاشفة»، الأهرام، ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٨٤- رأى، الأهرام، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦؛ إبراهيم نافع، حقائق ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٥- مجدى مهنا، «فى الممنوع»، المصرى اليوم، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٦- سحر الجعارة، «ما العرب إلا بئر نفط»، المصرى اليوم، ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٧- أول العقل أعناق الرجال، مساحة رأى، المصرى اليوم، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦؛ «العرب تطوروا كانوا يشجبون واليوم يناشدون»، ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٦ .
٨٨- أسامة غريب، «أنت السيد وسواك. . . المسوخ»، المصرى اليوم ٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٩- حمدى الكنيسى، «تعالوا نلغى عقولنا»، المصرى اليوم، ٣/ ١١/ ٢٠٠٦ .
٩٠- مجدى مهنا، «فى الممنوع»، المصرى اليوم ٥/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩١- رفعت رشاد، «وسوف نبصق على قبوركم»، المصرى اليوم، ٦/ ٨/ ٢٠٠٦؛ «مواطن لا يفتخر بعروبته»، عمود ممنوع، ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٦ .
٩٢- محمد عبد الله، «عندما تضربنى إسرائيل على وجهى»، المصرى اليوم، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩٣- حسن نافعة، «هل تحولت مصر إلى ساعى بريد فى ديوان الحكومة الإسرائيلية؟»، المصرى اليوم، ٦/ ٨/ ٢٠٠٦ .

***

٦ ـ قراءة فى خطاب السيد حسن نصر الله بين بناء نسق وهدم أسطورة

أ. نسمة شرارة(*)

«إن إسرائيل قوية فى أوهامنا فقط، وإنه عندما يسقط هذا الوهم ونستخدم القوة الكامنة فينا سنجد أن هذا الكيان الذى اسمه إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت».

حسن نصر الله

مقدمة

تعكس إستراتيجية حسن نصر الله فى تعامله مع الأداة الإعلامية فى مرحلة العدوان على لبنان إدراكه لأمرين:

ـ الدور المحورى الذى تلعبه هذه الأداة فى التأثير على قناعات وإدراكات الطرف المستهدف، من خلال قدرتها على نقل الأخبار والأفكار والمعلومات.

ـ خطورة الأداة الإعلامية، باعتبارها من أهم الأدوات التى تستخدم فى الحرب النفسية، وبالذات فى أوقات الصراع؛ فعلى سبيل المثال هى الأداة القادرة على نقل أخبار الميدان وتفاصيلها بطريقة قد تقوى المعنويات أو تضعفها؛ تقلل من قيمة الانتصار أو تزيد من وقع خسائر ضئيلة، أو تضخم القدرة الدبلوماسية لدولة معينة لإجبار الآخرين على السير مع توجهاتها[1] فيقول نصر الله: **«إننا بمواجهة التهديد والخطر نحن بحاجة إلى الدبلوماسية والسياسة والإعلام؛ الإعلام الذى يحدد العدو والصديق، الإعلام الذى**

(*) باحثة فى العلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

يخوض الحرب النفسية مع العدو، والذى يستنهض الهمم..» «.. بحاجة إلى إستراتيجية إعلامية....»[٢].

والدلـيل على تبلور هذا الإدراك من جانب نصر الله إنشاؤه لقناة المنار التلفزيونية فى عام ١٩٩٦؛ وذلك لقناعته بأهمية «نشر الكلمة بين الناس»[٣] ومنذ عام ٢٠٠٠ أصبحت قناة المنار تبث إرسالها للعالم كله عبر الأقمار الصناعية. وكان نصر الله يهدف من ذلك إلى وصول دعاية حزب الله وخطبه ورسائله إلى مسمع العالم كله. وفى عام ٢٠٠٤ قُدر عدد مشاهدى قناة المنار بعشرة ملايين[٤].

وتعد خطب حسن نصر الله من أهم الأدوات الإعلامية التى استخدمها أثناء العدوان على لبنان لمواجهة ما هو أخطر من الضربات العسكرية وهدم البنية الأساسية؛ وهو محاولة العدو الإسرائيلى اختراق معنويات الشعب اللبنانى وتحطيمها.

ولمواجهة هذا الخطر وظف نصر الله خطبه لتحقيق هدفين:

١ـ **الهدف الأول**: بناء النسق الفكرى والقيمى للجبهة الداخلية: وهذا الهدف يعكس إدراكه لمدى خطورة اختراق هذا النسق من جانب العدو؛ لما يؤدى إليه من اضطراب فى المجتمع وضعف قدرته على الصمود.

٢ـ **الهدف الثانى**: هدم أسطورة الأمن الإسرائيلى: وهذا الهدف يعكس معرفته لطبيعة المجتمع الإسرائيلى، وأن أحد أساليب إضعافه خرق نسيج المجتمع، وبث الشعور داخله بالخوف والقلق وعدم الثقة.

وعلى هذا النحو تقدم الدراسة قراءة فى خطب نصر الله فى مرحلة العدوان على لبنان، فى محاولة للتعرف على كيفية تفعيل خطبه فيما يمكن تسميته بـ«المقاومة النفسية». وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية؛ وذلك على النحو التالى:

أولاً: حسن نصر الله: صناعة كاريزمية

الإنسان ليس وليد فكره؛ إنما هو نتاج تفاعله مع البيئة المحيطة به، والتى تؤثر فيه وفى تركيبته الشخصية، ويؤثر هو فيها من خلال فكره ومعتقداته.

ولد حسن نصر الله فى ٣١ أغسطس ١٩٦٠ فى بلدة البازورية فى الجنوب اللبنانى، فى عائلة مكونة من أربعة أشقاء هو أكبرهم، وخمس شقيقات[٥] انتقل فى سن صغيرة من البازورية إلى حى الكرنتينا فى الضاحية الجنوبية لبيروت، وهى من المناطق التى تتسم بالبؤس والفقر الشديد. وقد نشأ حسن نصر الله فى عائلة فقيرة، فكان والده السيد عبد الكريم نصر الله بائع فواكه وخضروات. . وحينما تحسنت حالته فتح محل بقالة صغيراً، وكان حسن يذهب لمساعدته هناك. وقد التحق بمدرسة النجاح فى الحى ليتلقى تعليمه الابتدائى، ثم مدرسة سن الفيل الحكومية[٦] وقد تأثر نصر الله فى هذه الفترة الأولى من نشأته بثلاثة عوامل كان لها دور كبير فى تكوين شخصيته:

- إن منطقة الكرنتينا التى أمضى فيها السنوات الأولى من عمره منطقة يتجمع فيها المحرومون من كل بقاع لبنان، ولم يوحد بينهم رابطة الدين أو الطائفة؛ وإنما الحرمان والفقر، وبالتالى نشأ نصر الله وفكره خالٍ من التعصبات الدينية أو العرقية.

- كبر حسن نصر الله وأمامه مثل أعلى طالما حلم بأن يكون مثله؛ وهو مقتدى الصدر مؤسس المجلس الإسلامى الشيعى وحركة المحرومين. ففى سيرته الذاتية يروى حسن نصر الله أن والده كان لديه صورة لمقتدى الصدر معلقة على الحائط فى محل البقالة الذى كان يمتلكه؛ فكان يجلس وهو صغير على الكرسى أمام تلك الصورة، ويطيل النظر إليها، ويتمنى أن يصبح مثله يومًا، وقد كان يراقب حركة الإمام وخطبه فى الكنائس والمساجد والساحات العامة، والتى كان يركز فيها بالأساس على مفاهيم مثل الإنسان، الوطن، الكرامة، الإيمان، التنمية. واستمر حبه لمقتدى الصدر راسخًا فى وجدانه طوال حياته، ويتجلى تأثيره على معتقداته التى تنعكس بوضوح فى خطبه وفى تكوين شخصيته وتمتعه بحضور طاغٍ وكاريزما.

- عمله فى محل والده منحه فرصة كبيرة لممارسة شغفه بالقراءة؛ فكان يذهب هناك لمساعدته وهو فى التاسعة من عمره ويقرأ القرآن أو القصص الدينية عن الرسول. وكان نصر الله يقرأ كل ما يقع تحت يده من مادة للقراءة؛ فإن وجد كتابًا لا يفهمه يضعه جانبًا ليقرأه حينما يكبر سنًا[٧] كان ينزل إلى البرج ساحة الشهداء القديمة مركز المدينة ليحصل على كتب لدى باعة الكتب المستعملة الذين كانوا يفترشون الرصيف[٨]؛ ومن ثم أدرك نصر الله منذ سن صغير أهمية المعرفة وكيفية الوصول إليها وتوظيفها.

ـ لم تكن عائلته متدينة بشكل متميز، ولكن حسن نصر الله كان متدينًا منذ الطفولة؛ فلم يكن فى الحى الذى يعيش فيه مسجد فكان يذهب إلى مسجد سن الفيل أو برج حمود أو النبعة ليصلى. ويقول رفاقه فى مدرسة الكفاح إنه كان متدينًا بالفطرة، ولا يقبل أى مزاح يمس الدين[٩]؛ ومن ثم أصبح الدين جزءاً أساسيًا من خريطة إدراكه ومحركه الأساسى ومنظوره للعالم من حوله.

وكان لمجريات الأوضاع الداخلية أثر كبير فى تكوين شخصية نصر الله فى هذه المرحلة؛ فقد كانت لبنان فى هذه الفترة تغلى؛ تصارع شديد بين الأحزاب، خلل داخلى واقتحام من قوى خارجية، مع وجود عشرات الآلاف من النازحين الفلسطينيين يتدفقون ويشكلون ضواحى فقيرة جديدة، وبالتالى تنامى عند نصر الله منذ صغره وعى شديد بأمرين كان لهما أثر كبير على فكره من بعد: الواقع اللبنانى وتعقيداته، وخطورة تركيبته، والصراع التاريخى الذى يدور على الأرض التى تقع وراء الحدود.

فى عام ١٩٧٥ دخلت لبنان الحرب؛ ومن ثم عاد النازحون إلى قراهم الأصلية، فعادت عائلة نصر الله إلى البازورية والتى أنهى فيها نصر الله تعليمه الثانوى فى مدينة صور الساحلية[١٠].

وقد مثلت هذه النقلة منعطفًا مهمًا فى حياة السيد حسن نصر الله، فعندما عاد إلى البازورية بدأ فى زرع أول نواة فى تاريخ سجله السياسى؛ حيث انخرط فى صفوف حركة أمل، والتى كانت تعرف وقتها بحركة المحرومين. وقد كان انضمامه للحركة نابعًا من تعلقه العاطفى بمقتدى الصدر، وأصبح ممثلاً للقرية وهو فى الخامسة عشرة من عمره.. ومن هنا بدأت خبرته التنظيمية، والتى تطورت معه عبر السنوات لتصبح هى من أهم نقاط قوة حسن نصر الله.

ولكن بعد فترة قصيرة بدأ اهتمامه بقرية البازورية يتراجع؛ لأن تلك القرية كانت تتحول إلى ساحة لنشاط المثقفين الماركسيين، وخاصة مؤيدى الحزب الشيوعى اللبنانى؛ ومن ثم عقد العزم على السفر إلى النجف فى العراق ليكمل تعليمه.

وهو فى السادسة عشرة من عمره قابل فى مسجد فى مدينة صور العلامة السيد محمد الغروى، وكان يعمل مدرسًا نيابة عن الإمام موسى الصدر. وبمجرد أن علم العلامة قرار نصر الله كتب رسالة توصية إلى آية الله السيد محمد باقر الصدر ليدخله بفصوله فى النجف.

لدى وصوله إلى النجف تعرف على عباس الموسوى؛ مما كان بداية صداقة دامت لسنوات، وأثرت بشكل كبير على حياته؛ حيث أصبح فيما بعد أستاذه وملهمه ورفيق دربه وكفاحه، حتى تم اغتياله بواسطة صاروخ إسرائيلى أطلق من مروحية ليدمر سيارته وليستشهد ومعه زوجته وطفله[١١].

وقد قرأ الصدر الرسالة وأوصى تلميذه الموسوى أن يهتم بحامله، وأن يوفر له حاجاته الأساسية، ومن هنا عاش نصر الله فى إحدى الحوزات العلمية فى النجف، والتى تتسم بالنظام الشديد والتقشف والزهد؛ فهى وحدة لطلب العلم[١٢].

وقد بدأ حسن نصر الله دراسة المقدمات؛ وهى المدخل الأساسى لطالب العلم، وكان أحد تلاميذ عباس الموسوى الذين اتسموا بالانضباط الشديد والجدية، وبسبب ذلك استطاع نصر الله وزملاؤه الانتهاء من هذه المرحلة فى سنتين بدلاً من خمس؛ بسبب رفضهم قطع الدروس بالإجازات[١٣]؛ مما يدل على مدى جدية نصر الله والتزامه وشغفه بالعلم.

وقد أتم المرحلة الأولى فى عام ١٩٧٨؛ إلا أن ثلاثة أمور حالت دون استكمال تعليمه هى: خطف السيد موسى الصدر فى ليبيا فى مرحلة حرجة جدًا فى لبنان، والاجتياح الإسرائيلى الأول للبنان؛ مما خلق أوضاعًا سياسية معقدة، ومنها توسيع نفوذ الفلسطينيين وحلفائهم من ناحية، واختراق إسرائيل مواقع سياسية لدى العديد من الأطراف اللبنانية من ناحية أخرى، كما بدأ نظام البعث الحاكم ممارسة ضغط على الدارسين الأكراد، ورحل الكثير منهم إلى بلادهم؛ حيث تم اتهام الدارسين اللبنانيين بأنهم عملاء لحركة أمل، أو بأنهم عملاء لجهاز المخابرات السورية[١٤].

أغارت قوات صدام حسين على الحوزة الدينية، وقد قُدر لنصر الله ألا يكون هناك عندما أغارت الشرطة عليهم، وبمجرد أن حدث ذلك غادر النجف فورًا وعاد إلى لبنان، ولكنه لم يعد إلى الجنوب بل إلى بعلبك؛ حيث أسس عباس الموسوى هناك مدرسة على غرار النجف، وهنا واصل حسن نصر الله تعليمه فى هذه المدرسة، وفى نفس الوقت أبقى نصر الله تعاونه مع حركة أمل، وعين فور رجوعه ممثلاً سياسيًا لها فى منطقة البقاع.

لعبت الأحداث الإقليمية دورًا مهمًا فى هذه المرحلة من حياة حسن نصر الله أهمها:

ـ اندلاع الثورة الإيرانية، وانتقال وهجها إلى لبنان، وانتشارها وبالذات فى البقاع، وتم فتح خط عقائدى بين رجال الدين الذين عملوا فى حركة أمل فى البقاع وإيران من خلال الزيارات المتبادلة؛ ومن ثم بدأت العلاقات مع إيران تتنامى.

ونتيجة لذلك بدأ يحدث انقسام واضح داخل حركة أمل، والتى كان يتزعمها فى ذلك الحين نبيه برى، وقد تجلى هذا الانقسام فى تيارين:

* تيار سياسى بقيادة نبيه برى، والذى التزم بالخط السورى.

* تيار دينى كانت قاعدته رجال الدين، وبالتحديد المجموعة التى جاءت من النجف وتابعت دراستها فى حوزة الموسوى، إضافة إلى مئات من الكوادر الذين أطلقوا على أنفسهم «أفواج المقاومة المؤمنة».. وكان خط الإمام الخومينى واضحًا، وقدمت إيران إليه العديد من المساعدات(١٥).

ـ فى يونيو ١٩٨٢ بدأت إسرائيل اجتياح لبنان، واستولت على بيروت.. وعلى إثر ذلك تأسست «جبهة الخلاص الوطنى»، وقد أبدى نبيه برى قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالانضمام إلى تلك الجبهة، ولكن الأصوليين الدينيين عارضوا ذلك لأنهم رأوا أنها تهدف إلى إيصال بشير الجميل إلى رئاسة الجمهورية؛ الأمر الذى يرفضونه؛ لأنه فى نظرهم رئيس للقوات اللبنانية يرمى إلى التطبيع مع العدو الإسرائيلى(١٦). هذا التيار المعارض ومنه الموسوى ونصر الله وإبراهيم السيد انفصلوا عن الحركة، ودخلوا فى ائتلاف مع جماعات أخرى خارج تلك الحركة، وشكلوا نواة «حزب الله»، والذى بدأ العمل سرًا، وأعلن رسميًا بعملية استشهادية قام بها أحمد قصير(١٧).

وقد تأسس حزب الله وحسن نصر الله فى الثانية والعشرين من عمره، وحتى مع صغر سنه إلا أنه أصبح مديرًا للحزب فى منطقة بعلبك، ثم لمنطقة البقاع بأسرها، ثم عُين معاونًا، ثم نائبًا للسيد إبراهيم أمين السيد الذى كان مديرًا للحزب فى بيروت.

بعدها قرر الحزب أن يفصل الشئون السياسية عن نشاطه العملياتى والتنظيمى، واختار السيد إبراهيم الفرع السياسى، وأصبح نصر الله مسئولاً عن الجانب التنظيمى؛ ومن ثم مدير منطقة بيروت من بعده، ثم تم استحداث منصب المدير العام التنفيذى والذى تولاه نصر الله؛ وهو المسئول عن تنفيذ أوامر المجلس الاستشارى، الذى يضم علماء ومجاهدين وقاعدة جماهيرية. وقد عانى المجلس من أن حلقة الوصل بين المجلس والقاعدة لم تكن

ظاهرة بوضوح؛ مما أدى إلى ضياع المسئولية عند التنفيذ الخاطئ للقرار؛ ومن ثم بتوليه هذا المنصب أصبح نصر الله حلقة الوصل؛ أى إنه صار مسئولاً عن تعميم القرار وتنفيذه وتحمل مسئوليته ومتابعته.

وقد منح هذا المنصب نصر الله ميزتين أساسيتين: ساهم هذا المنصب فى مد وتقوية علاقاته بالقاعدة الشعبية، والتى استطاع كسب ثقتها، كما نمى خبرته التنظيمية؛ حيث شارك حسن نصر الله بين عامى ١٩٨٢، و١٩٨٩ فى عدة مهمات تنظيمية، ساهم خلالها فى بناء الكوادر وتعليمها وتحضيرها للمقاومة والجهاد.

ومع هذا لم يغب عن عينى نصر الله حلمه القديم، وشغفه للعلم والمعرفة، وتكملة تعليمه الدينى؛ ولهذا ترك كل شىء فى عام ١٩٨٩ وذهب إلى قُم فى إيران لاستكمال دراسته، ولكنه سرعان ما عاد إلى لبنان فى عام ١٩٩٠ بسبب:

* آلية الصلح الأمريكية السورية الجديدة التى سمحت لدمشق بدور أكبر فى لبنان بعد إطاحة ميشيل عون؛ هذا الدور الذى رأى فيه نصر الله فرصة كبيرة لدعم المقاومة.

* وجود علاقات إيرانية سورية جديدة سمحت بعبور المساعدات.

* سهل الجيش اللبنانى مرور المقاومين ورفض أى قرار يؤدى إلى التصادم حتى لا يكون حاجزاً بين المقاومة وإسرائيل.

ومن ثم وجد نصر الله فى هذه الظروف فرصة كبيرة لدعم المقاومة، فترك قُم وعاد إلى لبنان.

فى عام ١٩٩١ انتخب الموسوى أمينًا عامًا لحزب الله، والشيخ نعيم قاسم نائبًا له، أما نصر الله فعاد إلى منصبه القديم كمسئول تنفيذى لقرار مجلس الشورى، ولكن سرعان ما جرت الأحداث ليواجه نصر الله بفاجعة كبرى؛ حيث استشهد صديق عمره عباس الموسوى بصاروخ إسرائيلى لينتخب مجلس الشورى حسن نصر الله أمينًا عامًا من بعده، رغم أنه الأصغر سنًا من بين أعضاء المجلس.

ويقول نصر الله إنه عندما تم اختياره لهذا المنصب رفض فى أول الأمر؛ فقد كان لديه مخاوف كثيرة وقلق شديد لأنه كان صغير السن، وكان فى ذلك الوقت مكلفًا فقط بالترتيبات الداخلية للحزب، ولم تكن له خبرة فى شئون الحزب الخارجية[١٨].

خاض حسن نصر الله منذ توليه الأمانة العديد من الحروب والمواجهات مع المحتل الصهيونى، منها حرب «تصفية الحساب» فى عام ١٩٩٣ وحرب «عناقيد الغضب» فى إبريل ١٩٩٦ التى توجت ما عرف بتفاهم نيسان؛ وهو عملية تنظيم الاشتباك فى الجنوب اللبنانى، فتم الاعتراف دوليًا ولأول مرة بحق المقاومة فى العمل والتحرك بعدما كانت توصف بالإرهاب؛ مما أتاح للمقاومة حرية الحركة، ومكنها من تحرير الأراضى فى مايو ٢٠٠٠[١٩].

وتتسم شخصية حسن نصر الله بالعديد من السمات التى جعلته يحظى بشعبية واسعة، سواء بين أنصاره، أو حتى لدى العدو؛ ومنها:

- **الهدوء والثبات**: فهو عندما يتحدث يبعث شعور بالأمل والأمان والطمأنينة واليقين بما ستجرى عليه الأمور.

- **الكاريزما**: يرى نصر الله أن الكاريزما موهبة إلهية يمكن تنميتها من خلال التثقيف واكتساب الخبرة، ولكن يظل هناك عنصر لا بد منه وهو الموهبة.

- **الصدق**: وهى الصفة التى أكسبته ثقة الناس، وتعضدت هذه الصفة باستشهاد ابنه الأكبر هادى، والذى كان فى الصفوف الأمامية فى إحدى عمليات حزب الله ضد جنود الاحتلال فى عام ١٩٩٧.

ثانيًا: بناء النظام الفكرى والقيمى فى الجبهة الداخلية[٢٠]

من أهم أهداف الحروب النفسية تدمير النظام القيمى والفكرى فى المجتمع؛ لإحداث بلبلة فكرية، ولإضعاف قدرته على التحدى. ويتضح من خلال تحليل خطب نصر الله فى الفترة قبل وأثناء وبعد العدوان على لبنان؛ إدراكه لأهمية وجود نظام فكرى وقيمى، وحمايته، وبالتالى كانت رسائله الموجهة إلى الجبهة الداخلية تهدف إلى بناء نسق فكرى وقيمى؛ ليكون واضحًا وثابتًا فى الأذهان من هو العدو؟ وما هى القضية؟ وماذا يجب فعله؟

ويمكننا رصد هذا النسق بتحليل الرسائل المتضمنة فى خطبه من خلال البحث فى رؤيته حول الأسئلة التالية:

١ـ سؤال الهوية : من أنا؟

٢ـ سؤال الواقع : ماذا حدث؟

٣ـ سؤال التراث : ماذا نملك؟

٤ـ سؤال المستقبل : ماذا سيكون؟

١ـ سؤال الهوية

تعكس خطب حسن نصر الله وعيًا شديدًا لأهمية معرفة الذات، والتى من خلالها يتم تحديد من هو «الآخر»؛ وذلك بقوله : «يجب أن نعرف عدونا وأن نعرف أنفسنا»(٢١).
وينقسم سؤال الهوية إلى ثلاثة أسئلة يعكس كل منها مستوى من التحليل :

(أ) من أنا؟

كان لظروف نشأته بصمة واضحة على رؤية حسن نصر الله للذات :

ـ إن نشأته فى حى الكارنتينا ـ كما سبق الإشارة ـ لم ينشئ بداخله أى تعصبات طائفية أو دينية؛ فرابطة الفقر والحرمان كانت أقوى من أى رابطة أخرى، والفقر دائمًا لا يهدر دينًا أو طائفة؛ وإنما يهدر الإنسانية.

ـ تأثره الواضح بمثله الأعلى منذ الطفولة مقتدى الصدر، والذى كان دومًا يتحدث عن الإنسان والكرامة كقيمة عليا.

يتضح من خطب نصر الله وجود انسجام شديد فى رؤيته للذات؛ فهو يرى نفسه فى المقام الأول إنسانًا ذا كرامة، ومن بعد ذلك مسلم الديانة، لبنانى الوطن، حضارى القضية. فالإنسان والكرامة قيمتان تسموان فوق كل القيم، ومن الكرامة يستمد الإنسان وجوده وكيانه؛ فلا تخلو خطبة واحدة من خطب نصر الله من هاتين القيمتين : **«نحن أصحاب كرامة، كرامتنا قبل كل شىء، لا يمكن أن نسمح لأحد أن يهدر كرامتنا»**(٢٢) **«نحن شعارنا الحقيقى والأساسى أولاً الكرامة، البيوت هُدمت ويعاد بناؤها إن شاء الله، البنية التحتية ضربت ويعاد بناؤها إن شاء الله ولكن الكرامة لا يسمح أن يهدرها أحد»**(٢٣).
وتأتى بعدها كافة القيم الأخرى؛ فالدين قيمة، والوطن قيمة، والحضارة قيمة؛ وهى قيم لا تتضارب مع بعضها البعض؛ وإنما تترابط وتتداخل لتشكل بناء فكره ومنظوره لما حدث وما يحدث، وما يجب أن يكون.

(ب) من نحن؟

وتنقسم رؤية حسن نصر الله للـ«نحن» إلى ثلاثة مستويات:

* نحن «المقاومة».

* نحن «الشعب اللبنانى».

* نحن «الأمة».

وهنا توجد ملاحظة أساسية فى هذا السياق؛ وهى وجود ترابط بين المستويات الثلاثة للـ«نحن»؛ فمثلاً يرى أن المجاهد لا يدافع عن أرضه، بل يدافع أيضًا عن حضارته، وذلك بقوله: أنتم تاريخ الأمة/ أنتم حضارتها/ أنتم ثقافتها/ أنتم قيمها.

فالمجاهد ـ كما يرى نصر الله ـ له واجب وطنى، جهادى، إيمانى، إنسانى، أخلاقى. كذلك هو دائم الحديث على أن المقاومة مقاومة شعبية بالأساس، وكذلك يرى أن انتصار المقاومة ليس انتصارًا للبنان بل للأمة بأكملها.

(جـ) من هم؟

وبسبب وضوح رؤيته للأنا والنحن؛ استطاع نصر الله أن يحدد «الآخر» العدو وهو:

ـ **العدو المباشر**: وهو إسرائيل.. ويفرق نصر الله بين ثلاثة طباع للعدو:

* إما أن يكون العدو ذا طبيعة عدوانية.

* إما أن يكون ذا أطماع توسعية يريد أن يسيطر على الأرض والموارد.

* إما أن يكون لديه مشاكل داخلية؛ ومن ثم يهرب منها، من خلال خلق مشاكل خارجية مع جيرانه.

وبناء عليه يرى نصر الله أن الكيان الصهيونى تتجمع فيه كل هذه الطباع؛ فهو كيان ذو طبيعة عدوانية من ناحية، له أطماع تاريخية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ما يعانيه من مشاكل فى الداخل(٢٤).

ـ **العدو غير المباشر**: وهى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصفها نصر الله بأنها الشيطان الأكبر، وأنها أساس الفساد والغطرسة فى العالم(٢٥).

والجدير بالذكر فى هذا السياق أن هناك اختلافًا فى خطاب نصر الله قبل العدوان وبعده فى ترتيب من هو العدو؛ فقبل العدوان كان العدو الأول والمباشر هو إسرائيل، أما الولايات المتحدة فهى التى تساعد إسرائيل بالمال والسلاح، أما بعد العدوان فأصبحت إسرائيل أداة فى يد الإدارة الأمريكية: **«إسرائيل أداة طيعة وتنفيذية لمشروع أمريكى وقرار أمريكى»**[٢٦]، والتى تحاول استخدامها لتحقيق أغراضها فى المنطقة؛ ومن ثم التأكيد المتكرر على وصف العدوان بأنه «العدوان الصهيونى الأمريكى».

وبناء على ما سبق؛ حدد نصر الله الأطراف المستهدفة من خطابه، والرسائل المتضمنة لكل منهم؛ فسنجد فى خطبه أربعة مستويات من الرسائل:

* رسائل لمقاتلى المقاومة وأسر الشهداء.

* رسائل للداخل اللبنانى شعبًا وحكومة.

* رسائل لأطراف الأمة الإسلامية سواء المؤيدة له أو المعادية (النظم والقيادات والشعوب ورجال الدين..).

* رسائل للعدو، وبالذات ما كان يوجه للمجتمع الإسرائيلى بشكل مباشر، والتى تُعد الرسائل الأولى من نوعها: «أريد أن أخاطب العدو وقيادته وشعبه، وخصوصًا شعبه...»[٢٧].

٢ـ سؤال الواقع: ماذا حدث؟

ويعنى هذا التساؤل إدراك صاحب الخطاب للواقع حوله. وتنص خطب السيد حسن نصر الله على أهمية الوعى بهذا الواقع، وضرورة معرفة **«حقيقة الحرب التى فرضت على لبنان وخلفيات العدوان الذى يشن على لبنان... وأن المعرفة بأى حرب تخاض الآن ستمكن من الرؤية لما يجب فعله فى المستقبل»**[٢٨].

يؤكد نصر الله أن الفاعل الأساسى والمحرك لهذا العدوان ليست إسرائيل؛ فهى أداة فى يد الولايات المتحدة الأمريكية، وأن هذا العدوان ما هو إلا جزء من خطة أوسع لخلق ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط الجديد؛ وهى المنطقة التى تحاول خلقها الإدارة الأمريكية لتسيطر على المنطقة، وتخوض فى شئونها ومواردها وخيراتها، وتكون شريكتها الأولى هى إسرائيل.. **«اليوم المشروع الذى انطلقت على أساسه الحرب، وخُططت على أساسه،**

وهو إعادة لبنان إلى دائرة السيطرة والهيمنة الأمريكية الإسرائيلية؛ يعنى أسوأ من اجتياح ١٩٨٢ وأسوأ من اتفاقية ١٧ آيار، المطلوب أن يخرج لبنان كليًا من تاريخه، من التزامه، من ثقافته من هويته الحقيقية ليصبح لبنان أمريكيًا صهيونيًا تديره أمريكا وإسرائيل من خلال وجهات لبنانية تطيع وتلتزم ولا حول لها ولا قوة»[٢٩].

وهو الأمر الذى أكد عليه نصر الله أثناء العدوان وبعده بقوله: **«يجب أن نؤكد اليوم أن هذه الحرب كانت حربًا أمريكية بالقرار والسلاح وبالتخطيط والإرادة، وبإعطاء مهلة تلو المهلة للصهاينة والذى أوقف الحرب هو عجز الصهاينة»**[٣٠].

ويؤكد حسن نصر الله على أن من الشروط الأساسية لتطبيق هذه الخطة **«القضاء على حركات المقاومة فى المنطقة»**. ويستدل نصر الله على صحة حجته بسرد وتحليل الخطوات التى تم اتخاذها بالفعل من جانب الولايات المتحدة فى هذا الصدد وهى:

- محاولة تصفية المقاومة الفلسطينية، ويؤكد نصر الله فشل هذه الخطوة بنجاح حركات المقاومة، وخصوصًا نجاح حركة حماس فى الانتخابات النيابية هناك؛ مما جعلهم يلجئون إلى حصار الشعب، ومنع تقديم المساعدات له؛ لدفع الأمور إلى الاقتتال الداخلى، حتى جاءت عملية أسر الجندى الإسرائيلى والتى أعادت توحيد الداخل تجاه المعركة الحقيقية.

- العمل فى الداخل اللبنانى على عدة أوجه:

* محاولة استغلال القوى السياسية للقضاء على المقاومة.
* محاولة استغلال الجيش اللبنانى للقضاء على المقاومة.
* إدخال حزب الله فى الحكومة والسلطة للتراجع عن مسئولياته الجهادية.
* الضغط على سوريا وإيران للمساومة على المقاومة فى لبنان[٣١].

ويؤكد نصر الله أن كل هذه الخطوات باءت بالفشل؛ ولهذا لم يعد أمام الولايات المتحدة الأمريكية سوى اللجوء لإسرائيل للقضاء على حزب الله.

وتعكس هذه الرؤية إدراكًا سياسيًا عميقًا لدى نصر الله لطبيعة العدوان الإسرائيلى على لبنان؛ حيث حرص فى خطابه على التأكيد على أن العدوان لم يكن مجرد رد فعل لأسر الجنديين الإسرائيليين؛ وإنما خطة توظف فى إطار الإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة.

وفى سياق الحديث كان نصر الله دائم التأكيد على أن أسر الجنديين الإسرائيليين من جانب حزب الله لم يكن السبب الأساسى وراء العدوان؛ فالعدوان كان سيتم عاجلاً أم آجلاً؛ فخطة ضرب لبنان كانت موضوعة، وسيتم تنفيذها فى خلال أشهر قادمة على النحو التالى:

- أن تقوم إسرائيل بحملة برية قوية للسيطرة على جنوب نهر الليطانى؛ لمنع إطلاق صواريخ الكاتيوشا.

- أن يقوم السلاح الجوى الإسرائيلى فى نفس اللحظة بضرب بيوت قادة ومؤسسات ومراكز حزب الله.

- ضرب البنية التحتية لشل حركة المقاومة.

- تحريض الشارع اللبنانى على المقاومة[٣٢].

وقد حرص نصر الله سواء أثناء العدوان أو بعده على التأكيد الدائم على:

- حتمية العدوان: أى إنه لم يكن هناك خيار آخر؛ بل إن قيام حزب الله بعملية أسر الجنديين أحبطت **«الخطة الأسوأ»** للحرب بسبب استعجال العدو الحرب؛ ومن ثم فقدانه عنصراً مهمّا وهو المفاجأة.

- أن المقاومة هى الوحيدة القادرة على مواجهة العدوان؛ لأنها ليست جيشًا نظاميًا، وبالتالى لا تحارب بالطريقة النظامية، وإنما بطريقة حرب العصابات؛ مما يرفع الحرج عن الحكومة والجيش اللبنانيين[٣٣].

٣- سؤال التراث: ماذا نملك؟

ويعنى هذا التساؤل: ما هى رؤية صاحب الخطاب لما يمتلكه من قوة؟ يرى حسن نصر الله أن الأمة تمتلك أهم عنصر من عناصر القوة؛ وهى «المقاومة». وهناك عدة ملاحظات أساسية حول مفهوم «المقاومة» لديه:

- إدراكه الشديد بأن أهم عنصر من عناصر المقاومة هو الإنسان بكافة جوانبه المادية والروحية، وإدراكه لخطورة وقوة الجانب غير المادى، وعدم ربط الجانب المادى بالجانب الإيمانى فقط؛ إنما بالجانب الحضارى (قيم مشتركة، رؤية مشتركة)، وبالتالى العمل الدائم على تقوية هذا الجانب والتوعية بقدرته. **«أعظم قوة عندنا فى لبنان هى الإنسان الموجود**

على هذه الأرض، القادر على أن يملأ هذه الجبال والهضاب والأودية والسهول برجال مستعدين للمقاومة والصمود ورسخوهم كرسوخ الجبال فى السلسلة الغربية والشرقية»[٣٤].

- إن المقاومة حق من الحقوق الطبيعية للدفاع عن النفس، وذلك بقوله: **«طالما أن هناك تحركًا عسكريًا إسرائيليًا، واعتداء ميدانيًا إسرائيليًا، وأن هناك جنودًا إسرائيليين يحتلون أرضنا؛ فمن حقنا الطبيعى أن نواجههم وأن نقاتلهم، وأن ندافع عن أرضنا وعن ديارنا وعن أنفسنا، وبالتالى بطبيعة الحال طالما أن الإسرائيلى يمارس احتلالاً وعدوانًا؛ فإن المقاومة هى حق طبيعى لنا»**[٣٥].

- إن المقاومة متعددة الأبعاد؛ فلها أن تأخذ الشكل الذى يناسب الوضع سواءً سياسيًا أم دبلوماسيًا. . . ، ولكن تظل المقاومة العسكرية خيارًا قائمًا ويمكن استخدامه إذا تطلب الأمر: **«ونحن سنمارس هذه المقاومة بالطريقة التى نعتقد أنها مفيدة ومجدية»**.

- إن المقاومة ليست أداة هجومية؛ وإنما تستخدم للدفاع ورد الفعل: **«أنا أؤكد بأن المقاومة هى رد فعل، وبالتالى عندما تتوقف الأفعال العدوانية الإسرائيلية؛ فإن ردود الأفعال التى تعبر عنها المقاومة ستتوقف حتمًا، وبشكل طبيعى»**. . **«فصفنا للمستعمرات هو رد فعل وليس فعل، تعتدون على مدننا، على قرانا، على عاصمتنا، نحن نقوم برد الفعل»**[٣٦].

- إن المقاومة الشاملة هى جزء مهم من الإستراتيجية الدفاعية فى أى بلد[٣٧].

وبالنظر إلى مجمل الخطابات أثناء العدوان؛ نجد أن مفهوم المقاومة لدى حسن نصر الله يحدد مجموعة من المعايير القيمية:

(أ) الصمود والتضحية

يؤكد حسن نصر الله أن الهدف من المقاومة ليس فقط الانتصار على العدو، ولكن الصمود فى حد ذاته قيمة عليا، وقيمة قادرة على تغيير الواقع: **«صمودنا سوف يجعل الواقع من حولنا يتغير، الواقع الإقليمى والواقع الدولى»**[٣٨]. وإن الصمود يجب أن يقترن بالتضحية؛ فنصر الله دائم التعظيم لقيمة التضحية، وإن هذه التضحية لا تذهب هباءً: **«ومهما عظمت التضحيات فنحن لم نولد إلا من رحمها»**[٣٩]، وإن التضحية ليست

تضحية لشخص؛ وإنما هي تضحية تترجم لقضية فيها تحرير أرض/ كرامة/ شرف/ وجود.

(ب) المصداقية والشفافية

يرى نصر الله أن المقاومة لا تستقيم بدون مصداقية وشفافية، وأنهما عنصران من أهم عناصر قوة المقاومة: **«وأما شفافيتنا ووضوحنا دليلان على قوتنا وعلى إرادتنا»**[٤٠].

وهنا تتجلى هذه القيمة فى خطب نصر الله من عدة أوجه:

- ذكره الصريح المتكرر فى معظم خطبه أهمية المصداقية وقول الحقيقة، وأن الدليل الدائم هو الأداء والتجربة.

- تدعيم ركائز خُطبه بالحقائق والمعلومات (مثلاً: حول ما كان يحدث فى مارون الرأس، بنت جبيل، إعلان عدد الشهداء...).

- إظهاره الدائم لكذب وخداع وعدم مصداقية العدو: **«يصور العدو من خلال بياناته أنه احتل وسيطر ودخل وتمكن من إحكام سيطرته على مناطق واسعة من أراضى جنوب لبنان.. كثير من هذه الأمور - حتى لا أقول كلها - غير صحيحة وكاذبة، وهى جزء من الحرب النفسية للعدو الإسرائيلى»**[٤١].

(جـ) التضامن والثقة

لا تخلو أى خطبة من خطب نصر الله من تأكيد على ضرورة التماسك والتضامن ووحدة الصف، وجاء تركيزه الأساسى على الداخل اللبنانى؛ وذلك على عدة أوجه:

- النص الصريح والواضح على أهمية هذه القيمة على كافة المستويات الرسمية وغير الرسمية: **«أؤكد على أهمية التضامن الوطنى والوحدة الوطنية لمواجهة الاستحقاقات المقبلة»**. **«نؤكد على مبدأ أساسى هو الحفاظ على وحدة الصف والتضامن الوطنى والشعبى، وأيضًا التضامن الرسمى على مستوى الدولة ومؤسسات الدولة... لتكون هناك إرادة سياسية»** [٤٢].

- التحذير الدائم من خطورة التفكك، وخروج الخلافات الداخلية خارج ذلك السياق، ومحاولة استغلال طبيعة تركيبة الشعب اللبنانى لضرب الداخل بعضه ببعض: **«نحن منذ**

الأيام الأولى لاحظنا أن الإسرائيليين والأمريكيين يحرصون ويحرضون على إيقاع الفتنة والشقاق بين اللبنانيين فى داخل الحكومة اللبنانية، وبين القوى السياسية اللبنانية»[٤٣].

ـ التأكيد الدائم على أن حزب الله جزء لا يتجزأ من الشعب اللبنانى، وتأكيد طبيعة المقاومة، وأن المقاومة جزء من الشعب لا تهدف إلى طمس قوة الدولة؛ وإنما هدفها الدفاع عن الوطن، وليس السيطرة على الداخل: «**نحن حريصون أن نتعاون مع الحكومة، ومع كل التيارات والقوى السياسية؛ لنقدم لبنان موحداً متماسكًا حول ما يحفظ ويضمن مصالحه الوطنية**».

أما الثقة بين قوى الجبهة الواحدة؛ فهى أساس هذا التماسك والتضامن، وهى قيمة يحرص نصر الله على التأكيد عليها من خلال:

ـ تأكيده الدائم على ثقته بالحكومة وبالقوى والتيارات السياسية اللبنانية والجيش اللبنانى، ورفض الانصياع لأى تشكيك فى هذا المجال: «**فيما يتعلق بموقفنا من انتشار الجيش فى المنطقة الحدودية.. نعم نحن فى السابق كنا نعترض أو لا نوافق على نشر الجيش على الحدود، ليس شكًا فى الجيش لا سمح الله؛ لأن هذا الجيش هو جيش وطنى**»[٤٤].

ـ حث الشعب على ضرورة الثقة فى المقاومة وفى حزب الله استناداً ليس فقط لموقف الحزب من العدوان، ولكن من خلال تاريخ حزب الله وإنجازاته التى تشهد عليه: «**لا يجب أن يخاف أحد منكم من انتصار المقاومة؛ وإنما يجب أن يخاف من هزيمتها.. هكذا يتصرف الإنسان الوطنى**»[٤٥].

(د) المسئولية والالتزام

حسن نصر الله دائم التأكيد على فكرة الالتزام؛ فكان دائم النص على: التزامه تجاه الحكومة والجيش لتجنب مظاهر التسلح، والتزامه بتفاهم نيسان عام ١٩٩٦، والتزامه بوقف إطلاق النار، والتزامه بالنقاط السبع، كذلك ضرورة تحمل المسئولية.. وهذا اتضح بشكل كبير فى خطبته حول مسئولية حزب الله فى المساهمة فى إعادة بناء لبنان، من خلال إعادة بناء البيوت المهدمة، وإعطاء مبلغ مالى لمساعدة الضحايا، وإعادة بناء البنية التحتية[٤٦].

(هـ) الإرادة

أكد نصر الله على أهمية الإرادة على كافة مستوياتها: الإرادة السياسية، الإرادة الوطنية، الإرادة الجهادية، والإرادة الإيمانية؛ وأن هذه الإرادة هى التى تقف أمام العدو وقوته: **«ليكسب لبنان المعركة يحتاج إلى إرادة سياسية؛ يعنى لبنان يحتاج إلى إرادة سياسية لا تقل عن إرادة المقاومين فى لبنان، ولا تقل عن إرادة الصامدين والنازحين والمتضامنين معهم من كل أبناء الشعب اللبنانى.. لبنان بحاجة اليوم إلى إرادة وطنية جامعة»**(٤٧).

(و) الأخلاق والإنسانية

أكد حسن نصر الله على أن المقاومة يجب أن تبنى على الأخلاق والإنسانية بعدة صيغ منها:

* أن للمقاوم واجبًا أخلاقيًا بجانب واجبه الجهادى.

* أن للحرب قواعد، ومنها عدم الإضرار بالمدنيين: **«أنتم الجبناء تقتلون نساءنا وأطفالنا وشيوخنا، وتدمرون بيوتنا.. أما نحن فنقتل ضباطكم وجنودكم وندمر دباباتكم.. هذه هى الحقيقة الميدانية المشرفة التى نواجهكم بها»**(٤٨).

* رسالته إلى عرب حيفا، وحثهم على مغادرة المدينة لكى لا يلحق بهم ضرر.

* موافقته على وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية لإخلاء المصابين.

* تأكيده على أنه إذا كان على علم مسبق بأن أسر الجنديين سوف يترتب عليه هذا، ما كان سيقدم عليه لأسباب إنسانية.

ومع هذا حذر نصر الله من النظر إلى القضية على أنها قضية إنسانية؛ فهى قضية سياسية بالأساس(٤٩).

٤ ـ سؤال المستقبل: ماذا سيكون؟

ويعنى هذا السؤال رؤية صاحب الخطاب للمستقبل، وما يجب أن يكون عليه. يلاحظ فى خطب نصر الله منذ أول العدوان وحتى نهايته؛ محاولة توصيل الشعور بأن الانتصار مؤكد؛ فالنصر لدى نصر الله حتمى، فهو سنة من سنن الله، وذلك بقوله: **«نحن إن شاء الله موعودون بالنصر»، «الدم يجب أن ينتصر على السيف؛ وهذه هى سنة الله»**(٥٠).

جاء تقييم حسن نصر الله لما حدث بأنه نصر إستراتيجى تاريخى، وأن هذا النصر له تداعيات هامة:

(أ) سوف يمثل ردعًا كبيرًا لإسرائيل، وأن هذا الصمود أوجد بالفعل واقعًا جديدًا؛ ففى عام ٢٠٠٠ كانت المقاومة تحرر أرضًا، وإنما الآن فالنصر أعظم؛ لأن المقاومة صمدت أمام اجتياح أقوى جيش فى المنطقة[٥١]؛ ومن ثم التنبيه على أن المنطقة سوف تدخل مرحلة جديدة مع إسرائيل، وهى المرحلة التى: «سنملى فيها شروطنا على العدو..»[٥٢].

(ب) التأكيد على ضرورة التمسك بالمقاومة؛ فالمقاومة لن تنتهى، وستستمر طالما أن إسرائيل تحتل الأرض؛ فحق المقاومة محفوظ فى أى وقت وأى مكان؛ ومن ثم لا يمكن نزع سلاح المقاومة، إلا إذا تم بناء «الدولة القوية القادرة المقاومة المطمئنة»[٥٣].

ثالثًا: اختراق أسطورة المجتمع الإسرائيلى الآمن

يرى المفكر الكبير الدكتور حامد ربيع[٥٤] أن هناك عدة قواعد عامة للإعداد للحرب النفسية منها:

- الدراسة العلمية المسبقة للخصم موضع الهجوم.
- الوصول إلى نقاط ضعف الخصم واستغلالها من خلال اختراق هذا الضعف.
- عدم اللجوء للكذب.

ولدى حسن نصر الله إدراك منذ صغر سنه بأن المعرفة هى مفتاح كل شىء، ويدرك أهمية دراسة العدو دراسة مفصلة لمعرفة تركيبته، ونقاط قوته وضعفه؛ ومن ثم كيفية التعامل معه، ومواجهته بالتالى.. وأكد على أن المقاومة قد: «عكفت بشكل تفصيلى ويومى على دراسة الكيان الإسرائيلى والمجتمع الإسرائيلى ومكوناته، ونقاط الضعف والقوة لهذا الكيان...».

ومن خلال دراسته للكيان الصهيونى استطاع استخلاص أمرين:

- أن إسرائيل ليست كيانًا ضعيفًا بقوله: **«نحن لا نقول إنّ إسرائيل ليست شيئًا أو إنها ضعيفة وواهنة، نحن نقول إنّ إسرائيل دولة قوية، وهى تملك أقوى سلاح جو فى الشرق الأوسط، وتملك جيشًا من النخبة، وتملك جيشًا من الاحتياط هو فى الحقيقة كل رجال**

ونساء المجتمع الإسرائيلى . . المدنيون فى المجتمع الإسرائيلى بحق الأطفال والعجزة، أمّا كل قادر على حمل السلاح فى إسرائيل هو ليس مدنيًا، هو جزء من جيش الاحتياط، وفى كل الحروب كان هؤلاء يشاركون بفعالية وقوة. أحدث تكنولوجيا موجودة عند الجيش الإسرائيلى والأمريكيون لا يخفون شيئًا عن الإسرائيليين، يكفى أن نقول إنّ عندهم ٢٠٠ رأس نووى على أقل تقدير، حتى اقتصاد إسرائيل هو ليس اقتصادًا ذاتيًا بكل ما للكلمة من معنى، وهو اقتصاد يعتمد بشكل أساسى على الدعم الأمريكى والغربى القوى واللامحدود. . . .»[٥٥].

- إن للقوة جانبين؛ جانب مادى وآخر غير مادى؛ فإذا كانت إسرائيل تتمتع بعناصر القوة المادية؛ فإن نقطة ضعفها الأساسية تكمن فى عناصر قوتها غير المادية. فيرى نصر الله أن إسرائيل ضعيفة من عدة جوانب:

- أنّ إسرائيل كيان طارئ غير أصيل، ومجتمع غير متجانس، تجمعه أسطورة ليس لها أصل أو حقيقة؛ وهو وعد الأمن والسلام والعيش.

- أنهم كأفراد وكجماعة حريصون على الحياة، وهم متعلقون بشدّة بالدنيا وزخارفها ونعمها ومتاعها؛ فليس عندهم قيم التضحية والفداء[٥٦].

ومن ثم يمكن استغلال هذا الضعف من خلال استخدام الأداة الإعلامية لهدم هذه الأسطورة، وبث الشعور بأنهم فى خطر وعدم أمان، وأن حياتهم أصبحت مهددة، وعلى هذا الأساس تبنى نصر الله ما سماه بـ« توازن الرعب»، وهو يقوم بالأساس على التخويف وهز ثقة المجتمع الإسرائيلى من خلال:

- استخدام خطاب مفرداته شديدة تحمل تهديدًا مباشرًا: **«لن تستطيعوا البقاء فى أرضنا. . لو دخلتم إليها سنخرجكم بالقوة. . سنحول أرض جنوبنا العالى إلى مقبرة للغزاة الصهاينة»**[٥٧]، والعمل على تزامن الخطاب مع العمليات العسكرية التى استهدفت العدو لإضفاء المصداقية عليه ولبث مزيد من مشاعر الخوف.

- توليد الشعور لديهم بأنهم فى مأزق وليس أمامهم خيارات سوى وقف العدوان: **«أذكّر الصهاينة: أمامكم خيار واحد؛ وقف العدوان والإصغاء إلى المعالجات السياسية، ولن ينقذكم أحد من مأزقكم، إذا كنتم تراهنون على الإدارة الأمريكية وأنها قادرة على**

إنقاذكم؛ فهى أعجز من أن تنقذ نفسها فى العراق أو فى أفغانستان، فضلاً عن أن تأتى لإنقاذكم. . . أقول للإسرائيليين إن رهانكم على الأمريكيين رهان فاشل»[٥٨].

ـ توليد الشعور بالخوف من المجهول: **«هو يواجه قوة لا يعرف عنها شيئًا وهذا من أهم أسرار هذه القوة»**.

ـ التأكيد على أن الانتصار للبنان أمر مؤكد، وأنهم لن يستطيعوا القضاء على حزب الله: **«إننى أؤكد لكم جميعًا؛ للعدو، للصديق، للعالم كله، أنكم لا تستطيعون القضاء على حزب الله»**. . . **إن رهانكم على استمرار الحرب والعدوان هو رهان فاشل، إن رهانكم على تراجع إرادتنا وإرادة شعبنا وقوانا السياسية فى لبنان هو رهان فاشل. . إن الخيار الوحيد الصحيح والسليم هو وقف العدوان والإصغاء للمعالجة السياسية، والانتهاء من هذه الحماقة التى ارتكبتموها ولن تنتهى إلا بانتصار لبنان**[٥٩].

ـ التشكيك فى قدرات وأداء قيادتهم السياسية والعسكرية: **«فليسأل كل إسرائيلى نفسه اليوم عن أداء قيادته السياسية والعسكرية، وعن كل هذه الحرب التى قاموا بها بعد أسر الجنديين الإسرائيليين. . هل أدت إلى إطلاق سراح الجنديين الإسرائيليين؟ هل ستعيد إليهم الجنديين الإسرائيليين؟ أبدًا! فى الوقت الذى كان يستطيع أن يعالج هذا الأمر من خلال تفاوض كما فعل قبله شارون، ولكن هو لم يلجأ إلى هذا الأسلوب وذهب بعيداً أيضًا. . أريد منهم أن يسألوا أنفسهم وأن يسألوا قيادتهم عندما قيل إن هدف هذه الحرب هو إعادة تعزيز قدرة الردع عند الجيش الإسرائيلى. . هل تعززت هذه القدرة؟ قالوا إنهم يقولون إنهم يريدون أن يصححوا صورة وهيبة الجيش الإسرائيلى. . هل تصححت هذه الصورة أم ازدادت تهشيمًا وضعفًا وهوانًا؟»**[٦٠].

ـ إظهار مدى الكذب الذى تمارسه الحكومة الإسرائيلية على شعبها: **«نحن لا نكذب على شعبنا، ولكن العدو هو الذى يكذب على شعبه، هو الذى يمارس الرقابة الإعلامية، هو الذى لا يقول الحقائق، لا لشعبه ولا للعالم، وهذا دليل على ضعفه»**[٦١].

• الخلاصة

أثبت حسن نصر الله نجاحًا كبيرًا فى استخدام خطبه كإحدى الأدوات الإعلامية فى الحرب النفسية التى شهدتها مرحلة العدوان الأخير على لبنان، وليس ذلك فى نظر

أنصاره؛ بل فى نظر العدو أيضًا؛ فقد قام أحد الدارسين الإسرائيليين بمؤسسة بن جوريون باستطلاع رأى حول إدارة إسرائيل للعلاقات العامة أثناء الحرب، والتى أكدت أن الشعب الإسرائيلى يرى فى نصر الله القائد الإعلامى الجيد، كذلك خلص إلى أن حسن نصر الله استطاع أن يكسب ثقة الشعب الإسرائيلى، والتى تفوق ثقتهم بمسئولى حكومتهم؛ وذلك لأنه يقول ما يفعل ويفعل ما يقول[٦٢].

وقد استطاع نصر الله من خلال خطبه التأكيد على عدة أمور:

أولاً: أن الحروب لم تعد تحارب بجيوش؛ وإنما الإستراتيجية الدفاعية فى أى دولة تتطلب تفعيل فواعل جديدة قادرة على المواجهة، واستخدام أدوات غير تقليدية، وعلى رأسها الأداة الإعلامية.

ثانيًا: أن المقاومة يجب أن تبدأ من الداخل، من خلال بناء النسق الفكرى والقيمى لمعرفة من هو عدونا، ولماذا، وماذا يفعل، وماذا يجب أن نفعله لمواجهته، والحدود المعيارية التى يجب الالتزام بها؟

ثالثًا: استطاع حسن نصر الله خلق إدراك جديد؛ وهو أن القوة ليست فقط قوة مادية؛ وإنما يمكن تفعيل عناصر قوة أخرى غير مادية، قد تفوق القوة المادية. كذلك إن الضعف ليس فقط ضعفًا فى القوة المادية؛ وإنما الأخطر هو ضعف عناصر القوة غير المادية، والتى يجب أن يتم تنميتها من جانبنا واستغلال وجودها لدى العدو.

* * *

الهوامش :

١ـ د. سعيد العبيدى، الحرب النفسية فى النظام الدولى الجديد واتجاهات التحصين فى المنطقة العربية الإسلامية.

٢ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .

3 - Passner Deborah, Hassan Nasr Allah in his own words, CAMERA Committee for Accuracy in Middle East Reporting in America, 26 July 2006, www.camera.org

4- Moubayed Sami, Who is Hassan Nasrallah, World Politics Watch, 17 July 2006, www.worldpoliticswatch.org

٥ ـ خالد أبو بكر ، حسن نصر الله حرب نهاية إسرائيل، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ .

٦ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مجلة ماجازين الفرنسية، ٢٨/ ١١/ ١٩٩٧ .

٧ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، المستقبل العربى، أكتوبر ٢٠٠٦ .

٨ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مرجع سبق ذكره.

٩ـ على الرز، من مدرسة النجاح فى الكرنتينا إلى النجاح فى مدرسة النصر، صحيفة الرأى العام الكويتية، ١٠/ ٦/ ٢٠٠٠ .

١٠ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١١ـ المرجع السابق.

١٢ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٣ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

١٤ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٥ـ مرجع سابق.

١٦ـ السيد حسن نصر الله يروى سيرته، مرجع سبق ذكره.

١٧ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

١٨ـ السيد حسن نصر الله، السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

١٩ـ على الرز، مرجع سبق ذكره.

٢٠ـ هذا الجزء من البحث مبنى على دراسة للباحثة بعنوان: «الدلالات الحضارية فى خطب حسن نصر الله فى مرحلة العدوان على لبنان». (فى) د. نادية مصطفى ود. سيف الدين عبد الفتاح (تنسيق وإشراف)، أمانى غانم، مدحت ماهر (مراجعة وتحرير)، العدوان، المقاومة الحضارية فى حرب لبنان: الدلالات والمآلات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧ .

٢١ـ كلمة حسن نصر الله فى العيد السادس للمقاومة والتحرير، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٦ .

٢٢ـ كلمة حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى، ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ .

٢٣ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٢٤ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .

25 - Passner Deborah, Op-Cit.

٢٦ ـ خطاب السيد حسن نصر الله ، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٢٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٢٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٩ـ المرجع السابق.
٣٠ـ خطاب حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى.
٣١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٢ـ المرجع السابق.
٣٣ـ المرجع السابق.
٣٤ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٣٥ـ خطاب نصر الله فى ١٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٦ـ خطاب السيد نصر الله ،٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٧ـ كلمة نصر الله فى افتتاح ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٣٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٩ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٠ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٢ـ المرجع السابق.
٤٣ـ المرجع السابق.
٤٤ـ المرجع السابق.
٤٥ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٦ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٩ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٠ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥١ـ المرجع السابق.
٥٢ـ خطاب حسن نصر الله فى مهرجان النصر الإلهى.
٥٣ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٤ـ حامد ربيع، الحرب النفسية فى الوطن العربى (بغداد : دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩).
٥٥ـ كلمة نصر الله فى افتتاح مؤتمر ثقافة المقاومة وتحديات الواقع وآفاق المستقبل، ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٦ .
٥٦ـ المرجع السابق.
٥٧ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٨ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٥٩ـ المرجع السابق.
٦٠ـ المرجع السابق.
٦١ـ خطاب السيد حسن نصر الله، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
62- Anat Breshkovsky, Poll: Israelis believed Nasrallah over Peretz, 3-9-2006, www.ynetnews.com

٧ـ قراءة فى الخطاب السياسى للسنيورة: الحكومة اللبنانية وأزمة تموز (يوليو) ٢٠٠٦

د. أمانى مسعود الحدينى(*)

مقدمة

تعتبر اللغة وسيلة هامة للتعبير عن النشاطات والممارسات السياسية؛ ومن ثم عن القوة والسيطرة. فمن خلال اللغة يستطيع السياسيون السيطرة على عقول مستمعيهم، ويتمكنون من فرض نفوذهم والتأثير عليهم.

وطبقًا لـ Geis[1] فإن السياسة: «.. هى نشاط لغوى يتم من خلاله توظيف اللغة لإخبار الآخرين بالقضايا السياسية»؛ فاللغة لم تكن أبدًا بعيدة عن السياسة.. ولقد أكد اقتراب التحليل النقدى للخطاب Critical Discourse Analysis Approach على أن تحليل المفاهيم والاتجاهات السياسية المختلفة، والتى تستنبط من لغة هذا السياسى أو ذاك؛ تؤكد تلك العلاقة الارتباطية بين السياسة أو القوة والمناورة، وإيضاح وسائل الإقناع وسبل السيطرة على العقول؛ ومن ثم ممارسة القوة أو على الأقل تحييد بعض الجماعات والحصول على ولاء الآخرين.

والجدير بالذكر أن استخدام اللغة للتواصل والإقناع، ولإيصال المفاهيم؛ يسمى العملية الإدراكية، التى تعنى استخراج بعض المفاهيم والمعلومات من الفرد إلى الجماعة؛ لإيصالها إلى عقول الآخرين؛ ومن ثم إعادة تشكيل المفاهيم والعقول.

(*) أستاذ العلوم السياسية المساعد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

تتوجه الباحثة بخالص الشكر إلى الأستاذ ياسر حسن. طالب الماجستير بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب. جامعة عين شمس.

ويعتمد السياسى على استخدام بعض الشعارات والصور والرموز اللغوية، وبالذات فى أوقات الحروب والأزمات؛ للتأثير على هذه العملية الإدراكية وتطويعها لصالح أفكاره ورسالته الخطابية.

ويرى البعض[٢] أن عملية إدراكِ ما يبثه السياسى فى خطابه هى عملية معقدة، تتألف من عدة جوانب سيكولوجية وفلسفية، إضافة إلى ممارسات من الخبرات السابقة للتحكم فى العملية الإدراكية التى تتأتى من خلال اللغة، والتى نستطيع من خلالها أن نؤول ونحكم ونستنبط التصورات والمفاهيم الخاصة بصاحب الخطاب؛ استنادًا إلى أن اللغة ذات تأثير لا شعورى على التفكير السياسى، وعلى متلقى الخطاب؛ ومن ثم على سلوكه، وذلك بإعادة تشكيل إدراكه للحدث السياسى؛ فعندما «تتشكل المفاهيم وفقًا لـ Geis؛ يمكن التحايل على الإدراك»[٣]؛ ومن هنا برزت أهمية تحليل الخطاب السياسى كأحد مناهج تحليل الحدث السياسى؛ نظرًا لما تتمتع به مفردات اللغة من إمكانية تأويل اللفظ الواحد بعدة طرق.

ولقد جاء هذا الاقتراب ليجعل من السهولة بمكان للسياسى أن يستخدم من المفردات ما يضمن له إمكانية تأويلها، حتى لا يلزم تأويلاً أو تفسيرًا واحدًا، ورأى البعض[٤] أن تحليل ما جاء فى الخطاب السياسى من خلال ظاهر النص والتصريحات الرسمية لا يفيد كثيرًا؛ وإنما يجب أن ينصب التحليل على المواقف الأقل وضوحًا؛ مثل التعبيرات التلميحية، أو ما يفهم ضمنيًا، وهو ما اصطلح على تسميته ما وراء النص، أو مابين السطور، ولدى البعض المسكوت عنه.

وخصوصية التحليل اللغوى للنصوص السياسية؛ تنبع من أن المفردات اللغوية المستخدمة فى الخطاب السياسى هى تعبير وترجمة للإستراتيجيات المختلفة التى يستخدمها السياسى من أجل الوصول إلى أهدافه الخاصة؛ ولهذا تتميز لغة الخطاب السياسى ببعض الإستراتيجيات التى تقوم على ما يلى:

- تقديم الحجة والحجة المضادة، واستخدام أساليب المناورة والخداع.
- بث خطابه بصورة تعبر عن السيطرة والقوة.

وقد يلجأ السياسى للأسلوبين معًا لإعادة تشكيل المفاهيم أو الاتجاهات داخل عقول الأفراد.

ويبدو أن هناك عدة أساليب للتحليل اللغوى، منها التحليل البلاغى، أو استخدام بعض الأساليب كالمبنى للمجهول، أو الأفعال التى تعبر عن الإرادة والثقة، أو صيغ المناداة، أو عن طريق استخدام الضمائر الشخصية، إضافة إلى تكرار المفردات.

وتطوع هذه الدراسة بعداً من أبعاد اقتراب التحليل اللغوى المستند على تحليل الضمائر والتكرار، من خلال قراءة سياسية لخطابات «فؤاد السنيورة»، بصفته الخطاب الرسمى والحكومى أثناء الحرب اللبنانية فى يوليو ٢٠٠٦؛ لتحليل التوجهات السياسية للحكومة تجاه الأزمة، ولاستشراف آفاق مستقبل الدولة اللبنانية، التى يبدو أنها تأبى أن تعيش بلا أزمات.

فمنذ اغتيال رئيس الوزراء اللبنانى السابق رفيق الحريرى، والنقاش يحتدم حول عدة قضايا لبنانية الطابع إقليمية ودولية التداعيات، منها الوجود أو الغياب السورى فى لبنان، والنفوذ الأمريكى والغربى فى المنطقة، وقضية المقاومة فى الجنوب، وما ارتبط بذلك من دعاوى ضرورة نزع سلاح حزب الله، وقضية الأمن الإسرائيلى، وهشاشة الدولة اللبنانية، ومدى شرعيتها ومصداقيتها بعد الحرب، ثم العودة إلى الحديث عن صورة شبح الحرب الأهلية، وارتباط ذلك كله بالشأن الداخلى السياسى فى لبنان، وشكل نظام الحكم فيه.

ولا ريب أن الحرب اللبنانية/ الإسرائيلية كانت عاملاً هامّا سواء فى ترتيب أوراق البيت اللبنانى من الداخل، وإثارة المزيد من الاختلاف بين الفرقاء على الساحة السياسية اللبنانية، أو فى استنهاض قضايا ظلت راكدة سنوات طويلة، بفعل ثبات المتغيرات الإقليمية والدولية.. وقد خلفت الحرب أزمة أخرى بين اللبنانيين أنفسهم، وأطلت الصراعات برأسها فى مرحلة ما بعد الحرب.

وتأتى المحاور التسعة لهذه الدراسة متماشية مع إستراتيجية السنيورة فى التعامل مع الأزمة، والتى هدفت لتحقيق هدفين وهما: السيطرة على الداخل واستمالة الشعب اللبنانى للتوحد معه لمواجهة الأزمة، وكسب تأييد الخارج وضمان استمرارية اعتراف المجتمع الدولى بالحكومة الحالية.

أولاً: الحرب والأزمة اللبنانية

كان رئيس الوزراء السنيورة فى خطاباته يصف ما يحدث فى لبنان أحيانا بالحرب، وأحيانا بالأزمة. فالحرب اللبنانية فى خطابه هى «**. . . الكارثة والكابوس اللذين يواجههما لبنان منذ أكثر من ثلاثة أسابيع**»، و«**بأنها كلّفت لبنان الكثير فى حياة أبنائه وفى بنيته الأساسية، وفى التهجير الذى طاول ثلث المواطنين**».

كما وصف **الأزمة اللبنانية** على أنها «**ظروف مروّعة**»، ووضح البعد الدرامى فى تصوير المسألة اللبنانية واستدرار عطف المجتمع الدولى فى تصوير ضحايا الحرب والنازحين ... «**كم الأطفال الذين سقطوا ضحايا للحرب . .** » ... «**أكثر من ٤٠٠ شهيد و٢٠٠٠ جريح حتى الآن، ثلثهم من الأطفال ما دون الـ١٢ عامًا**»، أو فى صورة النازحين من لبنان ... «حاولوا تخيل ما قد يحصل فى حال اضطر ربع سكان بلدانكم إلى ترك منازلهم من دون أى حاجيات سوى الكسوة التى يلبسونها». ووصلت الدراما إلى ذروتها فى خطاب السنيورة حين أضفى على الأزمة اللبنانية بعد المعاناة الإنسانية التى لا تحتمل: «**... هذه قصة بلد ممزق من جراء الدمار والنزوح والتشريد واليأس والموت**»[٥].

وأفرط السنيورة فى إضفاء البعد الدرامى بالاستشهاد بالوقائع، وشخصنة الألم بصفته رئيسًا للحكومة؛ ليعكس على المستمعين إحساس معاناة المسئول والحكومة الرسمية: «**. . . قمت بزيارة إحدى المستشفيات المكتظة بالمدنيين المصابين وسمعت صراخهم وأنينهم واستمعت لمخاوفهم وارتباكهم**». . كما كان السنيورة حريصًا على تصوير الصورة المأسوية على أنها صورة حقيقية بعيدة عن المبالغة، ولم تزده سوى صلابة وقوة: «**... لا حاجة لإطلاعكم على وقع هذه التجربة المؤثرة، إلا أننى استمددت القوة من شجاعة شعبى وأتيت إليكم مصممًا على السعى لوضع حد لمعاناتهم**».

كما حرص السنيورة فى خطابه على تصوير الحرب على أنها حرب **ممتدة وشاملة وغير نظيفة**: «**. . . استهدفت. . . التخريب الهائل للمنازل والمستشفيات والجسور والمخازن والمصانع ومقرات الأمم المتحدة والمراكز الأمنية والبريد والدفاع المدنى، وهوائيات وسائل الاتصال والتليفون**».

ولم يقتصر وصف آثار الحرب فى خطاب السنيورة على البعد البشرى؛ بل امتد إلى البنية التحتية: «**... زهاء مليون نازح أو ما يعادل ربع سكان لبنان، وفى بعض المناطق شُلّ**

عمل المستشفيات؛ فلم تعد تستطيع معالجة المصابين، كما سجل نقص فى المؤن الغذائية والأدوية، وتم تدمير المنازل والمعامل والمخازن تدميرًا كليًا، وقطعت الطرق ودمرت الجسور»، كما أنها **حرب عشوائية** لم تفرق بين ما هو لبنانى وما دون ذلك ... : **«.. تعرضت منشآت الأمم المتحدة وثكنات الجيش ومراكز القوة الأمنية المشتركة للقصف، وتم تدمير وحدة دفاع مدنى كليًا، وقصفت مراكز إنتاج الطاقة الكهربائية وخزانات الوقود؛ مما ألحق ضررًا بيئيًا كبيرًا بالشاطئ الشرقى للبحر المتوسط، وأحرقت الشاحنات، ودمرت هوائيات البث التلفزيونى والخلوى، واضطر الرعايا الأجانب إلى مغادرة البلاد، كما تم فرض حصار برى وجوى وبحرى على لبنان»**[٦]، واتضح حرص السنيورة فى خطابه على تعميم وشمولية تداعيات الحرب على العالم كله، وعدم قصره على لبنان، وكان بارعًا فى تعبيره: **«كما تعلمون جميعًا»**؛ لتأكيد عمومية تداعيات المأساة، وسرد فى خطابه عدة حجج توضيحية إقناعية استمدها من أجندة الغرب وتقع فى أولوياته، وسعى من خلالها إلى استمالة الغرب، وكيف أثرت تداعيات الحرب سلبًا عليه؛ فكان موضوع الإصلاح الاقتصادى والديموقراطية وتحقيق الاستقرار فى المنطقة، وتفادى تصدير العنف لبقية أنحاء العالم، أو ما أطلق عليه الغرب «تصدير الإرهاب». كما ربط السنيورة بين تفعيل مسألة تعزيز الديموقراطية فى العالمين العربى والإسلامى؛ وهو المطلب الأولى بالرعاية لدى الغرب بالسلام العادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين: **«لقد طالبت بتعاون جدى؛ وهو مطلب ما زال يحتل مرتبة متقدمة فى أولوياتنا لإحلال سلام عادل ودائم بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية الأخرى وفقًا لما جاء فى مبادرة السلام التى أطلقتها قمة بيروت العربية العام ٢٠٠٢»**. وكانت إحدى الحجج التى أوردها فى ذلك أنه كلما ابتعد المجتمع الدولى عن ذلك الحل العادل لهذه القضية المزمنة فى الشرق الأوسط كلما حل الدمار والخراب والإرهاب فى المنطقة . . . **«كم تبدو هذه الأمور بعيدة الآن» . . . «نحن الآن نتكلم فقط عن الموت والحرب، الدمار والتشريد، الإصابات والمعاناة.»**[٧] . . ولا ريب أن تكرار الحديث عن هذه الأهوال والمذابح إنما قصد السنيورة من ورائه تهييج المشاعر اللبنانية للعمل فى صف واحد خلف قيادته.

١ ـ الإصلاح الاقتصادى

أوضح السنيورة كيف حالت الأزمة اللبنانية دون إجراءات الإصلاح الاقتصادى والمؤسساتى التى ستساعد الاقتصاد اللبنانى على تحقيق النمو وتعزيز الإنماء الاجتماعى

والاقتصادى المستدام، وتحسين مستوى الوظائف الإنتاجية. . مؤكدًا أنه: «**قبل الأزمة كانت هناك رؤية اقتصادية شاملة تعيد إحياء الاقتصاد، وتجد حلا لمشكلة ديننا المتراكم**»[٨] وكأنما يريد أن يؤكد للغرب الحريص على تحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية معًا أن الهجوم الإسرائيلى على لبنان سيقوض كافة الإصلاحات التى قام بها لبنان وأيدها الغرب.

٢ ـ التجربة الديموقراطية

ربط السنيورة فى خطابه نجاح التجربة الديموقراطية فى تحقيق الاستقرار باستمرار دعم المجتمع الدولى لبلاده؛ لضمان ديمومة هذا الدعم . . . : «**إن دعم المجتمع الدولى أساسى لإعادة إحياء بلدنا، وإن دعمكم المستمر حاسم بالتأكيد لإنجاح التجربة الديموقراطية اللبنانية فى منطقتنا**». وكانت الصيغة التحذيرية واضحة فى خطابه حين نبه إلى خطورة أن الفشل سيعم، وأن تداعياته لن تقف عند حدود لبنان: «**. . كما كنا نبهنا لخطورة الفشل بالنسبة لنا جميعًا**»[٩]، وكذلك . . . . «**نحن محتاجون فعلاً إلى المساعدات الإغاثية العاجلة والإعمارية فى المدى الطويل؛ لمواجهة التحديات العاصفة التى ضربت بلادَنا ومواطنينا، وبناء الحياة والعُمران للمرة الثامنة من جديد**»[١٠].

ثانيًا: صورة الدولة اللبنانية

فى خطاب السنيورة جاءت صورة الدولة ضعيفة هشة، وخاصة حين شرط السنيورة أسباب نجاح الدولة فى أداء دورها الاجتماعى والسياسى بمساعدة المجتمع الدولى؛ تلك الفكرة التى احتلت نصيب الأسد فى خطابات السنيورة، وكانت من أهم تنويهات الغرب له: «**. . أناشد المجتمع الدولى إلى إبداء اهتمام متزايد لتمكين الحكومة اللبنانية لتطبيق برنامجها الإصلاحى اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، والتخفيف من مشاعر اليأس والإحباط والشعور بالإذلال المنتشر فى المنطقة**»[١١].

وتجدر الإشارة إلى أن حرص السنيورة على إظهار لبنان فى صورة العاجز أمام العالم إنما قصد منه كسب العطف والتأييد فى الداخل والخارج؛ فعلى الصعيد الخارجى طالب السنيورة بوضع حل نهائى لمزارع شبعا المحتلة من إسرائيل؛ لبسط سيطرة حكومته عليها؛ ومن ثم إظهار الحكومة فى صورة المدافع عن قضايا لبنان فى الداخل، وسحب الدعم الذى

سيتلقاه لبنان فى حل قضاياه الخارجية على حل قضاياه الداخلية التى يشارك فى نظرته لها بعض القوى فى الخارج.

واتضحت هشاشة الدولة اللبنانية فى اختراق إسرائيل لسيادتها باستمرار. . . . **«إنّ الهجوم الإسرائيليَّ الحاليَّ هو السابعُ؛ إذ فيه خروج على كل القوانين والأعراف الأخلاقية والإنسانية والدولية»**.

ولكن يبدو أن السنيورة حاول مرارًا التغلب على تلك الهشاشة، وتأكيد شرعية الدولة من خلال المساعدة الخارجية. . . **«نحن نحترمُ القرار ١٧٠١ وسنرسل الجيشَ تعاونه القواتُ الدوليةُ للانتشار فى الجنوب»**. . ومع ذلك ظلت سيادة الدولة فى خطاب السنيورة فى مأزق؛ إذ لن يستطيع الجيش وحده تأكيدها، فلو قام الجيش بالرد فسيتعرض لبنان لتدمير أكبر.

وفى محاولة منه لاكتساب مزيد من الشرعية لدولته ولحكومته وللجيش الذى يعتبر رمز الدولة؛ أشار السنيورة فى خطابه إلى أنّ الجيش هو جيش كل اللبنانيين، والجنوب ليس استثناءً: **«نرسلُ اليوم الجيشَ من الوطنِ إلى الوطن، ومن أجل أهلنا فى الجنوب، من الذين بقُوا فى بيوتهم، والذين يعودون إليها ليحميَهُم ويدافعَ عن أرضهم ويحافظَ على بيوتهم ويحافظَ على عملهمْ وأرزاقهمْ، ويصونَ حريتَهم وأمنَهُم»**. وأضاف فى فقرة ثانية مؤكدًا أن مهمةَ الجيش اللبنانى فى الجنوب ليست موجهة أبدًا إلى أهل الجنوب؛ وإنما هى: **«. . . للدفاع عن حق الدولة وواجباتها فى بسط سيادتِها على كامل أرضِ الوطن لتكونَ لهم حاميةً وحاضنةً»**.

ورغم أن السنيورة لم يهاجم صراحة حزب الله فى الجنوب؛ إلا أنه أشار ضمنًا إلى لا معقولية وعدم قبول أن تكون هناك قوى أخرى خارج الدولة تملك السلاح وترفض سيطرة الجيش: **«. . . . مناطقُ أو أماكنُ محظورةٌ على دخول الجيش، ونواحٍ خارجَ سيطرتِه، ومرافقُ عسكريةٌ غيرُ مرافقِه ومظاهرُ مسلّحةٌ غيرَ سلاحه»**.

وأشار السنيورة إلى الجيش اللبنانى بأنه جيشُ كُلِّ لبنان، جيشُ كل اللبنانيين. . ودعا الكل إلى **«الالتفاف حول الجيش»**، وكأنما يشير إلى الدولة اللبنانية وحكومته بصفة الجيش رمزًا لها: **«كونوا معه، كما هو معكم ولكم»**.

وبالرغم من أن الخطاب السنيورى قد خلا فى كثير من نصوصه من صيغ التحدى والمقاومة للعدو الإسرائيلى، وغلبت صيغة الاستسلام فى كثير من مفرداته . . . . . **«مُحاصرون فى لبنان ليس بالجيش الإسرائيلى فى البر والبحر والجوّ فقط؛ بل ويتلوّث البيئة، وبالخراب الذى نشره العدوان على مساحة البلاد»**. إلا أن روح الأمل فى البناء والانتصار لم تخلُ منها خطاباته . . . **«. . إنّ الآلة الحربية الإسرائيلية التى ضربت مُدُننا وقُرانا وبنيتنا الأساسية وإنسانَنا وأطفالنا ونساءَنا؛ ما كان لتنالَ من عزيمتنا ومن إصرارنا على الحرية والاستقلال والكرامة. فليعلم الإسرائيليون أنهم لن يستطيعوا تدمير إرادة الحياة والحرية فينا. إنّ المُمانعة جزءٌ أساسىٌ فى ضمير الإنسان وطبيعته. وبمساعدتكم إن شاء الله ستتجاوزُ العملَ الوحشىَّ الأخير، وستأتون إلى لبنان فتجدونه باسمًا مرحِّبًا بكم»**[١٢] ولقد تغيرت مفردات خطاب السنيورة الاستسلامية كلية بعد الحرب، وغلب عليها صيغة التحدى وشحذ الهمم، فى محاولة لتعبئة كل الطوائف اللبنانية لعملية البناء ولتوحيد الصف: **«إن إسرائيل لم تعد صاحبةَ قوة لا تقاوَم وجيش لا يُقهر. . لقد خابت إسرائيل فى محاولتها النيلَ من ثَباتِكُم فى أرضكم ودفاعِكم عنّها حتى الاستشهاد»**[١٣].

وحينما أشرفت الأزمة على الانتهاء، وفى محاولته للتغلب على تداعيات الأزمة اللبنانية والحيلولة دون تحولها إلى شكل آخر من الصراع الداخلى؛ سادت أساليب التحذير فى خطابه، وخصوصًا من التعامل مع الأزمة بمنطق الفئوية . . . **«ليس الوقتُ وقتَ التفرقة والتمييز والحسابات الفئوية؛ بل هو وقتُ التعاضد من أجل الوطن الواحد وتعزيز دولته»**[١٤] ودعا السنيورة فى خطابه إلى توحيد الصفوف، وإلى الدولة الموحدة غير المخترقة؛ أى التى لا يطوِّعُها أحد بالداخل والخارج لمصلحته، فى محاولة مستترة من جانبه إلى دعوة كافة القوى اللبنانية إلى توقيع عقد اجتماعى جديد لإقامة هذه الدولة المأمولة . . . **« دولة واحدة حرة مستقلة صاحبة قرار واحد، وسلطة لا ازدواجيةَ فيها. فلا يكونُ من حقِّ كلِّ مقتدر بالداخل أو بالخارج أن يمضّى بالمواطنين والوطن إلى حيث يشاء، ويكونُ على كلِّ الفُرقاء الآخرين أن يسيروا من ورائه، وإلاّ كانوا انقساميين ومفرِّطين بالوحدة الوطنية! أو مطعونًا بإخلاصهم الوطنى والعربى»**.

وفى سياق الحديث عن هذه الدولة المأمولة تحدث السنيورة واصفًا إياها بأنها **« . . . الدولةَ القويةَ والديموقراطيةَ، دولةَ القرار الحر والسيادة الكاملة، دولةَ اللبنانيين**

المتساوين فى حقوقهم وواجباتهم، وبأنها هى الانتصارُ الأكبرُ الذى نستطيعُ نحن اللبنانيين تحقيقَه. .» وحرص السنيورة فى خطابه على الحديث بصيغة جمعية كأحد أهم وسائل الاستمالة: **«. . . إننا كلُّنا نُدركُ جيدًا»** وبدا من خطابه أن مسألة الدولة لا خيار ولا تجزئة فيها: **«. . . ما يقتضيه أمنُ لبنان وسلامةُ كلِّ أبنائه واستقرارُه وحقُّ الدولة وواجبُها أن تبسُطَ سلطتَها كاملةً على كلِّ أراضيها»**. وحملت مفرداته فى هذا السياق من جديد صيغة التهديد **«. . . لا يخفى عليكم أنّ التساهُلَ فى أمْرِ هذا الحقِّ يُعَرِّضُ بلادَنا أن تُصبحَ من جديد ساحةً للصراعات الإقليمية والدولية»** من تداعيات الحيدة عن طريق الصواب، الذى يعلمه كل اللبنانيين: **«الدولة التى لا يُنجزُ مشروعَها إلاّ أنتم المواطنون الصامدون العاملون والمتنجون والملتزمون بوحدتكم وبوطنِكم، وهى دولةٌ لا بديلَ منها، ولا رديفَ لها أبدًا»**.

ثالثًا: الموقف من العالم العربى والمجتمع الدولى

حدد السنيورة أهداف سياسته الخارجية[١٥] وأولوياتها فيما يلى:

١ ـ مسألة تحرير مزارع شبعا واعتبرها من «الأولوية الوطنية».

٢ ـ تسليم الأسرى اللبنانيين المحتجزين فى السجون الإسرائيلية.

٣ ـ ضرورة وضع حد للاعتداءات والخروق الإسرائيلية للأراضى اللبنانية.

٤ ـ واجب الدولة الطبيعى والحصرى فى تأمين الأمن لجميع مواطنيها والقاطنين على أرضها، إضافة إلى حقها الحصرى فى حمل السلاح وفى ممارسة سلطتها التامة على كامل أراضيها، بما يتوافق مع ما نص عليه اتفاق المصالحة الوطنية فى الطائف فى العام ١٩٨٩.

ووضح فى خطابات السنيورة حرصه التام على التأكيد على عروبة لبنان وعروبة انتمائه وهويته، وساق خطابه عدة حجج توضيحية تقريرية. . : **«إنّ عروبتَنا فى لبنان غيرُ مشروطة، وهى ليست بالإرغام. . إنها عروبةُ الاختيار والانتماء والالتزام. ووقوفُكم معنا حقٌّ وواجبٌ ومسئوليةٌ علينا وعليكم»**. ثم أضاف مزيدًا من الحجج التقريرية المستندة إلى أساس تاريخى/ دينى **«. . . . فالأمنُ العربىُّ أمْنٌ واحد، والمستقبلُ العربىُّ مستقبلٌ واحد. ونحن نُردِّدُ جميعًا اليومَ صرخةَ الإمامِ على كَرّم اللهُ وَجْهَه إثْرَ مقتل عثمان: أكلتُ يومَ أُكِلَ الثورُ الأبيض»**.

وكان السنيورة حريصًا على تكرار وصف العرب بأنهم **«الإخوةَ العربَ»** الذين **«بذلوا الجهد والمسعى لمساعدتنا بشتى الوسائل والسبل. . .»**. وكانت دعوة السنيورة صريحة فى طلب المساعدة الاقتصادية من العرب: **«. . . نحن نأملُ من الإخوة العرب الذين هبّوا لنجدتنا أن يتابعوا هذه الجهودَ ويطوِّروها لتبلُغَ الآفاق الضروريةَ لإنقاذ لبنانَ»**.

وفى فقرة أخرى من نفس الخطاب حدد السنيورة هذه المساعدات بالمساعدات الاقتصادية. . **«. . نحن محتاجون فعلاً للمؤازرة. . . محتاجون للدعم والمساعدة فى أعمال الإغاثة والإعمار، وفى مساعدة الاقتصاد اللبنانى، الذى كان يُعانى أصلاً من العجز والدَّين نتيجةَ الاجتياحات السابقة»**.

وأورد السنيورة فى سياق دعوة العرب إلى المساعدة حججًا إمبريقية تاريخية **تشير إلى ضرورة استمرارية المساعدة. . «قد ساعد الملوكُ والرؤساءُ العربُ فى الضغط على الدول الكبرى وسائر أطراف المجتمع الدولى من أجل إلزام المعتدى الإسرائيلى بإيقاف الأعمال العدائية والانسحاب إلى ما وراء الخطِّ الأزرق، والخروج من مزارع شبعا وتسْليمها إلى القوات الدولية، وتَبَادُل الأسرى، والكشف عن خرائط الألغام»**.

ولم يقتصر طلب السنيورة على مساعدة العرب فى الضغط على القوى الكبرى لانسحاب إسرائيل، ولكن أيضًا لضمان ألا. . . **«يتكررُ العُدْوان، وبحيث يُصبحُ وقْفُ النار دائمًا وشاملاً، فيكونُ ذلك المدخَلَ للعودة إلى اتفاقية الهدنة المعقودة فى العام ١٩٤٩»**.

وبالرغم من انتماء رئيس الوزراء إلى تيار المستقبل؛ إلا أنه لم يتورط فى مهاجمة سوريا، بل إنه صرح بأن «الصورايخ الإسرائيلية لم تميز بين سورى ولبنانى»[١٦] كما نفى السنيورة فى خطابه أن يكون هناك أى شقاق مع سوريا التى وصفها بـ«الشقيقة» حول تحرير مزارع شبعا، مؤكدًا. . . **«أنَّ المشكلةَ هى فى الاحتلال الإسرائيلى، قبل أن تكونَ تنازُعًا على أرضٍ بين لبنانَ وسوريا»**[١٧].

وفى موقفه من السعودية أكد السنيورة أنها قامت مشكورةً بمبادرة كبيرة أخرى حين دعت لعقد قمة عربية طارئة بمكّة المكرّمة من أجل لبنان: **«. . . لقد أتيتُم أيها الإخوة لغَوْثنا ومساعدتنا فى بَيروتَ ولبنان»**[١٨].

ولخص السنيورة الموقف من العرب فى تعبير بلاغى دلالى حين أشار إلى أن لبنان على مر تاريخه حكمته فى سياسته مقولة الرشادة فى السلوك السياسى: «**. . . الصبر على شدائد العدوّ وأعباء الصديق**»[١٩] مؤكدًا أن لبنان قد حمل القضايا العربية محمل الجد، وفى مقدّمتها قضيةُ فلسطين. . . «**لقد عملْنا من أجل تضامُن كلٍّ العرب وبذلْنا من أجل ذلك الغالىَ والنفيس دون منّةٍ أو تساؤل، ولا نرى لنا مكانًا أو موقعًا خارجَ هذا الانتماء وهذا الدور**».

رابعًا: الموقف من إسرائيل

هاجم السنيورة العدو الإسرائيلى، وانتقد أحيانًا المجتمع الدولى المتحيز ضد العرب والمحابى لإسرائيل بحجج واقعية وإمبريقية، من خلال تصويره للحرب نفسها، ولفظائع العدو الإسرائيلى: . . . . «**. . لم يوفر الجيشُ الإسرائيلىُّ جسرًا ولا مؤسسةً ولا طريقًا، ولا مركزًا للخدمة المدنية، ولا تجمُّعًا بشريًا إلاّ وقَصَفَهُ بما فى ذلك المستشفياتُ ومقرّاتُ القوات الدولية، ومساكنُ الناس، ووسائلُ حركتهم. لقد ضربوا حتى قوافلَ الإغاثة والمساعدات التى أرسلها إلينا الأشقاءُ العربُ، لا لسبب إلاّ للحقد والانتقام، ولا شىءَ غيرَ الحقد والانتقام**». وكذلك أورد حججًا توضيحية لتداعيات الحرب النفسية والمادية. . . «**كم من الوقت سيتطلب التآم الجراح البشرية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيستلزم بناء الطرقات والجسور والمنازل وبأى كلفة؟ كم من الوقت سيمر قبل أن ننسى من قضوا تحت القصف الإسرائيلى؟ أىُّ مستقبل سينتج من الدمار غير مستقبل الخوف والكبت والانهيار الاقتصادى والتطرف؟**

وفى هذا السياق أورد السنيورة حجة تقريرية تؤكد تساوى البشر، ولكن بأسلوب تعجب لمزيد من الاستمالة والسخرية فى ذات الوقت من **الموقف الدولى حيال انتهاكات إسرائيل المستمرة**: «**وهل قيمة الحياة البشرية فى لبنان أقل من قيمة المواطنين فى دول أخرى؟ هل نحن أبناء إله أدنى (أقل قدرة)، أم أن قيمة دمعة إسرائيلية تفوق قيمة قطرة دم لبنانية؟ هل يستطيع المجتمع الدولى أن يقف متفرجًا بينما تنزل إسرائيل بنا مثل هذه العقوبة القاسية؟**

ويبدو أنه فى كل مرة يهاجم فيها السنيورة العدو الإسرائيلى أو ينتقد المجتمع الدولى: «**. . . فالمعروفُ أنّ أكثر القرارات الدولية ذات الصلة بالصراع العربى/ الإسرائيلى، ما**

نفذتْها إسرائيلُ حتى الآن، بل إنها سارتْ فى اتجاهات معاكسة لها، ولقيتْ فى انتهاكاتها للقرارات الدولية استحسانَ بعض الأطراف الكبرى فى العالَم»[٢٠].

لا ينسى السنيورة أن يستميل رجل الشارع فى الغرب بترديد نفس مفردات خطابه ونفس مقولاته، وبسرد حجج توضيحية عن الحرية والديموقراطية، مشيراً إلى أن لبنان دفعت هذا الثمن الباهظ من الدمار ومن الإحباط بسبب تبنيها وتمسكها وعدم تخليها عن طريق الديموقراطية والحرية ... . **«. . أهذا ما يسمّى الدفاع المشروع عن النفس؟ أهذا هو الثمن الذى سندفعه لقاء توقنا لبناء مؤسساتنا الديموقراطية؟ أهذه رسالة الدعم المرسلة لبلد التعدد والحرية والتسامح؟»**.

كما رفض السنيورة وصف العدوان الإسرائيلى بأنه حق مشروع فى الدفاع عن النفس؛ بل استعان السنيورة بحجج تقريرية لإثبات ذلك، فذكر وصف أمين الأمم المتحدة المساعد للشئون الإنسانية ومنسق عمليات الإغاثة الطارئة للقصف الإسرائيلى العشوائى لضواحى المدنيين بأنه يعتبر خرقًا لقواعد القانون الإنسانى فيما يتعلق بواجب حماية المدنيين خلال النزاعات. . وذلك لإدانة إسرائيل ... **«لا يمكن لإسرائيل الاستمرار فى تجاهل القانون الدولى إلى ما لا نهاية، فيجب أن تدفع الثمن»**. . فهى الصانعة للخراب فى المنطقة، والإسرائيليون من وجهة نظر خطابه يدفعونه لاستدعاء قول للمؤرخ الرومانى تاسيتوس: **«لقد صنعوا الخراب ويسمونه سلامًا»**[٢١].

كما جاءت مفردات السنيورة محبطة ومتحفظة فى آن واحد من رد فعل **مجلس الأمن** تجاه المسألة اللبنانية ومزارع شبعا. . **«لستُ راضيًا عنَ المسودات التى وصلت إلينا فى اليومين الماضيين من مشروع القرار الذى يتناقشُ مجلسُ الأمن فيه. فهو لا يظلُّ دون الشرطين اللذين ذكرتُهما فقط، بل لا يكاد يُنجز وقفًا حقيقيًا لإطلاق النار أيضًا»**[٢٢] فهذا القرار من وجهة نظر السنيورة لا يأخذ بأمرين أساسيين هما جوهر النقاط السبع؛ وهما الانسحاب الإسرائيلى من المناطق المحتلة أخيراً، والعودة إلى خلف الخط الأزرق، والانسحاب من شبعا تمهيداً لفرض الدولة سلطتها جنوبى نهر الليطانى. . . . . **«إن قرارَ مجلس الأمن رقم ١٧٠١ لم يتجاوبْ مع كلِّ ما طالبْنَا به، إلاّ أنه تعامَلَ مع قضايانا وهواجسنا المشروعة بجدّية كبيرة، فأكّدَ على الانسحاب الإسرائيلى والالتزام الدولى بسيادة لَبنان ودعمَه واَحترَام قراره الوطنى»**. . ومع ذلك لم ينف الجهد المبذول من الحكومة اللبنانية فىَ معركتها الدبلوماسية مع المجتمع الدولى لتحرير مزارع شبعا؛ بل

واعتبرها انتصاراً لحكومته . . . . **«لقد خُضْنا معركةً دبلوماسيةً قاسيةً تسلَّحْنا فيها بحقِّنا وباتِّفاقنا واستطعْنا أن نتنزعَ تعديلات جوهريةً على ما كان مقترَحًا أصلاً كنص لإقراره فى مجلسَ الأمن»** . . **«ووضع موضوعٌ مزارع شبعا فى نفس الوقت على طاولة مجلس الأمن مجدَّدًا (بعد أن اعتبر القرار ٤٢٥ أن الأمر قد تم تنفيذه) وهو أمرٌ غيرُ مسبوق فى تاريخ الأمم المتحدة»** .

خامسًا: الموقف من المقاومة فى الجنوب

فى سياق الأزمة حاول السنيورة تبنى موقف متوازن؛ فهو لم يهاجم المقاومة، ودعا فى نفس الوقت إلى تعزيز سيطرة الدولة. ولقد عبر عن موقفه المتوازن هذا بقوله: **«إنه من المبكر الكلام عن أن قرار السلم والحرب يجب أن يكون بيد الحكومة اللبنانية، وإن قرار الحرب أخذته إسرائيل، ونحن نقترح إرسال ١٥ ألف جندى من الجيش اللبنانى إلى الجنوب مدعومين من القوات الدولية، ونؤكد ضرورة أن «تكون المنطقة المذكورة خالية من السلاح إلا من سلاح الشرعية»**. وبدا واضحًا فى خطاب السنيورة أن الأزمة اللبنانية أزمة دولة وليست مجرد مجموعة من التقسيمات المذهبية والدينية والاجتماعية، وأنها أقوى كذلك من شخصية حسن نصر الله . . . إن **«السيد حسن نصرالله رجل محترم ومحبوب من الناس، ولكن المهم الآن إنقاذ لبنان»**. وأوضح أن السنيورة لم ينتقد فى كل خطاباته سياسة أو سلوك حزب الله رغم نفيه أكثر من مرة بعلم حكومته بحادث الخط الأزرق: **«. . إن حكومتى التى لم تكن على علم مسبق بعبور «حزب الله» الخط الأزرق وأسر جنديين إسرائيليين؛ لم تتبن هذه العملية»**. ولا ريب أن وصف حادث حزب الله بـ**«العبور»** وليس **الاختراق** أكد ذلك . . . وفى نفس الوقت كان خطابه اللغوى عنيفًا فى اختراق إسرائيل لسيادة لبنان . . . **«. . إن حكومتى تدين أشد إدانة الرد الإسرائيلى العنيف وعدوانها الذى تخرق به كل القوانين الدولية والاتفاقات والمعايير»**[٢٣].

كما حرص فى خطابه السياسى أن يكسب شرعية لسياساته من الجنوب، ويوحدهم تحت رايته كجزء من الشعب اللبنانى، وذلك حين تفاخر بصمود الجنوبيين والتأكيد على أنه معهم **«. . . لقد صمد اللبنانيون جميعًا، وفى طليعتهم أهلُنا الجنوبيون»**. . وأكد ذلك فى قوله بأنه . . . **«مع الجنوب قلبًا وعقلاً»**[٢٤].

وحرص الخطاب السنيورى على استمالة كافة اللبنانيين بكل قطاعاتهم ومذاهبهم وتعددهم؛ بالمناداة فى خطابه لوقف إطلاق نار فورى «**. . من بيروت ويعلبك وجبيل وصور وصيدا وقانا، وصولاً إلى طرابلس وزحلة وبشرى وللقرى الـ٢١ الواقعة على الحدود الجنوبية**» . . .

ونجح السنيورة فى سرد حججه الواقعية وراء دعوته هذه بالقول بأن وقف إطلاق النار سيكون من شعب حارب وشعب (باسل) . . . « . . **باسم الشعب الباسل فى لبنان**» . . . كما أن هناك أهدافًا سامية وضرورية وراء وقف إطلاق النار، وهى: « **... تأمين إعانات إنسانية للبنان الذى ضربته الحرب؛ ولأن استمرار الحرب ذريعة لإسرائيل للاستمرار فى احتلال الأراضى اللبنانية**»، وكذلك لأن وقف إطلاق النار . . . «**يشكل خطوة على طريق تحقيق السلام العادل والشامل بين شعوب الشرق الأوسط**» . . . وخطوة لإعادة بناء بلدنا المشرذم وإعادته بلدًا عربيًا موحدًا ديموقراطيًا ومنارة للحرية والتعددية والتسامح فى المنطقة[٢٥]، ولأن وقف إطلاق النار سيجعل لبنان مثلاً يحتذى، وأن تحوله إلى ساحة لحروب الآخرين سيحول دون ذلك.

سادسًا: خطة الحكومة لحل الأزمة اللبنانية فى تموز (يوليو) ٢٠٠٦

طرح السنيورة فى مؤتمر روما بتاريخ ٢٦/ ٧ تصورًا شاملاً ومتكاملاً للحلِّ الجذرى، أجمع عليه مجلسُ الوزراء اللبنانى، والقمةُ الروحيةُ المنعقدةُ بمقرِّ البطريركية المارونية ببكركى؛ وهى **خطة كاملة لحل الأزمة اللبنانية** تألفت من سبعة نقاط[٢٦] وضح فيها تفادى فؤاد السنيورة الميل إلى أى قوة داخل لبنان؛ إذ سعى لإيجاد قدر من التوازن بين الخطابات المتعارضة، ولم الشمل اللبنانى، وتمحورت خطته حول نقطة واحدة وهى: وقف إطلاق نار فورى وشامل وإعلان اتفاق حول المسائل التالية[٢٧]:

١ ـ التعهّد بإطلاق الأسرى والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين من طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢ ـ انسحاب الجيش الإسرائيلى إلى خلف الخط الأزرق وعودة النازحين إلى قراهم.

٣ ـ التزام مجلس الأمن بوضع منطقة مزارع شبعا وتلال كفر شوبا تحت سلطة الأمم المتحدة حتى ينجز ترسيم الحدود وبسط السلطة اللبنانية على هذه الأراضى، علمًا بأنها

ستكون خلال تولى الأمم المتحدة السلطة مفتوحة أمام أصحاب الأملاك اللبنانيين، كما أنه يتعين على إسرائيل تسليم كلّ خرائط الألغام المتبقية فى جنوب لبنان إلى الأمم المتحدة.

٤ ـ بسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كامل أراضيها عبر انتشار قواتها المسلحة الشرعية؛ مما سيؤدى إلى حصر السلاح والسلطة بالدولة اللبنانية كما نص اتفاق المصالحة الوطنية فى الطائف.

٥ ـ تعزيز القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة العاملة فى جنوب لبنان، وزيادة عددها وعتادها، وتوسيع مهامها ونطاق عملها وفقًا للضرورة؛ بهدف إطلاق العمل الإنسانى العاجل وأعمال الإغاثة، وتأمين الاستقرار والأمن فى الجنوب ليتمكن النازحون من العودة إلى منازلهم.

٦ ـ اتخاذ الأمم المتحدة بالتعاون مع الفرقاء المعنيين الإجراءات الضرورية لإعادة العمل باتفاق الهدنة الذى وقعته لبنان وإسرائيل فى العام ١٩٤٩، وتأمين الالتزام ببنود هذا الاتفاق، إضافة إلى البحث فى التعديلات المحتملة عليه، أو تطوير بنوده عند الضرورة.

٧ ـ التزام المجتمع الدولى بدعم لبنان على كل الأصعدة، ومساعدته على مواجهة العبء الكبير الناتج من المأساة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية التى يشهدها البلد، وخاصة فى ميادين الإغاثة وإعادة الإعمار وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى.

وكان واضحًا تلويح خطاب السنيورة بأن هناك فاعلاً واحدًا للعمل السياسى فى لبنان وهو الدولة اللبنانية بجيشها ورموزها: «**. . . الدولةَ الدستورية، الحرة القوية، ونظامَها الديموقراطى، وجيشها الوطنى، الدولة التى توافق اللبنانيون عليها، وهى الدولةُ التى لا يُستعاضُ عنها بالدويلات أو أشباهِها. . .**»[٢٨].

ولقد قصر السنيورة مهمة البناء على هذه الدولة (الشرعية) التى بحاجة إلى التعضيد، لا إلى التفريق أو التمييز: «**. . . ستتحمَّلُ الدولةُ كلَّ مسئولياتها فى الإغاثة وإعادة الإعمار بمعاونة الإخوة العرب وأصدقائنا الكُثُر فى العالم، بشفافية كاملة ودونَ تمييز ولا تفريق وليس لنا فى ذلك منةٌ على أحد، فالدولةُ للجميع وواجبُها أن تصونَ حقوقَ مواطنيها جميعًا، وسنعتمدُ صَيَغًا للعمل وأساليبَ تأخذ بالاعتبار حاجتنا إلى السرعةِ وتضمنُ القَدْرَ الأكبرَ من الفعالية**»[٢٩].

كما نفى تمامًا فى خطابه أن تكون الدولة اللبنانية دولة متحيزة ضد أى فئة من الفئات، وأكد أنها دولة كل اللبنانيين «. . . **أنا لا أتصرف بمنطق الفريق أو الطائفة أو الفئة السياسية، أو الحزب؛ بل إننى أتصرفُ باعتبارى رئيسَ وزراء لبنان، والموقعُ لا يتسع إلاّ للدولة، دونما استثناءٍ أو تفرُّد أو تنازُلٍ أو مساومة**»[٣٠].

والجدير بالذكر أن الخطاب السنيورى جاء أكثر قوة وصلابة عقب الحرب، فى محاولة من جانبه لتوحيد الصف اللبنانى، وتفادى تبعات ما بعد الحرب وإطلالة الولاءات التحتية برأسها؛ فتعبيرات الإعزاز والثقة بالذات وباللبنانيين قد غلفت مفرداته. . . «**وأنا على ثقة**» . . . . . «**الثقة التى بها حُفظ الوطن وحُفظت وحدة اللبنانيين**»[٣١].

ولقد تم توظيف الأزمة إيجابيًا فى الخطاب الرسمى للسنيورة بعد انتهائها؛ إذ اتخذها مثالاً رائعًا على صمود وجلد اللبنانيين على الشدائد، وذريعة لاستمرارية هذا الجلد فى كل الأزمات المستقبلية. . . «**فقليلة هى الأوطان والبلدان التى قاست ما قاساه ويقاسيه لبنان. وقليلة هى الأوطان والبلدان التى صمدت على المعاناة وعلى التجارب والمحن كما صبر لبنان، وكما صبر شعبه، وكما تماسكت فئاته**»[٣٢].

وقصد خطاب السنيورة من ذلك تأكيد المسئولية الشعبية تجاه الوطن «. . . **ذلك أن الصمود الأسطورى للشعب اللبنانى مع وطنه ووحدته وحريته وسيادته؛ فرض ويفرض على الجميع تكاليف ومسئوليات بقدر ذلك الصمود**». وحدد تلك المسئولية فى خطابه فى «. . . **مسئولية بناء الدولة القادرة والحامية بالمشاركة القوية والإيجابية فى النظام الديموقراطى**».

وتحددت أولويات السنيورة فيما بعد الحرب فى عدة قضايا أهمها «. . . **إقفال ملف النزاعات الداخلية، والعمل على ألا يكون لبنان ساحة للصراعات الخارجية أو لتصفية الحسابات**» . . . وكذلك التفكير فى عملية إعمار ما بعد الحرب. وقد حدد السنيورة هذه القضايا بأنها: «. . . **الواجبات والضرورات التى تتمثل فى: . . . إعادة الإعمار، وإعادة بناء الاقتصاد الوطنى والتفكير من أجل مستقبل اللبنانيين، ومستقبل لبنان وتحقيق ازدهارهم ومشاركتهم الفاعلة فى منطقتهم وفى العالم المعاصر**»[٣٣].

سابعًا: علاقة الحكومة اللبنانية بقوى المعارضة بعد الأزمة

أكد خطاب السنيورة على ترحابه بالاختلاف فى الرأى بصفته لب الديموقراطية: «**أنا لا أقلل أهمية وحق الاختلاف السياسى فى بلد ديموقراطى نحرص فيه على الحريات العامة، ولا سيما الحريات السياسية**» . ولكنه حدد بعض الثوابت التى لا تقبل النقاش والمزايدة السياسية فى هذا الاختلاف وهى: «**. . لا شروط على الوطن، ولا شروط على الدولة، ولا شروط على النظام الديموقراطى**»[٣٤]. وإنما يأتى الاختلاف من وجهة نظره بين الفرقاء السياسيين فى وسائل المشاركة وآلياتها.

وفى سياق حديثه عن سيناريو الحكومة/ المعارضة فى لبنان؛ ركز خطاب السنيورة على عوامل الوحدة فى خطابه أكثر من عوامل الاختلاف: «**إننى أرى أن ما يجمع اللبنانيين أكبر وأكثر بكثير مما يفرقهم. نحن مجمعون على نهائية الوطن، ونهائية العيش المشترك، وعلى الانتماء العربى، وعلى الدولة الجامعة، التى تحمى ولا تهدد، وتصون ولا تبدد، وعلى النظام السياسى الديموقراطى الذى يمثل إرادة اللبنانيين من خلال الانتخابات الحرة والمنتظمة، وفصل السلطات وتعاونها، وقواعد إدارة الشأن العام، ولا سيما المراقبة والمحاسبة**»[٣٥]. وبنظرة متفحصة إلى عوامل الوحدة هذه؛ سيتضح أنها روح -إن لم تكن بنود- دستور الطائف الذى أجمعت عليه كل القوى اللبنانية.

كما حدد السنيورة شروطًا للاختلاف فى الرأى؛ إذ لا يجب أن يكون حادًا، أو يفتح بابًا للفتنة داخليًا، أو للتدخل الخارجى: «**. . . لا أرى ما يدعو إلى الحدة فى التعبير الذى تعلو فيه الأصوات بما يوتر المواطنين ولا يزودهم منفعة إضافية، وهذا ما يذكرنا بقول الفقيه المعروف الحسن البصرى الذى حذرنا من الصوت العالى الذى يستدعى الفتنة، ويقطع الألفة**». «**إن الأخطار على الوطن لا تأتى من الخارج فحسب؛ بل تأتى أيضًا من الانقسام الداخلى. . ماذا يفيد إن ربحت العالم وخسرت نفسك؟**»[٣٦].

وتبنى خطاب السنيورة الشعار الجديد للبنان ما بعد الأزمة فى الثقة والمسئولية وبناء المستقبل؛ كثلاثة عناوين لموضوع واحد هو: «**لبنان النظام الديموقراطى**»[٣٧] ولبنان الدولة، كما أورد العديد من الحجج التقريرية/ الدينية التى تعضد حديثه: «**. . . . تبقَون، وتبقى أمتُنا العربية، ويبقى لبنان: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**».

وبقراءة لغوية لخطابات السنيورة؛ يتضح غلبة الأساليب اللغوية التى تستهدف التأثير على وجدان الشعب اللبنانى للم الشمل فى مواجهة الموقف المتأزم بسبب الحرب الإسرائيلية. . ومن هذه الأساليب الضمائر الشخصية وتكرار المفردات.

فبالرغم من إبراز لبنان فى خطابات السنيورة بالدولة الهشة الضعيفة فى مواجهة إسرائيل، إلا أنه حرص فى العديد من فقرات خطاباته بالتحدث عن نفسه كرئيس وزراء لبنان؛ لإعطاء انطباع بأنه ما زال ممسكًا بزمام الأمور، ومحتفظًا بقوته فى اتخاذ العديد من القرارات على المستوى الداخلى والخارجى؛ فضمائر المتكلم هنا «**. . . كنت، أود، أستطيع، أتكلم، أصف. . .**» تبرز صفته باعتباره المتحدث الأوحد عن الدولة اللبنانية، وتعنى ضمنًا رفضه لممارسات حزب الله فى الداخل، أو أن يكون حزب الله هو المتحدث باسم الدولة اللبنانية. ولا ريب أن اختلاط الضمير (أنا) بـ (نحن) فى كثير من فقرات الخطاب. . . «**واجبنا، نصون، لدينا، مؤسساتنا، نعمل**». . إنما يؤكد توحد الصف الداخلى، وتبنى مشروع واحد، وإلقاء تبعات الحفاظ على لبنان (الوطن) على عاتق كل اللبنانيين.

كما كثر استخدام السنيورة لضمير المتكلم فى صيغة الجمع (نحن)؛ وذلك لاستمالة الشعب اللبنانى بكل طوائفه، والتعبير عن القوة والتوحد مع المستمعين. . «**نحن نحتاج التأييد الكامل من جانب المؤتمر الإسلامى**»[٣٨]؛ إذ من المعروف أن ضمير الجمع ومشتقاته يعبر عن هوية الجماعة، وزيادة استخدامه دلالة على تقسيم المستمعين إلى موالين أو أفرادًا خارج الجماعة؛ ومن ثم تجسيد لمفهوم «الأنا» و«الآخر».

ووضح أن السنيورة قد قرن فى خطابه بما تشهده البلاد من حرب ودمار؛ لكى يبرز أن الخراب الذى طال لبنان إنما هو بالأساس خراب ودمار قد شمل كافة الفئات والأفراد والجماعات، ليس الجنوب فقط أو حزبًا بعينه دون الآخر. . ويعكس كل هذا لغويًا أهمية استثمار ذلك المعنى من قبل اللبنانيين جميعًا، وبالتالى ضرورة انصهارهم فى بوتقة واحدة خاضعة لسيطرة حكومة السنيورة؛ وذلك ما دفعه فى بعض خطاباته إلى استخدام الضمير (إننا) مع الفعل (نرى) ليعمق إرادة حكومته فى التفاوض وإنهاء نفوذ حزب الله فى الجنوب.

كما حرص السنيورة فى كثير من فقرات خطبه على استخدام ضمير المتكلم (أنا) من خلال بعض الأفعال المساعدة على إيصال رسالته: «**. . . . خاطبت، تقدمت. .**»؛ ليشير إلى قدرة السنيورة على مواجهة الأزمة اللبنانية فى الساحة الدولية.

ولا ريب أن الثقة التى يبعثها إلى شعبه تنعكس إيجابيًا على قدرته على مخاطبة المجتمع الدولى فى هذا الظرف الاستثنائى؛ حيث يوجه خطابه مثلاً إلى الاتحاد الأوروبى بضمير المتكلم «نحن» ليدلل للمجتمع الأوروبى على أن كافة القرارات التى ستتخذ لمعاونة لبنان إنما تخضع فى نهاية المطاف لسيطرة الحكومة الحالية؛ وهى حكومة السنيورة، ليخفف من وطأة ما يشعر به الغرب تجاه سيطرة حزب الله على الجنوب وتهديد إسرائيل الحليف للكثيرين فى المنطقة.

وبشكل عام كان أسلوب **التوحد والإطراء** عن الآخر أحد أهم الأساليب اللغوية للسنيورة فى خطاباته، «**مقاوموكم ـ شهداؤكم ـ صامدوكم**»؛ فاقتران هذه الضمائر ببعض المفردات اللغوية البراقة التى تحرك مشاعر وعواطف الشعب اللبنانى؛ إنما قصد منها إذكاء روح البطولة لدى الشعب لاستثمارها فى تواصل عملية الدفع للمقاومة الإسرائيلية: «**. . . . إنكم بفضل صمودكم. . ومواجهتكم لحربه على لبنان أكدتم أن إسرائيل لم تعد قوة لا تقاوم. . .**».

كما يجىء العهد الذى حرص السنيورة عليه وامتزج بالضمير (نحن) فى أكثر من فقرة فى خطابه. . . «**إننا نعاهدكم. .**»؛ ليلقى بتبعة المواجهة وحل الأزمة على عاتق الحكومة، وليكتسب الثقة من الشعب.

ويؤكد هذا المعنى استخدام السنيورة لنفس الضمير حين تحدث أمام مجلس الوزراء العرب عن الأزمة؛ فاستخدم لفظ «تواجهنا» ليدلل على أن الأزمة التى يواجهها لبنان هى الأزمة التى تواجهها الأمة العربية، وأن قرار إنهاء الحرب إنما يخص العرب جميعًا؛ لأنه «**تحدٍّ**» لتلك الدول فى مواجهة إسرائيل.

ولما كانت الألفاظ المتكررة تدعم وتعيد صياغة مفاهيم الجماعة، إضافة إلى إعادة صياغة الأدوار المنوطة بالأفراد؛ عمد السنيورة فى معظم خطاباته إلى الإشارة إلى الدمار الذى خلفته الهجمة الإسرائيلية على لبنان، وإلى الخراب الذى طال البلاد، ومدى ما نشرته هذه الحرب من تدمير، وهو يهدف من تكرار الإشارة إلى هذا الدمار إلى بث مشاعر

الحسرة التى يشعر بها شخصيًا، وبذلك يدعم موقفه أمام الشعب اللبنانى كمسئول عن لبنان وعمّا يعانيه، كما يعمل على بث هذه المشاعر متضامنًا مع شعبه أمام الرأى العام العالمى؛ كى يؤكد على عمق الجريمة الإسرائيلية؛ مما يمكنه من كسب تعاطف المجتمع الدولى وتأييده.

كما أن تأكيد السنيورة وتكراره فى كل خطاب على فكرة الخسارة اللبنانية المتمثلة فى الشعب: «**. . . ومن استشهدوا فداءً لهذا الوطن**» . . إنما هى محاولة من جانبه للضغط على الجانب النفسى للشعب اللبنانى، مؤكدًا أن الحكومة لن تقف مكتوفة الأيدى، كما لن يسعدها أن تستمر فى حكمها وقد دمرت البلاد، وفى هذا تأكيد آخر على اضطلاع الحكومة بمهامها داخليًا وخارجيًا، ويدعم هذا التكرار المفاهيم التى سبق وتم طرحها فى تناول الضمائر الشخصية؛ حيث يشدد السنيورة داخليًا على توجهه فى الداخل متمثلاً فى إبعاد حزب الله عن دوره فى الجنوب، وكذلك موقفه الخارجى فى القدرة على التفاوض مع المجتمع الدولى باسم لبنان كله.

واللافت للنظر أن خطاب السنيورة عن تكرار الحديث عن الدمار الذى لحق لبنان أمام الغرب؛ كان الهدف من ورائه إيضاح أن الدولة اللبنانية تحتاج إلى دعم الغرب السياسى لبناء الدولة الديموقراطية المشهود لها، والتى لن يصدر عنها أى تهديد عسكرى أو دينى لدول المنطقة أو لباقى دول العالم. . . «**إن المجتمع الدولى له مصلحة فى مساعدة شعوب المنطقة للتخلص من مشاعر اليأس ولبناء مجتمعات أكثر ديموقراطية**»[٣٩].

* * *

الخاتمة

للوهلة الأولى يتضح من تحليل الخطاب السياسى للسنيورة أن هناك ثلاثة مرتكزات أساسية لتحليل الأزمة التى طالت لبنان بسبب الحرب مع إسرائيل تمثلت فى:

١ ـ محاولة السنيورة استغلال هذه الأزمة لتدشين سلطته بالداخل، وإبعاد حزب الله عن العملية السياسية والعسكرية فى الجنوب.

٢ ـ كسب تأييد الدول العربية لمساعدة لبنان اقتصاديًا وماليًا ومساعدتها فى بناء بنيتها التحتية التى دمرتها الحرب.

٣ ـ التأثير على العالم الغربى بتكرار المردود الإيجابى لمساندتهم السياسية والعسكرية لحكومة السنيورة، والمتمثل فى ترتيب الأوضاع السياسية للبيت اللبنانى بما يتفق مع مصلحة الغرب، ويضمن عدم تهديد دول الجوار اللبنانى، ويحقق الاستقرار فى المنطقة.

ولقد غلب على لغة السنيورة مفردات وأساليب الاستمالة أكثر من عبارات التهديد والوعيد. كما اتخذ السنيورة من مفردات الضعف والظلم والهوادة أكثر من مفردات التحدى والقوة سبيلاً لتمكين حكومته، فحتى عند الحديث عن البناء وإعادة الإعمار؛ كان المسكوت عنه دائمًا الحاجة إلى الدعم العربى والغربى.

واللافت للنظر أن ضمائر المتكلم (نحن) أو (أنا) قد غلفت كثيرًا من عبارات السنيورة، فى إشارة واضحة لحاجة السنيورة وحكومته للدعم المادى والمعنوى، ولتأكيد أنه لا يزال يمسك بزمام الأمور.

وقد يبدو غريبًا أن لغة السنيورة فى حديثه عن الآخر (حزب الله) لم تحتل المساحة المتوقعة فى خطاباته، ولم تتطرق مفردات خطابه أبدًا إلى المهاجمة أو اللوم، رغم أن المسكوت عنه أحيانًا والمفهوم ضمنًا فى أحيان أخرى هو محاولة استبعاد هذا الآخر الذى سبب كل تلك الأزمة، أو على الأقل استيعابه وتضمينه فى مظلة الدولة اللبنانية بحكومة السنيورة. هذا ولقد بدا السنيورة فى كثير من فقرات خطابه موضوعيًا ذا حجة برهانية علمية... **«علينا ليس فقط أن نقنع أنفسنا بحقنا، علينا أن نقنع الآخرين بأن لنا حقوقًا وأننا علينا أن ندافع عن هذا الحق وأن نستحق حقنا»**[٤٠]؛ ولذا كان السنيورة حريصًا فى كل مرة يتحدث فيها عن جانب من جوانب الأزمة أن يورد حججًا تقريرية توضيحية أو إمبريقية تدعم ما يقوله؛ ليؤكد أنه ابن بار لسيرته الذاتية[٤١]؛ فبالرغم من أنه معروف بحبه للثقافة العربية، والأدب العربى وطول باعه فى اللغة العربية وآدابها، وتوليه منصب رئيس النادى الثقافى فى بيروت، إلا أنه ذو اهتمام كبير بالأرقام والميزانيات... «أنا عقلى دائمًا يتطلع إلى قدام؛ لأنه اللى بيظل بيتطلع لورا ما بيوصل لنتيجة بيعمل حوادث مرور»[٤٢].

* * *

الهوامش :

1 - Geis, M.L., The Language of Politics, New York: Springer Verlage, Inc., 1987, P.18.

2- Jowett & O'Donnel, Propaganda and Persuasion, London: Sage Publication, 1999, P.6

3- Geis, Op. Cit., P.8

4- Wodak, R, Language, Power and Ideology: Sudies in Political Discourse, 1989.

٥ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : المستقبل، الخميس ٢٧ تموز ٢٠٠٦ ، العدد ٢٣٣٧ ، شئون لبنانية، صفحة ٥ .

٦ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

٧ ـ المرجع السابق .

٨ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

٩ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٠ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف فى : ٤/ ٨/ ٢٠٠٦ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ .

١١ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٢ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة . . أضيف فى : ٠٤/ ٠٨/ ٢٠٠٦ ، ٣٩ : ٤٢ : ١٢ . .

١٣ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .

١٤ ـ كلمة دولة رئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ أضيف فى : ١٧/ ٠٨/ ٢٠٠٦ ، ٠٤ : ٣٣ : ٠٩ .

١٥ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما : مرجع سبق ذكره .

١٦ ـ أحمد تهامى عبد الحى، الدلالات الحضارية فى الخطاب الرسمى وخطاب القوى السياسية اللبنانية : تعددية ثرية أم اختلاف وتشظى؟ بحث مقدم إلى مركز البحوث والدراسات الحضرية، بحث غير منشور، ٢٠٠٦ .

١٧ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير، الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .

١٨ ـ كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .

١٩ ـ كلمة الرئيس السنيورة لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٢٠ ـ المرجع السابق .

٢١ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٢ ـ كلمة الرئيس السنيورة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد اليوم فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ . أضيف فى: ٧/ ٨/ ٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
٢٣ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٤ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .
٢٥ ـ المرجع السابق.
٢٦ ـ الكلمة التى ألقاها رئيس الحكومة فؤاد السنيورة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى روما: مرجع سبق ذكره.
٢٧ ـ كلمة الرئيس السنيورة التى ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لمجلس وزراء الخارجية العرب الاستثنائى الذى عقد اليوم فى السراى الكبير، ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ . أضيف فى: ٧/ ٨/ ٢٠٠٦، ١١: ٥٩: ٤.
٢٨ ـ فؤاد السنيورة، السراى الكبير، الأربعاء فى ١٦ آب ٢٠٠٦ .
٢٩ ـ المرجع السابق.
٣٠ ـ المرجع السابق.
٣١ ـ إفطار السرايا، مرجع سبق ذكره.
٣٢ ـ المرجع السابق.
٣٣ ـ المرجع السابق.
٣٤ ـ المرجع السابق.
٣٥ ـ المرجع السابق.
٣٦ ـ المرجع السابق.
٣٧ ـ المرجع السابق.
٣٨ ـ خطاب السنيورة أمام الوزراء والسفراء العرب: ٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٩ ـ كلمة السنيورة أمام البرلمان الأوروبى، مرجع سبق ذكره.
٤٠ ـ مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان، العربية، ١٧ أغسطس ٢٠٠٦ .
٤١ ـ ولد فؤاد عبد الباسط السنيورة فى مدينة صيدا، عاصمة الجنوب اللبنانى، عام ١٩٤٣، ونشأ فى حى الكنان، وتحديداً فى حارة الأمريكان، فى عائلة صيداوية مسلمة سنية من الطبقة المتوسطة. بدأ السنيورة حياته العملية فى العاصمة اللبنانية بيروت بعد تخرجه عام ١٩٦٧ ببكالوريوس فى إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية فى بيروت، وحصل عام ١٩٧٠ على ماجستير فى إدارة الأعمال أيضًا من الجامعة نفسها. وعلى الأثر عمل بين عامى ١٩٧١ و١٩٧٦ محاضراً فى الجامعة الأمريكية، وبين ١٩٧٥ و١٩٧٦ فى الجامعة اللبنانية أيضًا. وخلال الفترة ذاتها عمل بين عامى ١٩٧١ و١٩٧٥ فى مركز التدريب التنفيذى التابع لمصرف «فيرست ناشونال سيتى بنك» . وكان قد شغل بين عامى ١٩٦٧ و١٩٧٢ وظيفة مساعد مدير فى المصرف.

وفى عام ١٩٨٣ عاد السنيورة إلى العمل الخاص فتولى منصبى مجلس الإدارة والمدير العام فى بنك البحر المتوسط حتى عام ١٩٩٢ ، وتولى أيضًا رئاسة مجلس إدارة ومنصب المدير العام فى البنك السعودى اللبنانى بين عامى ١٩٨٦ و١٩٩٢ .

فى أواخر عام ١٩٩٢ دخل السنيورة فعليًا المعترك السياسى عندما اختاره الرئيس الحريرى وزير دولة للشئون المالية فى حكوماته الثلاث الأولى (احتفظ الحريرى نفسه بحقيبة وزارة المالية بجانب الرئاسة)؛ وذلك بين ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٢ و٢٥ مايو (آيار) ١٩٩٥ ، ثم بين ٢٥ مايو ١٩٩٥ و٦ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٦ ، ثم بين ٧ نوفمبر ١٩٩٦ و٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٨ . وفى مطلع عهد لحود الذى شهد ابتعاد الحريرى عن رئاسة الحكومة لمدة سنتين، بين أواخر ١٩٩٨ وأواخر ٢٠٠٠ ؛ وجهت عدة تهم مالية إلى السنيورة وعدد من المسئولين فى عهد وزارات الحريرى، غير أن القضاء برأ ساحتهم. وبعد انتخابات عام ٢٠٠٠ التى حقق فيها الحريرى انتصارًا ضخمًا لا سيما فى بيروت حيث خسر حتى رئيس الحكومة الرئيس الحص مقعده البرلمانى؛ عاد السنيورة إلى مقاعد الوزارة، وهذه المرة شغل منصب وزير المالية فى حكومتى الحريرى الرابعة والخامسة بين ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠ و١٥ إبريل (نيسان) ٢٠٠٣ ، وبين ١٧ إبريل ٢٠٠٣ و٢٦ أكتوبر ٢٠٠٤ .

٤٢ ـ مقابلة خاصة مع رئيس وزراء لبنان، العربية، مرجع سبق ذكره.

***

٨ـ دراسة لخطاب إيهود أولمرت:
توظيف الخطاب السياسى فى الحرب النفسية

أ. حسام حسن محمد(*)

مقدمة

خلال الفترة من ١٢ يوليو وحتى نهاية أغسطس ٢٠٠٦ شهدت منطقة الشرق الأوسط حربًا عسكرية إسرائيلية ضد لبنان ردًا على قيام حزب الله اللبنانى باختطاف جنديين إسرائيليين من المنطقة الحدودية، اصطلح على تسميتها فى إسرائيل بـ«الجزاء المناسب»، وهو اسم يحمل دلالات معينة توحى بأن هناك رد فعل على فعل سابق، وأن رد الفعل يمثل الجزاء المناسب. هذه الزاوية من الرؤية الإسرائيلية للحرب تدفعنا إلى البحث فى الجانب الآخر للحرب، وهو البعد غير العسكرى المتمثل فى حرب الكلمات تلك التى جرت فى مسار آخر بالتوازى مع صوت الصواريخ والمدافع. وترجع أهمية دراسة هذا الجانب من الحرب فى أنه احتل جزءًا كبيرًا من المشهد الإستراتيجى للحرب، بسبب ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى تم استغلالها جيدًا فى الحرب من خلال الدور الذى لعبه الإعلام فى نقل الخطاب السياسى لأطراف الصراع. فقد بدا واضحًا أن ثمة حربًا أخرى مختلفة وخفية تجرى بين حزب الله وإسرائيل عبر طرف ثالث هو الإعلام تتباين اتجاهاته وفقًا للأجندة الخاصة لوسائل الإعلام الإسرائيلية والعربية والغربية. والملاحظ للخطابات السياسية لرئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت والأمين العام لحزب الله حسن نصر الله يجد أنها جاءت فى إطار إستراتيجية معدة مسبقًا لتحقيق أهداف

(*) باحث فى العلوم السياسية ـ الهيئة العامة للاستعلامات.

يتقدم الباحث بشكر خاص للمترجمة مروة جابر أحمد المترجمة بالهيئة العامة للاستعلامات على جهودها فى ترجمة المادة العبرية التى استعان بها فى الدراسة.

وغايات معينة يمكن الاستدلال عليها واستكشافها من مضمون تلك الخطابات وما وراء النص.

انطلاقًا مما سبق، تسعى هذه الورقة إلى الكشف عن مدى حقيقة توظيف الخطاب السياسى لرئيس الوزراء الإسرائيلى فى إطار الحرب النفسية، من خلال تحليل مضمون خطاباته، عبر الإجابة على التساؤلات الرئيسة التالية:

١ ـ هل تم صياغة الخطاب السياسى لرئيس الوزراء الإسرائيلى خلال الحرب ليلعب دورًا فى إطار الحرب النفسية؟

٢ ـ كيف لعب الخطاب السياسى لرئيس الوزراء الإسرائيلى دورًا فى الحرب النفسية؟

٣ ـ هل نجح أولمرت فى تحقيق أهدافه من توظيف الخطاب فى الحرب النفسية؟

ومن أجل الإجابة على التساؤلات السابقة تطرح الورقة مجموعة من الأسئلة الفرعية التى تمثل الإطار الذى سيتم من خلاله تحليل مضمون خطابات أولمرت، وتتمثل هذه الأسئلة فيما يلى:

١ ـ ما هى أهم القضايا التى ركز عليها أولمرت فى خطاباته، وما هو حجم الاهتمام بها؟

٢ ـ ما هى صورة حزب الله فى خطاب أولمرت؟

٣ ـ ما هى صورة الحرب فى خطاب أولمرت، ونظرته إلى مفهوم النصر والهزيمة؟

٤ ـ ما هى الرسائل المتضمنة فى خطاب إيهود أولمرت؟ ومن هم المستهدفون بهذه الرسائل؟

٥ ـ هل أثرت خطابات أولمرت فى المستهدفين؟ ولماذا؟

تعتمد الدراسة فى تحليلها على أربعة عشر[1] خطابًا لرئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت فى الفترة من ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦ إلى ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦، تنوعت ما بين خطاب رسمى وتصريحات صحفية، مصدرها الموقع العربى لوزارة الخارجية الإسرائيلية ونصوص مترجمة من الصحف الإسرائيلية، وقد تم مراجعة النص العربى على الموقع مع النص العبرى على الصفحة العبرية لموقع الوزارة لاستيضاح الفرق بينهما، وتبين من تلك المراجعة عدم وجود فارق يذكر، واستخدام لغة عربية دقيقة فى الترجمة.

وقد استعان الباحث بأداة تحليل المضمون لتحليل هذه الخطابات، وتعد هذه الأداة من أكثر الأدوات المنهجية فى تحليل الخطاب، ويعنى تحليل المضمون الوصف الموضوعى والمنظم والكيفى والكمى لمادة الاتصال، من خلال تحديد فئات التحليل ووحدات للتحليل وتحليلها كميًا وكيفيًا[٢].

تنقسم هذه الورقة إلى أربعة أجزاء على النحو التالى:

أولاً: السيرة الذاتية: أبعاد شخصية إيهود أولمرت

يتناول هذا الجزء السيرة الذاتية لرئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت، ويناقش تأثير الأبعاد والجوانب الشخصية على أدائه خلال الحرب.

ثانيًا: مفهوم الحرب النفسية: حرب مختلفة وخفية

يهتم هذا الجزء بالحرب النفسية، المصطلح وتطوره التاريخى، والعناصر الأساسية لهذه الحرب.

ثالثًا: مضامين الرسائل (الإرهاب- البراءة- القوة- الصمود)

يتعرض هذا الجزء لتطبيق كيفية توظيف أولمرت لخطابه السياسى كجزء من الحرب النفسية فى الحرب على لبنان. من خلال تحليل رسائل الخطاب، والمستهدفين، وأهداف الرسائل المتضمنة فى الخطاب.

رابعًا: ردود فعل المستهدفين: صدى صوت خافت

يناقش هذا الجزء مدى نجاح أولمرت وفشله فى تحقيق أهدافه من توظيف الخطاب فى الحرب النفسية، من خلال تحليل ردود فعل المستهدفين بالخطاب على خطابه.

أولاً: السيرة الذاتية: أبعاد شخصية إيهود أولمرت

لقد أطلق إيهود أولمرت شرارة الحرب على لبنان ردًا على اختطاف حزب الله لجنديين إسرائيليين يوم ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦، واستمرت الحرب حتى صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ بوقف إطلاق النار، هذه الحرب التى دارت رحاها على مدار أكثر من ثلاثة وثلاثين يومًا لا يمكن فهمها دون معرفة خلفية إيهود أولمرت التاريخية وطباعه الشخصية التى تركت آثارها بشكل مباشر أو غير مباشر على مسار الحرب والأداء السياسى والعسكرى الإسرائيلى خلالها.

١ ـ تاريخ أولمرت

ـ ولد أولمرت لأسرة مثقفة تتبنى أفكارا قومية متشددة[٣]، وكان والده عضواً فى الكنيست الإسرائيلى[٤]، وبدأ نشاطه العام عندما كان طالبًا فى الجامعة العبرية فى أسرة حيروت الطلابية، وفى تلك الفترة درس القانون وعلم النفس والفلسفة[٥].

ـ عانى أولمرت من مشكلات صحية تمثلت فى تشوهات فى العظام منعته من الالتحاق بالجيش[٦]، لكنه التحق بدورة تدريبية لضباط المشاة دون أن يشارك فى معارك[٧]، وقد خدم فى لواء «جولانى» كمراسل عسكرى فى جريدة «بمحانيه»[٨].

ـ بدأ أولمرت نشاطه السياسى من أواخر الستينيات، ففى عام ١٩٦٦ انضم لشموئيل تامير الذى أنشأ تكتل المركز الحر، وانضم للكنيست الثامن (١٩٧٣) ضمن اللجنة المركزية فى قائمة الليكود وهو فى الثامنة والعشرين من العمر، كما انضم للكنيست التاسع والعاشر، وكان يحتل المركز الحادى عشر فى قائمة الليكود، وفى عام ١٩٨٥ عاد لليكود وكان عضواً عن الحزب فى الكنيست الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر. وفى الفترة من ١٩٨١ ـ ١٩٨٨ كان عضواً فى مختلف لجان الكنيست: الخارجية، والأمن، والمالية والكنيست والتعليم، وفى الفترة من ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠ شغل منصب وزير شئون الأقليات. وفى الفترة من ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢ شغل منصب وزير الصحة وبدأ العمل على تحويل المستشفيات الحكومية إلى اتحادات، وهو أكبر إصلاح شهدته إسرائيل، وفى أواخر عام ١٩٩٣، اختير لرئاسة بلدية القدس، وخلال شغله هذا المنصب بادر بعدة مشروعات حيوية فى القدس منها شبكة الطرق ومشروع القطار الخفيف «الترام»، وفى ١٩٩٩ بزغ نجمه فى انتخابات حزب العمل، وفى سبتمبر ١٩٩٩ خاض منافسة على رئاسة الليكود وحصل على المركز الثانى بفارق كبير عن الفائز آرييل شارون، وبعد انتهاء انتخابات الكنيست السادس عشر فى يناير ٢٠٠٣ شغل منصب وزير الصناعة والتجارة والقائم بأعمال رئيس الوزراء فى حكومة شارون، وآنذاك تقدم باستقالته من منصب رئيس المدينة، كمل شغل أولمرت فى حكومة شارون منصب وزير الاتصالات والوزير المسئول عن إدارة الأراضى الإسرائيلية وهيئة البث. وفى أغسطس ٢٠٠٥ شغل أولمرت منصب القائم بأعمال وزير المالية عقب استقالة الوزير بنيامين نتنياهو[٩]. لمع اسم أولمرت بعد أن أصيب آرييل شارون بجلطة دماغية فى ٤ يناير ٢٠٠٥، إذ خلفه أولمرت فى رئاسة الوزراء

بالإنابه[١٠]، لكنه استطاع الحصول على المنصب فعليًا بعد منافسة انتخابية قوية فى انتخابات ٢٠٠٥ حسمها حزب كاديما الذى ترأسه خلفًا لشارون.

٢ ـ سماته الشخصية

استفاد أولمرت كثيرًا من عمله كمحام خلال الفترة من منتصف الستينيات إلى منتصف الثمانينيات فى المجال السياسى، فمهاراته كمحام جعلته قادرًا على استغلال الفرص دائمًا وتغيير اتجاهاته وفقًا لحساباته الشخصية للمكسب والخسارة، فخلال رئاسته لبلدية القدس أظهر قدرة على الدعاية لنفسه وتكوين صداقات كثيرة، واستغل منصبه لدعم مستقبله السياسى، وبعد تولى أولمرت منصب نائب شارون لعدم وجود بديل إثر حرمانه من منصب وزير المالية، استطاع توظيف شعبية شارون لصالحه خاصة حينما تبنى خطة شارون للانسحاب من قطاع غزة، وطرح بديلاً عنها خطة التجميع، وحين ترك رئيس الوزراء الصراع داخل حزب ليكود وأسس حزب كديما كان أولمرت أول من تبعه[١١]، وسار على نهجه وانتقل من مرحلة المواجهة ـ التى طالما رفع رايتها لسنوات طويلة فى مرحلة فك الارتباط ـ لمرحلة الانطواء[١٢].

يعمل أولمرت فى الغالب على اتخاذ قراراته منفردًا، ولا يحب استشارة الآخرين، ولا يحبذ إجراء مشاورات مستمرة حتى يصل إلى اتخاذ القرار المناسب، فحسب الطريقة التى يتبعها أولمرت فى اتخاذ القرارات فإن القائد يرسم الطريق ويجب على من حوله أن يساعدوه فى التنفيذ لا أن يساعدوه على صياغة أفكاره[١٣].

يجيد إيهود أولمرت مهارة إلقاء الخطب والتعامل مع وسائل الإعلام[١٤]، لكنه فى المقابل يجيد نقد وسائل الإعلام حينما تتناوله بشكل سلبى فيما يتعلق بقضايا الفساد التى تثور حوله، ظهر ذلك واضحًا حينما وجهت إليه الصحافة خلال الحملة الانتخابية لانتخابات الكنيست السابع عشر انتقادات بالفساد على خلفية قضية بيع منزله القديم فى القدس والتى فحصها مراقب الدولة ووجدها سليمة، فقد قال فى مؤتمر للحكم المحلى هذا الأسبوع قبيل الانتخابات تعليقًا على دور الإعلام فيها «لقد اتخذت المعركة الانتخابية فى الأسابيع الماضية وجهة غير متوقعة، حيث تحولت من محاولة للتنافس على نهج إلى معركة لتشويه السمعة، وللأذى ولنشر الأكاذيب، والهدم على المستوى الشخصى بشكل أكثر وحشية وشرورًا»، مما دفع صحفية هاآرتس أن تقول عنه إن أولمرت يحاول تهذيب الإعلام[١٥].

إن قدرة أولمرت على التعامل الجيد مع القانون وفهمه جعلته قادراً على مواجهة التشهير، فكثيراً ما تعرض لادعاءات متكررة بشأن وجود مخالفات، ولكنه سارع بإقامة دعاوى قانونية ونجح فى الفوز فى القضايا بمهارة. فهو ضمن قلة من الساسة الإسرائيليين الذين فازوا بجميع قضايا التشهير التى رفعوها(١٦).

٣ـ أثر شخصية أولمرت على أسلوب إدارته للحرب

ثمة مؤشرات تدلل على تأثير تاريخ أولمرت السياسى وسماته الشخصية على الحرب، تتمثل فيما يلى:

(أ) افتقاد أولمرت لخلفية وتاريخ عسكرى ـ على عكس معظم قادة إسرائيل السابقين ـ أثر على مسيرة الحرب فيما يتعلق بعدم قدرته على تفهم الأوضاع العسكرية على الجبهة اللبنانية، فضلاً عن عدم قدرته على توجيه المستوى العسكرى بما يتناسب مع ظروف الحرب على أرض الواقع، وخضوعه دائما لتوجهات المستوى العسكرى.

(ب) طريقة أولمرت فى اتخاذ القرار التى تعتمد على عدم التشاور مع الآخرين، واستبعادهم من مرحلة صناعة القرار، ساهمت فى اتخاذه قرار الحرب من غير مشاركة جماعية من كافة الأطراف المعنية ذات الصلة بصناعة قرار الحرب، كما أن إدارته للحرب عكست مستوى من التردد يؤكد ذلك النهج، فضلاً عن الخلافات التى ظهرت بينه وبين رئيس الأركان من جهة، ووزيرة الخارجية من جهة أخرى.

(ج) تاريخ أولمرت ينم عن سياسى محنك، لكنه يفتقد إلى الكاريزما السياسية ومن ثم فهو غير مؤهل للتعاطى مع الأزمات التى فشل رؤساء وزراء فى الماضى فى مواجهتها، مثل السقطات الاستخباراتية والعسكرية، واشتعال الوضع على الساحة الفلسطينية، فضلاً عن أزمة اختطاف حزب الله للجنديين الإسرائيليين الذى كانت الشرارة الأولى فى اندلاع الحرب، وكان بالإمكان تسويتها بطرق مختلفة، لولا رغبته فى الظهور بمظهر القادر على حماية أمن إسرائيل وتنفيذ ما يقوله من أهداف لهذه الحرب.

ثانيا: مفهوم الحرب النفسية: حرب مختلفة وخفية(١٧)

لا يوجد تعريف دقيق ومحدد لمفهوم الحرب النفسية وبصورة عامة، فالمقصود منها هو استخدام وسائل ليست عنيفة (خلال الحرب) لتقريب أهدافها، ومن الممكن توسيع أو

تقليص الفكرة، وتغيير هذا المصطلح حسب الضرورة. والحرب النفسية لا تحسم الحروب، ولكنها تكون أداة إضافية فى الحرب العسكرية[١٨]، والحرب النفسية هى دعائية الهدف منها التأثير على الرأى وعلى الشعور والتصرفات ضد الجماعة المستهدفة فى صفوف العدو. والهدف من الحرب النفسية أيضا هو زعزعة الأمن الذاتى لجيش العدو وإيمانهم فى النصر وفى تأدية المهمة والواجب[١٩]، **وتعتمد «الحرب النفسية ـ PSYCHOLOGICAL OPERATIONS» والتى تعرف اختصاراً باسم «سايوبس ـ PSYOPS» على وجود مجموعة من الخبراء والمحللين والأطباء النفسيين، بالإضافة إلى اقتصاديين واجتماعيين وعسكريين بهدف وضع إستراتيجية وخطة متكاملة على المديين القصير والطويل، وذلك من أجل اختيار الإشارات والمعلومات التى ينبغى توصيلها إلى هدف بعينه من أجل السيطرة على انفعالاته وأولوياته وأهدافه، ثم بالتالى توجيه سلوكه وتحركاته فى الاتجاه الذى يخدم مصالح وأهداف وأولويات الدول المحاربة. وتعمل الدول على توظيف وسائل الإعلام بشكل أساسى فى الحرب النفسية، حيث يتم استخدامها فى بث معلومات مكثفة للعدو بغرض تحقيق هدف معين؛ ولهذا يمكن القول إن الحرب الإعلامية هى جزء من الحرب النفسية التى تعتبر جزءاً أساسيا فى الحروب بشكل عام،** ويستخدم الإعلام لتدعيم الأنشطة العسكرية أو افتعال أحداث تدعم الروح المعنوية، أو للتعتيم الإعلامى أو للرد على الدعاية المضادة، وعادة ما يتم اللجوء إلى أساليب الحرب النفسية قبل وفى أثناء المعارك العسكرية لإشاعة الخوف والوهن فى صفوف الخصم العدو، وفى نفس الوقت لرفع الروح المعنوية للقوات المحاربة[٢٠]. **والحرب النفسية على الجبهة الداخلية والخارجية تهدف إلى تحقيق أهداف مباشرة وأخرى بعيدة المدى [٢١]، كما أن فعالية الحرب النفسية ونجاحها ضدّ الخصم تتحقق حينما تحدث تأثيرها فى نفوس الأوساط الشعبية من خلال الوسائل والأساليب، وتحقيق الأهداف العامة التى وضعت من أجلها[٢٢]**، وقد ارتبط مع مفهوم الحرب النفسية عدد آخر من المفاهيم اتفقت معها فى الفكر والأهداف مثل مصطلحات: الحرب الباردة، وحرب الأفكار، والصراع من أجل السيطرة على العقول والإرادة، وهى أيضا حرب الكلمات وحرب الأعصاب وحرب المصطلحات الإعلامية أو الحرب السياسية[٢٣].

١ ـ التطور التاريخى للمصطلح

يرجع مفهوم الحرب النفسية تاريخيًا إلى كلمة «البروباجندا»، وقد بدأ هذا المصطلح فى القرن السابع عشر، وهى اختصار لاسم منظمة أنشئت من أجل مساعدة الكنيسة الكاثوليكية لضم المؤمنين لصالحها. وعملت هذه المنظمة على مستوى العالم، وفى أمريكا الجنوبية كانت هذه المنظمة سببًا فى تنصير ملايين الهنود الحمر، **وحتى هذا اليوم فإن تفسير الكلمة هو «الدعاية». وفى إطار التحضيرات الحربية فى بداية الحرب العالمية الأولى أنشأ الألمان جهازًا إعلاميًا لجموع الجماهير المختلفة، وعندما انخرط البريطانيون فى الحرب أنشئوا جهازًا معقدًا وذا فاعلية كافية بعيدًا عن صراعات البيروقراطية الداخلية، ولقد فهم البريطانيون أهمية استخدام المعلومات بهدف النصر فى الحرب، وقاموا بإنشاء جهاز لهذا الهدف، لكن هذا الاسم كوّن مشكلة بسبب استخدام الألمان مصطلح « البروباجندا»؛ ولذلك اختار البريطانيون مصطلحًا آخر هو (الحرب السياسية). وعندما دخل الأمريكيون للحرب أنشئوا قيادة مشتركة مع البريطانيين وسمى هذا المصطلح الدعائى الجديد باسم (الحرب النفسية)**. ووضعت الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة مشكلة قديمة جديدة، فمن ناحية «البروباجندا» هى أداة لأنظمة دكتاتورية، ومن ناحية أخرى فإنه لا يمكن تجاهل فاعلية هذه الأداة. فكان الحل الدلالى للمشكلة يتمثل بتغيير المصطلح ليصبح (العلاقات العامة)، والحل المنظم جعل هذه الدعاية فى الخفاء، وعلى ذلك تم الاستناد إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ (CIA) وأنشئت الهيئة الجديدة باسم وكالة الإعلام الأمريكية من أجل نشر معلومات.

إن انتشار مصطلح (الحرب النفسية) قد تضاءل وتم الاحتفاظ به للنشاطات العسكرية التقليدية، ففى حرب فيتنام تم استعمال هذا المصطلح ضمن نشاطات المسار النفسى وسميت (بالعمليات النفسية) أو باختصار (psyop) ور بما بسبب اعتقادهم أن لكلمة (عمليات) دلالة لسلسلة عمليات دقيقة وقصيرة، وهذا المصطلح مستخدم حتى اليوم، على الرغم من وجود جهود للبحث عن مصطلح جديد[٢٤].

٢ ـ النموذج الأمريكى فى الحرب النفسية

يمثل النموذج الأمريكى للحرب النفسية الأهم ضمن هذا الإطار، وتتسع الحرب وفقًا لهذا المنظور لتشمل جمع كل معلومة من جميع المصادر التى من الممكن أن توصل إلى

المصالح الأمريكية فيما بعد مدى معين، وهناك جهاز متكامل لكل أجهزة الدولة التى لها علاقة بالمعلومات العسكرية والمدنية على حد سواء؛ وذلك من أجل أن يكون العمل متلائمًا، وانطلاقا من أهداف محددة سابقًا وبشكل يعود بالنفع على مصالح الدولة. ومثال ذلك هناك أجهزة تعمل على نشر الثقافة الأمريكية فى جميع أنحاء العالم وحسب المستويات المقصودة وذلك من قبل عمالقة الصحافة فى البيت الأبيض والحكومة و«CIA» ووحدات الحرب النفسية وضباط العلاقات العامة فى وحدات الجيش، وبذلك تم فهم موضوع الإعلام ونشر المعلومات على أنه وحدة أو مجموعة كاملة.

وتعتبر الوثيقة الأمريكية المركزية غير الواضحة بشكل جزئى التى تحمل اسم «المرشد العسكرى الأمريكى نموذجًا لموضوع أهمية المعلومات (٦ ـ ١٠٠ fm 100-6 field manal (4)»، يتطرق إلى المعلومة على أنها ذات أهمية عليا فى الحرب المستقبلية ويتعرض إلى أساسيات الأفكار لاستخدام المعلومة فى الإستراتيجية الأمريكية. ويتفرع استخدام المعلومة إلى عدد من المجالات هى: مجال الحرب النفسية الذى يتخصص بالسيطرة على المعلومة الموجهة لجماهير مختلفة، وخاصة إلى عدو قائم وموجود أو محتمل، ومجال علاقات الجيش مع الإعلام الذى يتعامل أساسا مع الجماهير حسب الهدف المدنى والعام للولايات المتحدة، ومجال ثالث هو حرب المعلومات، والذى يعمل على إرسال المعلومات انطلاقا من وجهة نظر هذه القنوات، مثل الكمبيوتر وشبكات المعلومات بطرق مختلفة لاستغلال الحرب مع العدو مثل إرسال الفيروس لأجهزة العدو والتشويش الإلكترونى والمغناطيسى وما شابه ذلك. وانسجامًا مع (fm 100-6) يوجد كتاب توجيه وإرشاد لموضوع قانون الحرب النفسية (٣٣ ـ ١ ـ ٥ ـ fm (6)) وهذه هى قوانين الحرب منذ القدم، وقد وضعت النصوص الأولى فى بداية الحرب الباردة، وتحتوى هذه الوثائق على تجديد للأفكار بعيدة المدى فى عقيدة الحرب النفسية الموجودة منذ الحرب العالمية الأولى. والجديد هو فى مواضيع عامة مثل علاقات الجيش والإعلام وارتباطها بالمجال التخريبى السرى فى الحرب النفسية.

ويوزع دليل الحرب النفسية (fm33-1-5) مهام الولايات المتحدة على مستويات متعددة، تتضمن المستوى الإستراتيجى، ويقع على المقياس الشامل من ضمن أجهزة الدولة وبإشراف من الرئيس ومندوبيه. والمستوى الذى يليه هو المستوى العملى والفعال، وهدفه تجهيز السكان فى حالة العمليات الحربية، والهدف هنا تعريف مناسب لقوة عظمى، والتى تضع على رأس أولوياتها مصالحها بصورة شاملة. إن إرسال الجيش إلى مناطق متوترة

يحتم الاستفادة من الخبرات السابقة؛ لذلك يجب تجهيز السكان فى المنطقة لمجىء الجيش كى لا يفسر وجوده بطريقة قد تضر باحتمالية نجاحه، وفى حالة مثل هذه فإن بث المعلومات فى المنطقة فى الأساس من مسئولية الجيش وعلى مستوى عال يتعاون مع المستوى السياسى. وهناك المستوى التكتيكى ويتم التعامل من خلاله مع كل ما هو مقبول أو معروف فى الحرب النفسية فى ساحة المعركة وبشكل منظم حتى على مستوى الوحدات العسكرية الصغيرة. وهدف المستوى الأخير فى مرحلة التأسيس (التعزيز والتقوية) تهيئة الوضع العام للجماهير فى تلك المنطقة المحتلة لتقبل الواقع الجديد.

وفى الجيش الأمريكى أنشئ جهاز متطور من أجل فحص وتحليل وتشكيل المعلومات واستخلاص الرسائل ونشرها لتحقيق الأهداف المنشودة، وهذه الوحدة متحركة ومتنقلة وعلى استعداد للذهاب إلى أى مكان فى العالم وفى أسرع وقت[٢٥]. وبالإضافة إلى النموذج الأمريكى هناك جيوش معروفة ومتعددة لديها وحدات عسكرية كبيرة للحرب النفسية مثل الجيش البريطانى، والفرنسى، والألمانى، والإيطالى. **وفى (إسرائيل) يعتبر موضوع المعلومات أداة إستراتيجية دخل عليها تحسن ملموس، وذلك وفقًا لشهادة رون شليفر الذى يعد أحد أبرز الباحثين فى مركز بيغن السادات فى مجال الحرب النفسية وحرب المعلومات فى الجيش والإعلام**[٢٦].

٣ـ العناصر الأساسية للحرب النفسية[٢٧]

فى الحرب النفسية يوجد ثلاثة عناصر أساسية وهى: الجمهور المستهدف، والرسائل، وقنوات البث.

(أ) الجمهور

يمكن تقسيم الجمهور المستهدف إلى ثلاثة أقسام: المواطنون، العدو، الحياد، وذلك على النحو التالى:

* **الجمهور الأكثر أهمية هم المواطنون،** فعندما تطلب الدولة تجنيد عناصر سكانها للحرب فهى مضطرة أن تقوم بعملية إقناع مواطنيها بالموافقة على التضحية خاصة فى الحرب التقليدية، وفى أوقات الحرب الباردة فإن هناك تجنيدا جزئيا، لكن الدولة مضطرة أن تتعامل وتتأقلم مع صعوبات أخرى مثل التذمر والتشكك المترتب على توزيع غير عادل لعبء المسئولية، ويجب إقناع المواطنين أنه عندما يكون الحديث عن خطر يهدد الوجود يتطلب الكثير من التضحيات، ويجب أن يتم إقناع الجنود الذين يتم تجنيدهم بضرورة

تجسيد أهداف الحرب، وأن احتمالية النصر للدولة التى لا تنجح فى اجتياز هذا الأمر ضعيفة. وتشكل حرب لبنان ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠ فى الخبرة الإسرائيلية مثالا للفشل فى الخطاب الموجه للشعب.

* **الجمهور الثانى هو العدو، وهذه الجماعة تنقسم إلى قسمين** وهما: الجيش والمدنيون، ويكمن هنا الهدف فى العدو بأن ينزع منه الأمل فى النصر، وأن هذا هدف ضائع، وكلما انتهت الحرب مبكرا أكثر كان ذلك من الأفضل، ومن أجل هذا يتم استعراض معطيات القوة والخبرة التاريخية، وهكذا فإن الجانب الأضعف يعرض موارده البشرية واستعداد رجاله للتضحية كوسيلة مفضلة.

* **الجمهور الثالث هو الجمهور الحيادى** والذى ليس له علاقة مباشرة بالصراع، والهدف هنا كسب رأيه، أو على الأقل منعه من مساندة العدو. ومن أجل الوصول إلى الجمهور الحيادى يجب استخدام تقنية العلاقات العامة، وإجراء استطلاعات لموضوعات خارجية عبر الإعلام المحلى وشراء مناطق الإعلام وقنوات وزارة الخارجية (الدبلوماسية والتجارة) واتصالات ثقافية، وتعتبر الجماعة الأكثر تصلبا هى العدو، وليس فقط تحديد كل رسالة تصل على أنها معادية ومضرة بأهداف الحرب، وهذا ما يدفع العدو إلى وقف قنوات البث المعادى إلى جيشه ومواطنيه.

(ب) الرسائل

وعلى ضوء تحليل الرسائل فى حروب القرن الماضى من الممكن أن نستخلص عددا من الرسائل القيمة الموجهة للجماهير وسكان المنطقة وللعدو تركز على قلة الأمل بالنصر وغرس الخوف فى ذاته وبث الشعور بالذنب. ويرمى استهداف مقاتلى العدو إلى التسبب لهم فى الارتباك والتردد والرضوخ والاستسلام أو الهرب من المهمات، ويجب أن تهتم هذه الرسائل بالإجابة على تخوف الجنود على مصير عائلاتهم بعد سقوطهم فى الأسر. وهذا النوع من الرسائل فى الحرب مشهور وهو «أنه لا يوجد أى شىء ضدكم، ولكن ضد القيادة السيئة المسئولة عنكم، ساعدونا على إسقاطهم، وإن هذه الحرب اللعينة ستنتهى فوراً» وهذه الرسائل لها أثر فى حالة انحراف الناس وتكتلهم حول هذه القيادة الفاسدة فى أوقات الحرب. ويكمن هدف الحرب النفسية فى إخلال الوضع النفسى داخل صفوف العدو وحملهم للتفكير بالعموميات وبأفكار واقعية لمصلحة كل فرد، وفى بعض الأحيان جعله يشعر بالذنب، وهذا الأسلوب أثبت نجاحه أكثر من غيره، وهكذا كان فى فيتنام.

ج- **قنوات البث:** هى الطرق المستخدمة فى نقل الرسائل ووسائل الاتصال الجماهيرى، مثل وسائل الإعلام وغيرها من وسائل الاتصال.

استناداً إلى ما سبق يمكن تطبيق العناصر الأساسية للحرب النفسية على خطاب إيهود أولمرت على النحو التالى:

نموذج الحرب النفسية(*)

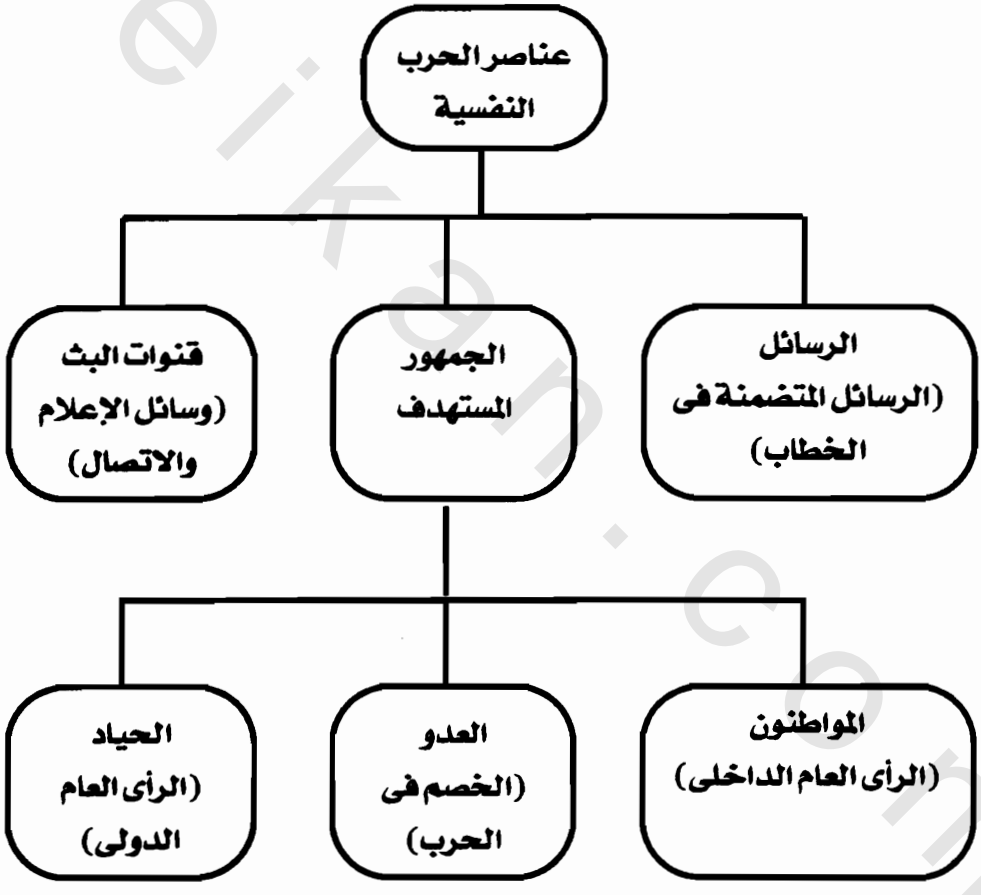

(*) هذا الشكل من تطوير الباحث استناداً إلى دراسة رون شليفر عن أساسيات الحرب النفسية.

ثالثًا: مضامين الرسائل (الإرهاب ـ البراءة ـ القوة ـ الصمود)

كشف تحليل الخطاب السياسى لإيهود أولمرت خلال الفترة من ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦ إلى ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ عن أربع رسائل تمت صياغتها فى الخطاب بحيث تصل إلى جمهور المستهدفين (العدو «حزب الله» ـ المواطنون «الرأى العام الداخلى» ـ الحياد «الرأى العام الدولى»)، وتتمثل هذه الرسائل فى (الإرهاب ـ البراءة ـ الصمود ـ القوة)، وقد تبلور مضمونها على النحو التالى:

١ ـ **رسالة الإرهاب**: إسرائيل تحارب حزب الله المنظمة الإرهابية التى تتحرك بتشجيع ودعم سوريا وإيران.

٢ ـ **رسالة البراءة**: إسرائيل تحارب دفاعًا عن نفسها ضد حزب الله، ولا تحارب الشعب اللبنانى وحكومته، وهى لا تستهدف المدنيين كما حزب الله.

٣ ـ **رسالة القوة**: إسرائيل حققت إنجازات لا مثيل لها، وغيرت التوازن الإستراتيجى فى المنطقة.

٤ ـ **رسالة الصمود**: الجبهة الإسرائيلية قادرة على التماسك والردع بفضل الروح التطوعية.

وقد تبين من تحليل الخطاب أن كل رسالة تحتل ترتيبًا على أجندة الخطاب، ولها عناصر تشكل صياغتها النهائية فى الـ ١٤ خطابًا التى ألقاها أولمرت، كما أن المضمون التفصيلى لهذه العناصر يكشف تفاصيل الرسالة، التى تكشف بدورها عن الأهداف المستترة وراء كل منها. كما سيتضح فى الجزء اللاحق.

١ ـ رسالة الإرهاب

(أ) مضمون الرسالة

إسرائيل تحارب حزب الله المنظمة الإرهابية التى تتحرك بتشجيع ودعم سوريا وإيران.

(ب) ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب

احتل الاهتمام بقضية الإرهاب المرتبة الثالثة فى خطاب أولمرت بعد تركيزه على عرض مواقف إسرائيل التى تظهرها كدولة بريئة ذات قوة، وقد ظهر ذلك فى ٤٢ فقرة فى الـ ١٤

خطابًا التى ألقاها أولمرت، إلا أن كثافة الاهتمام كانت أكبر من ترتيب المسألة على أجندة الخطاب، وقد وضح ذلك فى تكرار مفردات (الإرهاب- منظمة إرهابية) أكثر من مرة فى الخطاب الواحد، وأحيانًا داخل الفقرة الواحدة، ومن نماذج ذلك استخدامه لهذه المفردات ١٠ مرات فى الخطاب الذى ألقاه أمام الكنيست يوم ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، و٩ مرات فى خطابه أمام رؤساء السلطات المحلية يوم ٣١/ ٧، و٧ مرات فى تصريحاته الصحفية عقب لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس يوم ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .

(ج) عناصر الرسالة

تتشكل رسالة الإرهاب من ثلاثة عناصر تم تضمينها فى صياغة الخطاب هى: صورة حزب الله، سمات أعمال الحزب، علاقة الحزب مع إيران وسوريا «العمل بالوكالة»، وتتبلور تفاصيل عناصر الرسالة على النحو التالى:

• صورة حزب الله

طرح أولمرت فى خطاباته الـ ١٤ صورة محددة المعالم لحزب الله تتبلور ملامحها فى الصفات التالية:

١ - «هناك جهات متطرفة، إرهابية وعنيفة، تشوش حياة المنطقة بأسرها وتعرض استقرارها للخطر. والمنطقة التى نعيش فيها مهددة من قبل هذه المجموعات الإرهابية الفتاكة»(٢٨).

٢ - «اليوم هو يوم آخر، استهدف خلاله القتلة من لبنان، والعاملون بإيحاء وتوجيه من إيران وسوريا، مواطنين إسرائيليين. إن حقارة، ولؤم ووحشية وإجرامية حزب الله لا تُعرَض للأسف بكامل شدتها على شاشات التلفزة خارج إسرائيل، بل تُعرَض صور مشوهة ومغلوطة تقدم الضحية على أنها الجهة العدوانية. نحن نواصل ممارسة حقنا بالدفاع عن أنفسنا ضد منظمة إرهابية إجرامية»(٢٩).

٣ - «حزب الله هو منظمة إرهابية وحشية يتم تشغيلها، وتمويلها وتزويدها وتحظى بالرعاية والإيحاء من قبل دول ليست معنية بأى تطور جدى فى المنطقة»(٣٠).

٤ - من سيتقلص أولاً؟ إننا لن نتقلص أمام حزب الله ولن نوقف تلك المعركة رغم الظروف الصعبة، وهذا هو الصواب. حزب الله شأنه شأن الإرهاب الإسلامى كله الذى

يهدد الحضارة الغربية كلها. وعندما قررنا الرد عليهم عرفنا أنه سيتوجب علينا الوقوف فى أوضاع صعبة وسنقف فى تلك الأوضاع»[٣١].

٥ ـ «قيادة منظمة حزب الله مختبئة، تعمل بالظلام، خشية على حياتها، من جانبنا، سنواصل ملاحقتها فى كل مكان وزمان. هذه القيادة موجودة فى حالة من الضغط؛ ولذلك فإنها تنشغل بالأكاذيب والافتراءات من أجل تشويه الحقيقة والواقع»[٣٢].

٦ ـ «فى كل معركة، وفى كل اشتباك مع مخربى حزب الله، كانت الغلبة لمقاتلى جيش الدفاع ـ وما من شك فى ذلك. إن قادة هذه المنظمة الإرهابية لجئوا إلى مخابئهم، وهم مشغولون من هناك بنشر الأكاذيب وإخفاء الحقيقة بشأن الثمن الذى دفعوه هم ورجالهم»[٣٣].

٧ ـ «أنتم تذكرون الخطاب الأول الذى ألقاه نصر الله فى التلفاز، ذاك المتكبر، الساخر منا، الواثق بانتصاره»[٣٤].

ويتضح مما سبق أن:

* حزب الله يمثل تهديداً لمواطنى دولة إسرائيل؛ لأنه يستهدف المدنيين الأبرياء.

* حزب الله منظمة إرهابية، متطرفة، فتاكة، وحشية، إجرامية، حقيرة، متعطشة للدم، لئيمة، قاسية، خطيرة.

* قيادات الحزب قيادات مختبئة تعمل فى الظلام خشية على حياتها، تنشر الأكاذيب، والافتراءات، وتعمل على إخفاء الحقيقة، وزعيم الحزب متكبر ومتغطرس.

• سمات أعمال الحزب

عمل أولمرت فى خطاباته على التركيز على أساليب حزب الله، التى عرضها على النحو التالى:

١ ـ «إن إسرائيل لا تحارب لبنان، وإنما تحارب الإرهاب هناك الذى يتزعمه نصر الله وزمرته، الذين حولوا لبنان إلى رهينة وخلقوا جيوبا من الإرهاب والقتل بتحريض كل من سوريا وإيران»[٣٥].

٢ ـ «حزب الله يستخدم المواطنين اللبنانيين كدروع بشرية، وهم يريدون رؤية دم الأطفال، فهذا هو السلاح الوحيد الباقى لهم»(٣٦).

٣ ـ «نحن نحارب إرهابيين لا وازع يردعهم ـ ولن نوقف حربنا ضدهم حتى نبعدهم عن حدودنا»(٣٧).

٤ ـ «أريد التوجه إلى المواطنين اللبنانيين: مرة أخرى يتم اقتيادكم من قبل إرهابيين إجراميين إلى واقع من الدمار والخراب. بالذات حين بدأت فترة جديدة فى بلادكم، حين بدأت تهب لديكم رياح جديدة من الديموقراطية والحرية، تحولتم إلى رهائن بأيدى منظمة القتلة حزب الله»(٣٨).

٥ ـ «المجتمع الدولى بأسره يشاطرنا التصور الداعى إلى تصفية دولة الإرهاب التى قامت داخل دولة لبنان... ولم يعد هناك وضع تكون فيه دولة داخل دولة. ولم يعد هناك وضع يتمتع فيه تنظيم إرهابى برعاية دولة. ولم تعد هناك حالة يحق فيها لمنظمة إرهابية العمل من داخل لبنان، بصفتها الذراع الطويلة لمحور الشر الممتد من طهران وحتى دمشق، تستغل لبنان فى حالة ضعفه، وتحوله ومواطنيه وبنيته التحتية إلى أداة طيعة فى حربها»(٣٩).

ويتضح مما سبق أن:

* أن الحزب حول لبنان إلى رهينة، وخلق فيه جيوبًا من الإرهاب والقتل.
* يعمل الحزب على تشويش حياة المنطقة وتعريضها للخطر.
* يمثل الحزب دولة داخل الدولة، ويعمل كتنظيم إرهابى يحظى برعاية دول خارجية.
* يعمل الحزب دون رادع أو وازع، كما أنه يقود لبنان إلى الدمار والخراب.
* يستخدم الحزب المواطنين اللبنانيين كدروع بشرية.

• علاقة الحزب مع إيران وسوريا: العمل بالوكالة

اهتم أولمرت فى خطابه بتوضيح العلاقة بين الحزب وكلٌ من إيران وسوريا، ويطرح الخطاب فكرة وجود علاقة عمل بالوكالة، يعمل فيها الحزب لصالح إيران وسوريا، وظهرت تلك العلاقة فى الخطاب على النحو التالى:

١ ـ «الحرب التى نخوضها فى هذه الأيام هى ضد المنظمات الإرهابية العاملة من لبنان وغزة. وهذه المنظمات ليست سوى أدوات طيعة تعمل بإيحاء وتوجيه وتشجيع وتمويل أنظمة مؤيدة للإرهاب ومعارضة للسلام، على محور الشر الممتد من طهران وحتى دمشق. لقد عانت دولة لبنان فى الماضى معاناة جسيمة جداً حين سمحت لقوات أجنبية أن تتلاعب بمصيرها وقدرها. إيران وسوريا ما زالتا تواصلان التدخل، وبواسطة جهاز تحكم عن بعد، فى شئون لبنان والسلطة الفلسطينية، وذلك من خلال حزب الله وحماس»[٤٠].

٢ ـ «يتم تفعيل حزب الله من قبل إيران وسوريا. وأن الموضوع الإيرانى هو الموضوع الذى سيشغل العالم خلال الشهور القادمة، وأن ما يحدث الآن ما هو إلا تمهيد لذلك». وأضاف رئيس الوزراء قائلاً: «إذا لم يقف العالم فى جبهة واحدة ضد حزب الله الذى يعمل كأداة طيعة بأيدى إيران، فكيف سوف يقنع الإيرانيين بأنه ضدهم حقا؟»[٤١].

٣ ـ «حزب الله يخدم مصالح شعوب أخرى، بخاصة مصالح سوريا وإيران. هاتان الدولتان تنفثان وتنشران السم. إنهما تنميان الكراهية، التعصب، والتطرف، ولهفة لا تعرف الشبع للمس بالأشخاص الذين يعيشون بموجب قواعد أخلاقية وحضارية مغايرة»[٤٢].

٤ ـ «إن الجميع يعتقد أننا نقاتل أمام حزب الله لكن تعالوا بنا نقول الحقيقة وهى أن دولة إسرائيل تقاتل أمام الإيرانيين وسوريا التى تستخدم حزب الله لتهاجمنا من الشمال»[٤٣].

٥ ـ «تم تزويد حزب الله بأحسن الأسلحة، من صواريخ، معدات رؤية ليلية، صواريخ مضادة للدبابات، قذائف كاتيوشا وبكل سلاح مدمر ممكن. إيران وسوريا أشغلتا جميع أجهزته، ومنحتا حزب الله كل الدعم وكانتا فى الواقع البنية التحتية والقاعدة التى واجهتها دولة إسرائيل خلال الشهر الأخير»[٤٤].

ويتضح مما سبق أن:

* حزب الله يعمل بإيحاء وتوجيه من الدولتين.

* حزب الله يمثل أداة طيعة وجهاز تحكم عن بعد، وذراع طويلة لمحور الشر الممتد من طهران وحتى دمشق.

* حزب الله يحصل على دعم ورعاية إيران وسوريا اللتين قامتا بتزويده بأحدث الأسلحة، من صواريخ، ومعدات رؤية ليلية، وصواريخ مضادة للدبابات، وقذائف الكاتيوشا.

(د) أهداف رسالة الإرهاب

تركيز أولمرت على قضية الإرهاب فى خطابه يخفى وراءه أربعة أهداف، يسعى إلى تحقيقها، تتمثل فى:

- **تشويه صورة العدو** «حزب الله» أمام الرأى العام العالمى، من خلال تصويره كحزب إرهابى يقتل المدنيين. ومن ثم كسب تعاطف الرأى العام الخارجى مع إسرائيل، وخاصة الغربى منه.

- **الحصول على الدعم السياسى من الدول الغربية**، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، على اعتبار أن حرب إسرائيل ضد حزب الله هى حرب ضد الإرهاب على غرار الحرب الأمريكية على الإرهاب، ويؤكد ذلك تصريحات أولمرت الصحفية يوم اختطاف الجنود الإسرائيليين فى ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦ حينما قال: «إن ما حدث على الحدود الشمالية ليس اعتداءً إرهابيا، لكنه عمل حربى»، وهى نفس التصريحات التى أطلقها الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش يوم أحداث ١١ سبتمبر. فضلاً عن إشارة أولمرت فى خطابه أمام الكنيست يوم ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ إلى حديث دار بينه وبين عمدة نيويورك جاء فيه « أذكر محادثة مع رودى جولياني رئيس بلدية نيويورك خلال فترة الاعتداءات الإرهابية فى سبتمبر ٢٠٠١، لقد اتصلت به لأشد على يديه وعلى أيدى سكان نيويورك بعد انهيار مركز التجارة العالمى، وقد قال لى: «إذا صمد النيويوركيون بهذا الأمر مثل المقدسيين، فسوف ننتصر على الإرهاب».

- حشد الجبهة الداخلية الإسرائيلية من خلال التركيز على عقدة الخوف لدى الإسرائيليين، وتضخيم شعور الضحية والخطر لدى الإسرائيليين، ففى هذا الإطار يقول المؤرخ والباحث توم سيغيف: إن غالبية الإسرائيليين يصدقون مسألة التهديد الإيرانى. وغالبيتهم لا يعرفون شيئًا عما يحدث فى إيران. ورغم أن إيران تنفى أنها تنوى إنتاج سلاح نووى، إلا أن الإسرائيليين لن يصدقوا ذلك بعد الكارثة، التى ينفى رئيس إيران حقيقة وقوعها، خاصة وأن «الكارثة» تشكل مركبًا مركزيًا من بين مركبات «الهوية

الإسرائيلية». ويعتبر الإسرائيليون إنكار الكارثة خطراً وجوديّا. ومن هنا نجاح الحكومة فى إقناع غالبية الإسرائيليين بضرورة العمل ضد إيران. كما أن غالبية الإسرائيليين لا يعرفون عن حزب الله أكثر مما كان يعرف الأمريكيون عن العراق. ومثل غالبية الأمريكيين فهم يؤمنون بمحور الشر، ويرون أن حزب الله الذراع الطويلة لإيران. ومن هنا الأمر ليس بحاجة إلى استيضاح مسألة وجود أو عدم وجود محور الشر، يكفى أن غالبية الإسرائيليين يخشونه[٤٥]، وفيما يتعلق بتضخم شعور الضحية يقول دان بارعون عالم النفس الإسرائيلى إن «الإسرائيليين يمتلكون الاثنين: الشرعية المطلقة للضحية وكذلك السلطة الشاملة». أودّ أن أضيف إلى ذلك: إذا ما ادّعى كلا الطرفين أنّ له حقّا فى الشرعية المطلقة والسلطة الشاملة فعندئذ لا يبقى هناك مجال لمشاركة الآخر مأساته. عندما تسقط الصواريخ على المناطق الجنوبية والشمالية من إسرائيل فحينها يستعيد سكان البلاد اليهود شعور الضحية الأساسى الخاص بهم: نحن شعب صغير مهدّد من جهات خارجية كثيرة تجب مواجهتها بحزم وبقوّة. يعتمد شعور الضحية الأساسى هذا على شرعية الضعفاء «ابدأ بقتل من يحاول قتلك». يتمحور وعى الكثيرين من الإسرائيليين ضمن شرعية الضحية هذه. ليس من باب الصدفة أن نكون واعين أقل بكثير بسلطتنا وقوّتنا وكذلك آثارهما السلبية على الآخرين الذين يقدّر عليهم أن يعانوا من هذه السلطة. يمتاز الضحايا عن الفاعلين بميزة حاسمة: إذ أنهم لا يجبرون على تحمّل أيّة مسئولية عن أفعالهم؛ وذلك لأن أفعالهم هذه هى مجرّد ردة فعل على الأفعال الشريرة التى يقترفها الآخرون[٤٦].

ـ استمالة بعض القطاعات فى الرأى العام العربى من خلال عرض صورة حزب الله باعتباره يحارب ضد المدنيين العزل فى إسرائيل وليس ضد الجيش.

٢ـ رسالة البراءة

(أ) مضمون الرسالة

إسرائيل تحارب دفاعًا عن نفسها ضد حزب الله، ولا تحارب الشعب اللبنانى والحكومة اللبنانية، ولا تستهدف المدنيين كما حزب الله.

(ب) ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب

عكست خطابات أولمرت الـ ١٤ تركيزه على الدفاع عن مواقف إسرائيل، فقد احتلت فكرة أن إسرائيل دولة بريئة المرتبة الأولى فى الخطاب، بمعدل ٦٤ فقرة فى إجمالى

الخطاب، بما يعنى متوسط ٦ , ٤ فقرة فى كل خطاب، والملاحظ فى هذا الصدد استخدام أسلوب إنشائى أدبى يستميل العواطف فى بعض الخطابات، عبر عرض معاناة المدنيين الإسرائيليين وأسر الضحايا والمخطوفين بطريقة تخاطب المشاعر الإنسانية عند متلق الخطاب.

(ج) عناصر الرسالة

تشكلت رسالة البراءة فى خطاب أولمرت من أربعة أبعاد، تتكامل مع بعضها لتعبر عن صورة لإسرائيل باعتبارها دولة بريئة ومستهدفة، وهذه الأبعاد هى: منظور إسرائيل للحرب، ولماذا تحارب إسرائيل، وأقنعة البراءة: والمقصود هنا المبررات التى يسوقها أولمرت للدفاع عن الموقف الإسرائيلى، وأدلة البراءة: والمقصود بها البراهين التى تؤكد صحة الموقف الإسرائيلى، وتتضح تفاصيل هذه العناصر على النحو التالى:

• منظور إسرائيل للحرب

يعكس خطاب أولمرت رؤية إسرائيلية معينة لطبيعة هذه الحرب، تتبلور ملامحها فيما يلى:

١ ـ «فى الحالتين بدأت الاعتداءات دون أى سبب، وهى موجهة بمعظمها ضد مواطنين إسرائيليين أبرياء داخل المناطق السيادية لدولة إسرائيل. رغم أنه لا يوجد لا فى الجنوب، ولا فى الشمال أيضًا أى ادعاء لأى جهة إقليمية أو دولية، بأن إسرائيل موجودة فى منطقة تدعى جهة ما أنها تعود لسيادتها؛ لذلك فإن دولة إسرائيل لا يمكنها ولا نية لديها للتسليم بهذا الأمر. نحن لسنا معنيين ولم نكن معنيين بالمس بالشعب اللبنانى أو بالفلسطينيين، وكل مرادنا ومبتغانا هو أن نعيش حياتنا بهدوء وسكينة وعلاقات ملؤها حسن الجوار»(٤٧).

٢ ـ «نضالنا أخلاقى وعادل على نحو لا مثيل له، وكل أمة فى العالم الحر ما كانت سوى لتتصرف مثلنا وتحذو حذونا»(٤٨).

٣ ـ «خلال الأسابيع الأخيرة، قام أعداؤنا بتحدى سيادة دولة إسرائيل وسلامة سكانها. بداية على الجبهة الجنوبية، ومن ثم على الحدود الشمالية، وبعد ذلك أكثر عمقًا

داخل جبهة الدولة الداخلية. إسرائيل لم تطلب هذه المواجهات ـ بل العكس هو الصحيح. إذ فعلنا كثيراً من أجل تجنب هذه المواجهات. حيث عدنا إلى حدود دولة إسرائيل، المعترف بها من قبل المجتمع الدولى. لكن، كان هناك من فسروا رغبتنا بالسلام، لنا ولجيراننا، كعلامة ضعف ووهن. لقد أخطأ أعداؤنا بظنهم أن استعدادنا للتحلى بضبط النفس هو علامة ضعف ووهن من جانبنا. لقد كانوا مخطئين! ليس لدولة إسرائيل أى نزاع إقليمى على حدود، لا على حدودنا الجنوبية، ولا على حدودنا الشمالية. فى هاتين الجبهتين، نحن نرابط على الحدود الدولية المعترف بها. هكذا هو الحال إزاء السلطة الفلسطينية فى قطاع غزة، وهكذا هو الحال إزاء لبنان. ليس لدينا أية نية للتدخل فى شئونهم الداخلية. العكس هو الصحيح، فالاستقرار والهدوء فى لبنان حر وخال من سلطة قوات أجنبية، والاستقرار والهدوء فى السلطة الفلسطينية، هى من الأمور المستحبة والمرغوب بها لدى دولة إسرائيل. نحن نتطلع ونتمنى أن ينشأ بيننا فى أحد الأيام تحالف أبدى، لمصلحة شعوبنا المتبادلة على جانبى حدودنا المشتركة»[٤٩].

٤ ـ «ما من شىء نريده أكثر من السلام وحسن الجوار ـ فى الشرق، فى الشمال وفى الجنوب. نحن نريد السلام، ونسعى ونتطلع إلى تحقيق السلام. لكن وبنفس القدر، ما من شىء ننفر منه ونرفضه أكثر من محاولة المس بنا وجعلنا نتنازل عن حقنا بالعيش هنا، فى بلادنا، بأمن وسلام. باسم الشعب فى إسرائيل، باسم جميع سكان إسرائيل، جئت إلى هنا اليوم، سيدتى رئيسة الكنيست، لأعلن على الملأ: نحن لا نبحث عن حرب أو مواجهة، لكن عند الضرورة لن نرتدع عن خوضهما. فقط شعب يعرف كيف يدافع عن حريته، يستحق مثل هذه الحرية. نحن نستحق حريتنا، وعند الضرورة نعرف كيف نحارب لأجلها وندافع عنها»[٥٠].

٥ ـ «نحن نؤمن بعدالة موقفنا، وإنه ما من نضال أكثر عدالة وأخلاقية من نضالنا. نضالنا من أجل حقنا بعيش حياة وادعة وطبيعية، مثل كل إنسان، مثل كل شعب ومثل كل دولة»[٥١].

٦ ـ «نحن نناضل على ما يبدو لكل إنسان فى العالم المتحضر أمرا بديهيا، لا يخطر ببال أحد أن يضطر إلى النضال من أجله، وهو الحق بعيش حياة طبيعية. هذا نضال صعب! وقد يزداد صعوبة أكثر. هذا اختبار مؤلم، وقد نضطر إلى احتمال المزيد من الألم. نضال كهذا لا يكون سهلاً أبداً. وهو مشبع بالألم والمعاناة والضحايا، من قتلى

وجرحى. لكننا لا ننوى التنازل عن رغبتنا بعيش حياة طبيعية. لن نعتذر عن رغبتنا هذه، ولا نحتاج لمصادقة من أحد لكى ندافع عن أنفسنا»[٥٢].

٧ـ «على الجبهتين، الحديث هو عن عمليات دفاع عن النفس حسب أكثر المفاهيم جوهرية وأساسية. وفى الحالتين لدينا قضية تتجاوز أهميتها ومعناها وبكثير حجم الوحدات العسكرية الضالعة فيها»[٥٣].

٨ـ «صفارات الإنذار التى تسمع ليل نهار فى أنحاء الشمال، تسمع أصداؤها فى جميع أرجاء البلاد كلها، لتنتشر فى جميع أنحاء العالم. كثيرون يتضامنون مع نضالنا ويؤيدون مطلبنا البسيط والطبيعى جدًا «أن نكون شعبًا حرًا فى بلادنا»! من هنا، أريد توجيه رسالة إلى الجميع: نحن مصممون على الانتصار فى هذا الصراع. نحن ندفع ثمنا باهظًا، ومؤلمًا للغاية، بالأرواح، بفقدان حياة منتظمة، بفقدان الأمن الشخصى، وبدمار هائل فى الممتلكات الخاصة والعامة، ولسنا مستعدين للتنازل عن حقنا فى عيش حياة بسيطة، حياة روتينية لا إرهاب فيها، خالية من القلاقل المستمرة والتهديد والتعصب والكراهية. لسنا مستعدين للتنازل عن حقنا فى عيش حياة طبيعية ـ مثل كل شعب آخر، مثل كل مجتمع فى كل مكان»[٥٤].

ويتضح مما سبق أن:

* هذه الحرب هى حرب دفاع عن النفس.

* نضال إسرائيل فى هذه الحرب نضال أخلاقى وعادل من أجل وجود إسرائيل وحريتها، ومن أجل قدرة مواطنيها على العيش حياة آمنة بعيدًا عن القلاقل والتهديد.

* إسرائيل لم تسع إلى هذه الحرب والمواجهة، ولكنها دفعت إليها، حيث ترغب فى العيش فى سلام بجوار الآخرين، وليس لديها أطماع لدى أحد، ولم تتعد على حدود أى دولة جارة.

• لماذا تحارب إسرائيل؟

طرح أولمرت فى خطاباته الأسباب التى دفعت إسرائيل إلى خوض هذه الحرب، وتتمثل هذه الأسباب فيما يلى:

١ ـ «أن أحداث الصباح فى الحدود الشمالية لم تكن اعتداءً إرهابيًا وإنما عملاً حربيًا اعتدت فيه دولة ذات سيادة على إسرائيل دون سبب أو استفزاز من جانب إسرائيل»(٥٥).

٢ ـ «فى لبنان، سوف نناضل من أجل تطبيق الشروط التى حددها المجتمع الدولى منذ زمن، وقد وجدت الأمور تعبيرا حادا لها بالأمس فقط بقرار الدول الثمانية الرائدة فى العالم: إعادة الرهينتين إيهود (أودى) غولدفاسير، وإيلداد ريغيف، ووقف تام لإطلاق النار، ونشر قوات الجيش اللبنانى فى كل جنوب لبنان، وإخراج حزب الله من المنطقة، مع تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩»(٥٦).

٣ ـ «يقوم جيش الدفاع بشن حرب من الجو، والبحر والبر، وخلال هذه اللحظات تماما تتقدم ألوية جيش الدفاع فى جنوب لبنان بغية تدمير بنى الإرهاب التحتية هناك»(٥٧).

٤ ـ «قبل ٢٠ يومًا تمامًا بدأت هذه المعركة حين قامت المنظمة الإرهابية «حزب الله» بالاعتداء على جنود إسرائيليين داخل حدود دولة إسرائيل، حيث قتلت ثمانية، واختطفت اثنين ـ أودى غولدفاسير، وإيلداد ريغيف ـ وبدأت بقصف قرى ومدن شمال إسرائيل بوابل من نيران القذائف والصواريخ. حين بدأت الحرب ـ قلت بأنها لن تكون سهلة. لقد عرفنا آنذاك، أنا وأعضاء مجلس الوزراء، بأن الوضع سيكون صعبا وحتى مؤلمًا، وفى بعض الأحيان سيكون مؤلمًا جدًا. قلنا بأنه سيتوجب علينا التحلى بكثير من رباطة الجأش والصبر من أجل الوصول إلى جميع المخربين، العثور على جميع أماكن اختبائهم، وتدمير جميع منصات صواريخهم. قلنا بأننا سوف ندفع أغلى الأثمان وهو الأرواح البشرية، كما سندفع ثمنًا بخسارة ممتلكات، قلة الراحة، عرقلة وتيرة الحياة الطبيعية وأحيانا، ولفترة قصيرة، بفقدان بهجة الحياة أيضا. كنا نعرف ذلك، وقررنا أنه لا سبيل سوى رد فعل حازم، شامل وغير متهاود». . . «كان من المحظور علينا ترك دولة الإرهاب التى بناها حزب الله عبر حدودنا الشمالية تواصل تعزيز قوتها وتعظيم قدراتها. كان من المحظور تركهم يجمعون المزيد من الصواريخ والقذائف والأسلحة الفتاكة المختلفة»(٥٨).

٥ ـ «لو سكتنا وغضضنا الطرف ـ لو تمالكنا أنفسنا ـ لجاء يوم، وهو ليس ببعيد، نشهد فيه رشقات قذائف وصواريخ تسبب لكم ـ فى المقام الأول سكان شمال البلاد ـ أضرارًا بالغة الفداحة لا تقويم لها. لقد قررنا أن نرد الصاع صاعين، وسوف ننهى هذه الحرب عند

إزالة التهديد الذى يخيم عليكم، وعند عودة جنودنا المخطوفين، أودى غولدفاسير، إيلداد ريغيف، وغلعاد شاليط، ورفاقهم المحاربين إلى بيوتهم سالمين، وعندما تتمكنون من السكن بأمان فى بيوتكم، والتجول بحرية فى شوارع مدنكم وقراكم وأماكن عملكم»[٥٩].

٦ ـ «أن هذه الحرب ستجبى أثمانا باهظة، على جبهة القتال وعلى صعيد الجبهة الداخلية أيضا. كنا نعرف بأننا سنتعرض لإطلاق قذائف وصواريخ تستهدف تجمعاتنا السكنية، لقد درسنا جيدا المخاطر وقررنا أنه إذا لم نرد الآن فمتى إذن؟ لو لم نرد على هذا النحو، لو مررنا مرة أخرى مر الكرام على هذا التحرش الخطير بسيادتنا وبطريقة عيشنا، يحتمل أن نكون سنستفيق بعد زمن غير طويل على واقع آخر، أصعب بكثير، وأخطر بكثير من الواقع الذى كنا نواجهه. الحرب فى الشمال، لم تخلق أخطارا جديدة لم نكن نعرف بوجودها من قبل، لقد اضطرتنا إلى مواجهة هذه الأخطار دون مهاودة قبل أن يفوت الأوان»[٦٠].

٧ ـ «قبل نحو شهر، صادق مجلس الوزراء لجيش الدفاع أن يقوم بعملية ضد مخربى حزب الله، فى أعقاب العملية الإرهابية، التى تم خلالها إطلاق رشقات قذائف كاتيوشا على مدن وقرى الشمال، قتل ٨ من جنود جيش الدفاع، واختطاف إيهود (أودى) غولدفاسير، وإيلداد ريغيف. إن المسئولية الشاملة عن هذه العملية ملقاة على عاتقى، بصفتى رئيس مجلس الوزراء. وليس لدى أية نية ولا أطلب مقاسمة هذه المسئولية مع أحد. فهذه مسئولية مشتقة من وظيفة رئيس مجلس الوزراء فى إسرائيل. هذا القرار الذى اتخذته حكومة إسرائيل والقاضى بعدم مرور مر الكرام بما جرى، ترك أصداءه وستدوى أصداؤه طويلا فى عواصم العالم ـ القريبة منا والبعيدة عنا. إذ أوضح بشكل قاطع لا لبس فيه أن دولة إسرائيل لن تحتمل أبدًا أى مساس بسيادتها، ولن تسكت على أى مس بمواطنيها. وأنها سترد وبقوة على كل عملية إرهابية، سواء جاءت من الشمال أو الجنوب، من الشرق أو من الغرب. من أى مكان»[٦١].

ويتضح مما سبق أن:

* إسرائيل تحارب لتدمير وإزالة دولة الإرهاب التى بناها حزب الله.
* إسرائيل تحارب لإزالة التهديد الذى يمثله حزب الله.

* إسرائيل تحارب لأنها تعرضت لعمل حربى.

* إسرائيل تحارب من أجل استعادة الجنديين المخطوفين، وإعادة نشر الجيش اللبنانى، وتنفيذ القرار الدولى رقم ١٥٥٩ .

• أقنعة البراءة

كشف تحليل خطاب أولمرت عن نمط ثابت فى الدفاع عن موقف إسرائيل، يتمثل فى تضمين الخطاب اتجاهين متناقضين، الأول يقدم إسرائيل فى صورة الملاك، والاتجاه الثانى يقدم حزب الله فى صورة الشيطان، فيما يمكن تسميته اصطلاحًا «ملائكية نحن وشيطنة الآخر»، وقد تم صياغة الخطاب ليعكس هذه الصورة فى ثلاثة محاور، الأول: عبر توظيف معاناة الإسرائيليين وتحميل حزب الله المسئولية عنها، والثانى شيطنة حزب الله من خلال التأكيد على استهدافه للمدنيين، مقابل نفى فكرة استهداف إسرائيل للمدنيين والاعتذار عن أحداث قانا، والمحور الثالث تمثل فى ملائكية إسرائيل التى تظهر اهتمامها بالاحتياجات الإنسانية للبنانيين، ويمكن رصد هذه المحاور على النحو التالى:

• توظيف معاناة الإسرائيليين

اهتم أولمرت فى خطاباته بمعاناة المدنيين الإسرائيليين، وركز على مسئولية حزب الله «المنظمة الإرهابية» عن هذه المعاناة، وقد وضح توظيف أولمرت لمعاناة المدنيين الإسرائيليين من خلال عرضه فى خطاباته أرقام قذائف الصواريخ التى يطلقها حزب الله، وتأكيده على أنها تستهدف المدنيين الأبرياء فى إسرائيل، فقد عرض أولمرت فى ثلاثة خطابات متتالية ثلاثة أرقام (١٤٠٠ ـ ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠) معتبرًا أنها تمثل عدد محاولات حزب الله للمس بالمدنيين الأبرياء فى إسرائيل، كما ركز أولمرت ـ خاصة خلال مؤتمريه الصحفيين مع وزير الخارجية الألمانى، ووزيرة الخارجية الأمريكية ـ على معاناة سكان شمال إسرائيل، فضلاً عن توظيف اللغة فى التعبير عن تضامنه مع معاناة أسر الضحايا والمخطوفين.

ـ «سقطت نحو ١٤٠٠ قذيفة داخل حدود إسرائيل، «هذا يعنى القيام بـ ١٤٠٠ محاولة للمس بمواطنى دولة إسرائيل فى أماكن سكناهم وأماكن عملهم ـ بوحشية وقساوة متعطشة للدم لا نظير لها»[٦٢].

- «نحن نواصل ممارسة حقنا بالدفاع عن أنفسنا ضد منظمة إرهابية إجرامية أطلقت أكثر من ٢٠٠٠ صاروخ وقذيفة بهدف واحد ووحيد فقط - وهو قتل المواطنين الإسرائيليين، وهذا ليس بالأمر الذى يمكننا التسليم به أو الموافقة عليه»(٦٣).

- «لقد تم حتى الآن إطلاق أكثر من ٣ آلاف قذيفة باتجاه المدن الإسرائيلية وكلها موجهة لمنازل مدنيين أبرياء، وهذا بالضبط ما يريدونه فهم يريدون القتل والتدمير ويتمنون أن يساعدهم ذلك على تحقيق وعد الرئيس الإيرانى بمحو إسرائيل من خريطة العالم»(٦٤).

- «تساءل رئيس الوزراء أمام وزير الخارجية الألمانى عما كانت ألمانيا ستفعله لو أن ١٥ بالمائة من سكانها (نحو ١,٢ مليون نسمة) كانوا يتواجدون فى الملاجئ طوال ١١ يومًا، دون أن يتمكنوا من ممارسة حياتهم وأعمالهم؛ لأن جهة ما تطلق النيران على أراضيها دون أى مبرر لذلك؟ واستطرد رئيس الوزراء قائلاً: نظرًا لأنه يعرف الجواب على سؤاله، فإن إسرائيل سوف تواصل ملاحقة حزب الله حتى تزيل هذا التهديد من فوق رؤوس مواطنيها»(٦٥).

- «تضطر إسرائيل إلى خوض حرب على جبهتين فى الوقت ذاته - فى الجنوب وفى الشمال. ومنذ أكثر من ١٢ يومًا، يضطر أكثر من ١٥ بالمائة من السكان فى إسرائيل إلى ملازمة الملاجئ نتيجة لهجمات الصواريخ والقذائف غير المتوقفة من لبنان ضد مدن كبيرة فى إسرائيل وضد كل قرية وبلدة تقريبا فى شمال الدولة. كل هذا يتم ارتكابه من قبل منظمة إرهابية متوحشة»(٦٦).

- «من المهم جدا أن أتحدث عن الصعوبات الهائلة التى يواجهها ومنذ فترة طويلة مئات آلاف الأشخاص فى جنوب إسرائيل، وأكثر من مليون ونصف إنسان فى شمال إسرائيل. فى الجنوب هناك الكثير من الإسرائيليين المكشوفين ومنذ مدة طويلة لإطلاق قذائف القسام باتجاه المدن المختلفة. وفى شمال البلاد توقفت الحياة كليا تقريبا، ويقبع الأشخاص فى ملاجئ صغيرة ومكتظة، بدون تكييف، فى حرارة هذا الصيف. إنهم لا يعملون ولا يستطيعون القيام بمتطلبات الحياة الأساسية. هذا وضع لا يطاق، ومسئولية حكومة إسرائيل العليا هى محاولة إنقاذ هؤلاء الأشخاص من هذا الوضع الفظيع»(٦٧).

- «خلال هذه الأيام، أكثر من التفكير فى أبنائنا الشبان، المقاتلين البواسل، فيكم أنتم الأهالى، الإخوة، الأخوات، الأولاد ورفاقهم. أفكر بروعى كلاين، نائب قائد

الكتيبة ٥١ فى لواء «غولانى». روعى الذى قاد مقاتليه، قفز على القنبلة التى ألقيت عليهم، ليمتص بجسده كل قوة انفجارها وينقذ حياة مقاتليه. وقد تمكن قبل وفاته من تمتمة الكلمات «استجاب إسرائيل إلى نداء ربه الواحد» وطلب من ضابط الاتصال أن يبلغ عن وفاته. هكذا أعاد روعى روحه إلى الخالق. ولداه الصغيران غلعاد ويوآف، وزوجته سارة بقوا أيتاما. أفكر فى روعى، ولا تجد نفسى السكينة. أفكر فى يفتاح شراير، فى عميحاى مرحافيا، فى توم فركش، فى ران كوخبا، فى تسفيكا لوفت، فوركناخ اديغا، فى يوتام غلبوع، فى يونتان هداسى، فى بقية رفاقهم الشجعان، وعددهم ثلاثة وثلاثون منذ اندلاع الحرب، وفى أفراد أسرهم الذين لن تعود حياتهم أبدا إلى ما كانت عليه حتى قبل أيام معدودة. أفكر فى الألم الذى لا نهاية له وفى الأشواق التى لن تتلاشى أو تنتهى، أفكر فى غلعاد ويوآف اللذين لن يحظيا بمعرفة أبيهما البطل، أفكر فى يردين، الأخ التوأم ليفتاح وفى إخوة وأخوات عميحاى ـ وأصلى ـ أن نكون جديرين بتضحياتهم. أفكر فى جميع رفاقهم الذين بقوا بعد هذه المعارك الصعبة، وفى قادتهم وفى الروح التى تنبض بداخلهم وتدفعهم إلى الأمام. أفكر فى دعاء عباس من المغار، ابنة الـ ١٥، التى كانت تجلس فى بيتها تقرأ كتابا ـ حين اخترق الصاروخ غرفتها. أفكر فى أندريه زلينسكى من نهاريا الذى خرج من الملجأ للحظة فقط ليجلب ثوبا دافئا لابنته ـ وتلقى إصابة مباشرة. أفكر فى رافى حزان من حيفا، الذى تزوج قبل شهرين فقط. أفكر فى روبين نيتسو ـ الذى كان مسافرا إلى صفد ليكون مع أولاده المرتعبين الخائفين خلال اللحظات الصعبة. أفكر فى بقية المواطنين المدنيين، وعددهم ثمانية عشر، مقاتلى الجبهة الداخلية الذين لاقوا حتفهم خلال هذا النضال»[٦٨].

• حزب الله «الشيطان»

قدم أولمرت فى خطابه حزب الله بوصفه شيطانًا، يعمل على قتل واستهداف المدنيين الأبرياء فى إسرائيل، مقابل صورة مختلفة لإسرائيل باعتبارها لا تستهدف المدنيين، ولا تحارب الشعب اللبنانى وحكومته، فقط تحارب إرهاب حزب الله، وتأكيد هذه الصورة فى اللغة الاعتذارية التى تناول بها مذبحة قانا التى راح ضحيتها أطفال أبرياء من لبنان، ولتأكيد شيطنة حزب الله أشار إلى أنه يستخدم المدنيين الأبرياء كدروع بشرية، معتبرا أن ما حدث فى قانا يمثل خطأ عارضًا.

- «الفارق بينهم وبيننا عندما نعمل على اتخاذ إجراءات الحيطة والحذر، من خلال تقديسنا لحياة الإنسان، وحفاظنا على كرامة الإنسان، بينما لا نرى من جانبهم سوى القساوة والوحشية»(٦٩).

- «اليوم هو يوم آخر، استهدف خلاله القتلة من لبنان، والعاملون بإيحاء وتوجيه من إيران وسوريا، مواطنين إسرائيليين. إن حقارة، ولؤم ووحشية وإجرامية حزب الله لا تُعرَض للأسف بكامل شدتها على شاشات التلفزة خارج إسرائيل، بل تُعرَض صور مشوهة ومغلوطة تقدم الضحية على أنها الجهة العدوانية»(٧٠).

- «سوف نحارب حزب الله، ونستخدم كل ما لدينا من قوة، مع تجنب إصابة المواطنين الأبرياء، لكننا سوف نبحث عن رجال حزب الله ونطاردهم فى كل مكان للنيل منهم، بمحاولة لصد عدوانهم»(٧١).

- «إننا نريد ضرب حزب الله، هذه المنظمة وحدها فقط. ولا نريد ضرب المدنيين فهذه ليست سياستنا. وأكرر إن دولة إسرائيل حزينة حزنا شديدا على إصابة المدنيين خلال عملياتها هدفها فى الأساس أن تمنع إطلاق القذائف وقتل المواطنين الإسرائيليين الأبرياء»(٧٢).

- «نحن عندما نصيب - لأسفى الشديد - مدنيين أبرياء فنحن نعتبر ذلك فشلاً، بينما هم عندما يصيبون المدنيين يسجلون ذلك على أنه نجاح كبير»(٧٣).

- «إن دولة إسرائيل جزعة على القواعد الأخلاقية الأكثر أساسية المنقوشة بتراثنا اليهودى القديم وبدمائنا التى أحل سفكها، ولسنا بحاجة إلى تعلم هذه القواعد من أى شعب أو من أية دولة. فنحن لا نلاحق مواطنين أبرياء، ولا نحارب ضد الشعب اللبنانى، ولا نسعى إلى الإطاحة بحكومته»(٧٤).

- «إن إسرائيل لا تحارب لبنان وإنما تحارب الإرهاب هناك الذى يتزعمه نصر الله وزمرته، الذين حولوا لبنان إلى رهينة، وخلقوا جيوبا من الإرهاب والقتل بمأمورية كل من سوريا وإيران»(٧٥).

- «لقد سُئلنا كثيرا لماذا قصف طريق بيروت - دمشق؟ والسبب هو ليس أننا مهتمون بضرب البنى التحتية فى لبنان أو معاقبتها، وإنما لأننا نعمل على منع وصول سيارات أو

شاحنات إمداد من سوريا لحزب الله. وبالتوازى مع ذلك أريد أن أقول إننا لا نحارب السنيورة أو الشعب اللبنانى إنما نحن نقاتل أمام حزب الله الذى حول لبنان إلى رهينة وخط أمامى لمحور الشر مع طهران وسوريا»(٧٦).

- «أنا آسف ومن أعماق قلبى على المدنيين، من البالغين والأولاد الذين قتلوا فى قرية قانا. إذ لم نكن نقصد المس بهم، ولم نرد قتلهم؛ فهم ليسوا أعداءنا، ولم يكونوا هدفا لطائراتنا. أريد التوجه إلى المواطنين اللبنانيين: مرة أخرى يتم اقتيادكم من قبل إرهابيين إجراميين إلى واقع من الدمار والخراب. بالذات حين بدأت فترة جديدة فى بلادكم، حين بدأت تهب لديكم رياح جديدة من الديموقراطية والحرية، تحولتم إلى رهائن بأيدى منظمة القتلة حزب الله. هذه المنظمة لا تحارب حرب الشعب اللبنانى. وبيننا وبين لبنان ما من علة أو ذريعة للنزاع. ولا خلافات إقليمية بيننا، كما لا تفصل بيننا أية هوة أيديولوجية. أنتم ونحن يجب أن نرغب بذات الأمر، الحق فى عيش حياة بسيطة، هادئة وآمنة»(٧٧).

- «أعبر عن حزنى العميق وأسف كل دولة إسرائيل والجيش الإسرائيلى على موت مدنيين فى قرية قانا. فلا يوجد شىء أبعد عن تفكيرنا من المساس بالمواطنين الأبرياء، وكل شخص يفهم ذلك. وإننا عندما نصيب مدنيين فالعالم كله يعلم أن هذا حادث عارض وليس من سماتنا»(٧٨).

- «إننا لم نضرب قرية قانا بالصدفة، فهى تمثل قاعدة لإطلاق الصواريخ باتجاه إسرائيل. وهذه القرية ليست قاعدة للإرهاب فقط وإنما بها أيضا مخازن لوجيستية وعتاد لحزب الله. وقد تم تحذير السكان قبل ضرب القرية. لكن حزب الله يستخدم المواطنين اللبنانيين كدروع بشرية وهم يريدون رؤية دم الأطفال، فهذا هو السلاح الوحيد الباقى لهم. وأؤكد مرة أخرى أننا لا ننوى أن نخاطر على حساب مئات الآلاف من الإسرائيليين الموجودين فى الملاجئ. وليس لدى نية أن أفرض أية قيود على جيش الدفاع الإسرائيلى، فهذه ساعة اختبار للجبهة وهى ليست ساعة سهلة»(٧٩).

• إسرائيل «الملاك»

سعى أولمرت فى خطابه إلى التأكيد على أخلاقية إسرائيل وموقفها النبيل، عبر إبراز

اهتمام إسرائيل بالاحتياجات الإنسانية للشعب اللبنانى، وتعاونها مع الآخرين من أجل إزالة معاناة اللبنانيين من خلال السماح بفتح الممرات الإنسانية.

- «نحن لا نحارب حكومة لبنان ولا نحارب الشعب اللبنانى. وأتوقع من حكومة لبنان أن تبذل الجهود للابتعاد عن حزب الله وسائر التنظيمات الإرهابية. لحظة تقوم الحكومة اللبنانية بذلك، ستجدنا مستعدين لعرض تسهيلات مختلفة من شأنها أن تخفف وتسهل على حياة اللبنانيين، ويقينا ستسهم فى التوصل إلى تسوية ستؤدى إلى إنهاء الحرب»(٨٠).

- «نحن نعى جيداً الصعوبات الإنسانية التى تشكل جزءا من الحياة فى لبنان خلال هذه الأيام. سوف نناقش ذلك ونعمل سوية من أجل المساعدة على تلبية بعض احتياجات الشعب اللبنانى»(٨١).

- «نحن نعى، كما سبق وقلت، الاحتياجات الإنسانية للسكان فى لبنان نتيجة لوحشية حزب الله. أعتقد أن بوسعى القول بكامل الصدق والصراحة، إن اللبنانيين والإسرائيليين هم ضحايا هذه المنظمة الإرهابية الوحشية والإجرامية، حزب الله. وأعتقد أنه يتوجب علينا العمل سوية، بواسطتك، من أجل إيجاد السبل لتسهيل وتحسين وضع اللبنانيين. الشعب فى إسرائيل، وحكومة إسرائيل، سوف تبذل كل ما بوسعها من أجل تحقيق ذلك، من أجل هؤلاء الأشخاص الأبرياء الذين لا دخل لهم، سواء كانوا فى لبنان أو فى إسرائيل. نحن ممتنون لك دوما على ما تقومين به من عمل خير وصعب، وعلى ما توظفين من طاقات لا تنضب بهدف تسهيل حياة مواطنينا وجيراننا». وقال رئيس الوزراء إنه حساس جدا للوضع الإنسانى فى لبنان؛ ولذلك أخبر وزيرة الخارجية الأمريكية بأن إسرائيل قد قررت توسيع الممرات الإنسانية بهدف مساعدة السكان اللبنانيين. كما أشار رئيس الوزراء إلى أن إسرائيل سوف تتيح، وبتنسيق مسبق، للطائرات التى تحمل مساعدات إنسانية بأن تهبط فى مطار بيروت. كما ستتيح إسرائيل فتح ممر برى من داخل إسرائيل إلى لبنان يمكن من خلاله نقل المساعدات الدولية إلى السكان اللبنانيين. كما أشار رئيس الوزراء إلى أن إسرائيل سوف تواصل إتاحة وصول المساعدات الإنسانية عبر الممر البحرى إلى موانئ بيروت، صيدا وصور. إضافة إلى ذلك، أطلع رئيس الوزراء الوزيرة الضيفة على أن إسرائيل سوف تهتم بفتح ممرات إنسانية برية داخل لبنان، من أجل إتاحة توزيع المساعدات الإنسانية على جميع القطاعات السكانية اللبنانية. وتم الاتفاق على أن

يلتقى طاقم من الخبراء العسكريين الدوليين اليوم مع جهات عسكرية فى إسرائيل من أجل إيجاد أنجح السبل لإتاحة عمل هذه الممرات وبأسرع وقت ممكن. وأكد رئيس الوزراء أن إسرائيل ليست معنية إطلاقا بأن تمس أو تلحق الضرر بالسكان اللبنانيين، وأن حرب إسرائيل هى ضد منظمة حزب الله الإرهابية، وليست ضد حكومة لبنان ومواطنيه»[٨٢].

• أدلة البراءة

فى المحور السابق «أقنعة البراءة» ساق أولمرت المبررات التى توضح الموقف الإسرائيلى، وفى هذا المحور «أدلة البراءة» يطرح أولمرت الدلائل والقرائن التى تؤكد الموقف الإسرائيلى، والتى تتلخص فى مواقف بعض القوى الدولية والعربية التى تصب فى نفس اتجاه الموقف الإسرائيلى. فقد استند أولمرت فى خطابه على مواقف بعض القوى العربية مثل مصر والسعودية والأردن لتأكيد صدقية الموقف الإسرائيلى، فضلاً عن مواقف بعض القوى فى المجتمع الدولى لم يذكرها تحديداً ولكنه تناولها بشكل عام.

- «الدعم الدولى لإسرائيل خلال العملية الحالية، هو الآخر لا سابقة له، كما انعكس الأمر فى بيان مجموعة الثمانى. والمجتمع الدولى يقف صفا واحدا إلى جانب إسرائيل فى حربها ضد حزب الله ويؤيد المساس بالمنظمة حتى تفكيكها»[٨٣].

- «المجتمع الدولى بأسره يشاطرنا التصور الداعى إلى تصفية دولة الإرهاب التى قامت داخل دولة لبنان»[٨٤].

- «إننا موجودون الآن فى ذروة الأحداث التى ستؤدى إلى وقف إطلاق النار بشروط مختلفة تماما، وبدعم وتأييد من دول عربية والتى وقفت لأول مرة ضد تلك المنظمة العربية»[٨٦].

- «إذا كانت مصر والسعودية والأردن وأبو ظبى يجددون ردود أفعال حول اتهامهم لحزب الله فهذا لا يحدث كل يوم»[٨٦].

- «إن الكثير من الدول العربية والإسلامية تتحفظ من حزب الله وتنضم إلى غالبية دول العالم التى تشجب هذه المنظمة الإرهابية، وتبرر حق دولة إسرائيل بالدفاع عن نفسها»[٨٧].

• **أهداف رسالة البراءة**

يعكس وجود رسالة البراءة فى المرتبة الأولى على أجندة الحوار أهمية هذه الرسالة من المنظور الإسرائيلى، ومن ثم الأهداف المبتغاة من وراء صياغة هذه الرسالة، والتى تتمثل فى الجوانب التالية:

- تحسين صورة إسرائيل المشوهة التى شكلتها وسائل الإعلام التى تركز على ممارسات الآلة العسكرية الإسرائيلية، وذلك من خلال بلورة صورة مختلفة لإسرائيل « الملاك » التى لا تستهدف المدنيين.

- تشويه صورة حزب الله من خلال عرضه فى نموذج « الشيطان » الذى يستهدف المدنيين الأبرياء فى إسرائيل، ويستخدم المدنيين اللبنانيين كدروع بشرية.

- استمالة بعض قطاعات الرأى العام العربى عبر توظيف مواقف بعض الدول العربية المؤيدة للموقف الإسرائيلى.

- استمالة بعض قطاعات الرأى العام الغربى من خلال التركيز على استهداف حزب الله - الذى يعد منظمة إرهابية من المنظور الإسرائيلى، وبعض الاتجاهات فى الرأى العام الغربى - للمدنيين الأبرياء فى إسرائيل.

٣- رسالة القوة

(أ) مضمون الرسالة

إسرائيل نجحت فى تقويض قدرات حزب الله، وحققت إنجازات لا مثيل لها.

(ب) ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب

احتلت رسالة القوة المرتبة الثانية على أجندة الخطاب بعد رسالة البراءة بمعدل ٥٣ فقرة فى خطابات اولمرت، وقد تبين أن هذه الرسالة صيغت بشكل واضح ومحدد فى الخطاب.

(ج) عناصر الرسالة

تشكلت رسالة القوة فى خطاب أولمرت من ثلاثة عناصر، الأول: يتمحور حول استخدام اللغة فى التعبير عن القوة، الثانى: الاستناد إلى حقائق فى الواقع لتأكيد القوة، العنصر الثالث: سرد الإنجازات التى تحققت فى الحرب وتؤكد على قوة إسرائيل، وقد تبلورت عناصر هذه الرسالة على النحو التالى:

١ ـ اللغة تعبر عن القوة

راعى أولمرت فى خطابه توظيف اللغة الإنشائية فى التعبير عن قوة إسرائيل، فقد تبين من تحليل الخطاب تعمد أولمرت استخدام ألفاظ وتعبيرات توحى ضمنًا بالقوة، من قبيل (لن نرضخ ـ سندمر بنية الإرهاب ـ إسرائيل قادرة على النيل من حزب الله، إسرائيل لن تقبل العودة إلى أوضاع ما قبل ١٢ يوليو، إسرائيل مصممة على الانتصار فى هذا الصراع، سنرد الصاع صاعين ـ لقد فهموا فى بيروت ومناطق أخرى فى الشرق الأوسط الدرس ـ لن ننجر إلى أى مكان لا نريد دخوله)، ويمكن تلمس توظيف اللغة فى الخطاب فى النماذج التالية:

ـ «لو سكتنا وغضضنا الطرف ـ لو تمالكنا أنفسنا ـ لجاء يوم، وهو ليس ببعيد، نشهد فيه رشقات قذائف وصواريخ تسبب لكم فى المقام الأول ـ سكان شمال البلاد ـ أضراراً بالغة الفداحة لا تقويم لها. لقد قررنا أن نرد الصاع صاعين، وسوف ننهى هذه الحرب عند إزالة التهديد الذى يخيم عليكم، وعند عودة جنودنا المخطوفين، وعندما تتمكنون من السكن بأمان فى بيوتكم، والتجول بحرية فى شوارع مدنكم وقراكم وأماكن عملكم»(٨٨).

ـ «أريد أن أوضح وأقول: هؤلاء الأشخاص لا غفران ولا مسامحة لهم. سوف نواصل ملاحقتهم فى كل مكان وفى كل زمان. هذا واجبنا الأخلاقى تجاه أنفسنا، ولا ننوى أن نعتذر أو أن نطلب الإذن من أحد من أجل ذلك»(٨٩).

ـ «كل تلك الأمور جزء من التصميم والشجاعة الذى تظهره دولة إسرائيل. من الممكن أن تسألونى لماذا لا يوجد اليوم وقف لإطلاق النار؟ والإجابة بسيطة جدا إن كل يوم إضافى يسحق من قوتهم. كل يوم إضافى هو يوم يقوم فيه جنود الجيش الإسرائيلى بإضعاف قوتهم»(٩٠).

ـ «هذا القرار الذى اتخذته حكومة إسرائيل والقاضى بعدم مرور مر الكرام بما جرى، ترك أصداءه وستدوى أصداؤه طويلا فى عواصم العالم ـ القريبة منا والبعيدة عنا. إذ أوضح بشكل قاطع لا لبس فيه أن دولة إسرائيل لن تحتمل أبداً أى مساس بسيادتها، ولن تسكت على أى مس بمواطنيها. وأنها سترد وبقوة على كل عملية إرهابية، سواء جاءت من الشمال أو الجنوب، من الشرق أو من الغرب. من أى مكان»(٩١).

- «يجب أن يكون واضحا أن إسرائيل لن تعود إلى الوضع الذى سبق أحداث يوم الأربعاء الماضى، فهذا الوضع كان لا يحتمل ولا يطاق منذ بدايته»[٩٢].

- الواقع يعكس القوة

لم يكتف أولمرت باللغة الخطابية للتعبير عن قوة إسرائيل، لكنه تعرض فى خطابه إلى أسس موجودة فى الواقع تعكس هذه القوة، تتمثل فى إمكانيات وقدرات يتمتع بها الجيش والمجتمع فى إسرائيل، تتمثل فى قدرة الجيش الإسرائيلى، والتقدم التكنولوجى والعلمى، فضلاً عن قدرة المجتمع والاقتصاد فى إسرائيل على الصمود خلال الحرب. ويمكن رصد مؤشرات هذه القوة فى خطاب أولمرت على النحو التالى:

- إن أكبر قوة موجودة لدى دولة إسرائيل الآن هى روح الشعب ومعنوياته، التى توفر قوة وثقة وتشجيعا، مما يدعو إلى التفاخر. من لم يفهم قدرة هذا الشعب، يشهد على نفسه أنه لم يستخلص أية عبرة من ست سنوات من الانتفاضة. حيفا التى تغلبت على العملية الإرهابية فى «ماكسيم» والعملية التخريبية فى مطعم «ماتسا»، حيفا التى شهدت حافلات تتفجر، حيفا التى عرفت الثكل خلال هذه السنوات واصطبرت عليه، صواريخ الكاتيوشا هذه لن تخيفها... هذه الصواريخ والقذائف لن تخنعنا أو ترضخنا. «نحن نستمد قوتنا من الشعب، من معنويات وشجاعة الجنود، من خبرة ومهنية قوات الأمن ومن فطنتنا وبصيرتنا بتحديد الحدود الصحيحة من قبل قيادة سياسية تعرف ضد من، ضد ماذا، كم، متى وأين، يجب القول «لا» ومتى يجب القول نعم، هذه هى وظيفتنا»[٩٣].

- قوة دولة إسرائيل تعتمد على قوة وقدرة جيش الدفاع. هذه القوة هى الضمان الأساسى للحفاظ والدفاع عن حياتنا فى هذه البلاد. وقد تم خلال عملية بناء هذه القوة استثمار خيرة الموارد الاقتصادية والبشرية فى المجتمع الإسرائيلى[٩٤].

- إن منعة الأمة لا تقاس بقدرتها العسكرية فقط. وقوة الدولة تختبر حسب رخائها وأخلاقيتها، حسب قوة اقتصادها واستقراره، حسب عصرية مرافقها وتطورها، حسب صادراتها التكنولوجية ومنتجاتها إلى أكثر الأسواق تقدما فى العالم، وحسب أبحاثها الأكاديمية الريادية. بكل هذه الأمور، لدى كل واحدة وواحد منا السبب لكى نكون فخورين[٩٥].

ـ الإنجازات تؤكد القوة

وصف أولمرت ما حققته إسرائيل فى حرب لبنان « بأنه إنجازات لا مثيل لها»، واستعراضه لهذه الإنجازات يأتى فى إطار التأكيد على قوة إسرائيل، ويمكن رصد الإنجازات التى أوردها أولمرت فى خطابه على النحو التالى :

* **إبعاد حزب الله عن المواقع الحدودية الشمالية لإسرائيل**، وإزالة الخطر الذى كان يمثله على التجمعات السكانية فى الشمال.

* **تدمير أجهزة قيادة وتحكم منظمة حزب الله**، ومقرات قيادة الحزب، وإلحاق الضرر بالبنية التحتية للحزب، وتشريد قيادات الحزب.

* **إصابة قواعد ومواقع الحزب فى بيروت وبعلبك**، وإصابة منظومة قذائف الكاتيوشا المنتشرة فى جنوب لبنان، وإصابة نظام تهريب الوسائل القتالية من سوريا إلى حزب الله.

* **تدمير معظم الصواريخ بعيدة المدى** التى كانت أداة التهديد الإستراتيجى للحزب، خلال الساعات الأولى للمعركة فى عملية لسلاح الجو تشبه عملية تدمير أسلحة جو الدول العربية فى حرب الأيام الستة ١٩٧٦، وتدمير الصواريخ السورية فى عملية سلام الجليل.

* **الحصول على القرار ١٧٠١ الذى يشكل أهم الإنجازات الإسرائيلية**، ومن خلاله سيعاد انتشار الجيش اللبنانى على امتداد الحدود الشمالية لإسرائيل من أجل منع حزب الله من تجديد تهديده لإسرائيل، وذلك للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب الأهلية فى لبنان، فضلاً عن تطبيق القرار ١٥٥٩ .

* **تغيير أوجه الشرق الأوسط** فى أعقاب إزالة التهديد الذى يمثله الحزب، والذى كان يخلق أوضاعا إستراتيجية مقلوبة فى المنطقة.

ـ «منذ بدء القتال فى لبنان، حققنا إنجازات ملحوظة وهامة : هذه الإنجازات هى من الأهمية بمكان. فحزب الله لا يبدو اليوم كما كان يبدو قبل ٢٠ يوما ـ مهددا، متغطرسا وخطيرا. لقد تلقى ضربة قاسية وسوف يستغرقه طويل وقت حتى ينتعش منها، إذا انتعش منها أصلا. لقد أبعدنا حزب الله عن مواقعه على امتداد الحدود مع إسرائيل وأزلنا هذا الخطر الفورى. لن نوافق على عودة حزب الله مرة أخرى إلى هذه المواقع ليواصل تهديده باختطاف جنود وإطلاق نار مباشر على مدن وقرى الشمال. نجحنا بالمساس بمنظومة

الصواريخ بعيدة المدى التابعة للمنظمة، فى العمق اللبنانى، وسنستمر فى ذلك. دمرنا أجهزة قيادة وتحكم المنظمة، كما دمرنا مقرات قيادة المنظمة وألحقنا الضرر ببنيتها التحتية. قواعد ومواقع حزب الله العسكرية فى بيروت، بعلبك وأماكن أخرى، لا تبدو اليوم كما كانت عليه ذات مرة. منظومة قذائف الكاتيوشا المنتشرة فى جنوب لبنان أصيبت بصورة كبيرة. كما نجحنا فى إصابة نظام تهريب الوسائل القتالية من سوريا إلى حزب الله، والعمل بهذا المجال مستمر حتى هذه اللحظات وسوف نواصل القيام بذلك. لن نسكت على نقل أسلحة إلى حزب الله ولن نتيح للمنظمة أن تجدد قدراتها. المنظمة وقيادتها فى حالة عزل سواء فى الحلبة اللبنانية أو الحلبة العربية. ولا ينظر إليها بعد كمن تمثل الكفاح المسلح ضد إسرائيل وكحامية لبنان، وإنما ينظر إليها كمن جلبت الخراب على لبنان وسكانه، وكمن تصرفت بدون أى منطق أو مسئولية. أول مرة نشأت الظروف لبداية تطبيق قرار الأمم المتحدة ١٥٥٩، الذى يدعو إلى تجريد حزب الله من سلاحه، وإبعاده عن الحدود مع إسرائيل ونشر الجيش اللبنانى على امتداد هذه الحدود. والمجتمع الدولى اليوم مستعد لاتخاذ خطوات فعلية من أجل تطبيق هذا القرار عن طريق إرسال قوة دولية تنتشر على طول الحدود مع إسرائيل وعلى المعابر الحدودية بين لبنان وسوريا، وتعمل وبصورة فاعلة من أجل تجريد منظمة حزب الله من قدراتها العسكرية. هذه فرصة مرة واحدة قد لا تسنح ثانية، من اجل تغيير قواعد اللعبة فى لبنان. ما زال هناك الكثير من العمل أمامنا، على الصعيدين العسكرى والسياسى، ولن نتوقف، حتى نحقق النتائج المرجوة، لن نتوقف! سوف نبذل قصارى جهودنا كيلا يعود الواقع الذى كان سائدا فى لبنان عشية العملية إلى ما كان عليه»[٩٦].

ـ «ما هو الوضع اليوم: لقد تم إبعاد حزب الله عن السياج الحدودى. ولم تعد تتواجد هناك مواقع لحزب الله تطل على التجمعات السكنية: المنارة، دوفيف، أفيفيم ومرغاليوت. ولم تعد هناك مواقع مسيطرة لحزب الله على امتداد الحدود، لقد تم تدمير غالبية قوات الخط الأول التابعة لحزب الله. مئات القتلى، ومئات الجرحى. هذه القوة التى تدربت طوال سنوات على مهاجمتنا تعرضت لضربات قاصمة من الجو وعلى الأرض أيضا، معظم الصواريخ البعيدة المدى التى كانت أداة التهديد الإستراتيجى على إسرائيل تم تدميرها خلال الساعات الأولى من المعركة، فى عملية لامعة لسلاح الجو الإسرائيلى استغرقت ٣٤ دقيقة، عملية ذكرتنا بتدمير أسلحة جو الدول العربية فى حرب الأيام

الستة (١٩٦٧) وتدمير الصواريخ السورية فى عملية سلامة الجليل، لقد تم تدمير جميع معاقل حزب الله فى بيروت وجميع قياداته ومنشآته. زعماء حزب الله أصبحوا مشردين، فى حالة تنقل مستمرة، ملاحقين يبحثون عن ملاذ أو ملجأ، الجيش اللبنانى ينتشر فى الجنوب، على امتداد حدودنا الشمالية من أجل منع حزب الله من تجديد تهديده لنا، وذلك لأول مرة منذ اندلاع الحرب الأهلية فى لبنان قبل ٣٥ سنة، قوة متعددة الجنسيات مؤسسة من جيوش دول أوروبية تنتظم من أجل الدخول إلى لبنان ومساعدته على صد حزب الله، القرار ١٧٠١ يشكل أحد أهم الإنجازات الإسرائيلية فى الحلبة الدولية. وإذا تم تطبيقه بكامله فان وضعنا على الحدود الشمالية سيكون أفضل بكثير مما كان عليه فى ١٢ يوليو/ تموز»[٩٧].

ـ «لقد تغيرت ملامح الشرق الأوسط فى أعقاب الإنجاز الكبير الذى حققته دولة إسرائيل وجيشها وشعبها. فقد عشنا على مدار سنوات عديدة تحت هذا التهديد الذى خلق ميزانا مقلوبًا لا يقبله عقل بيننا وبين جيراننا فى الشمال. فقد عشنا على مدار سنوات بإحساس أن كل اصطدام أو مواجهة يمكنها حاش لله أن تكشف جمعًا كبيرًا من دولة إسرائيل أمام إطلاق النار من الشمال. وقبل ٣ أسابيع قررت دولة إسرائيل أنها ترفض أن تحيا تحت سحابة هذا التهديد وهى مستعدة لتواجهه بشجاعة وتصميم. وأساس هذا القرار غير الأمور تماما وهذا التغيير من شأنه أن يضع بصمته على الشرق الأوسط لعدة سنوات. فقبل ٢١ يومًا كان حزب الله يعتبر جزءا ملحوظا من العناصر التى رأته طوال سنوات يجمع قوة ووسائل قتال ويدرب مقاتليه وينظمهم ويسيطر على دولة. وهو الآن مستعد لأن يكون ذراعا لعدد من الدول البعيدة من بينها سوريا وإيران. إنهم لن يستطيعوا أبدا تهديد هذا الشعب بإطلاق الصواريخ لأن هذا الشعب يواجه تلك الصواريخ وسيهزمها»[٩٨].

ـ «عمليات جيش الدفاع خلال الشهر الأخير ـ من الجو، البحر والبر ـ أدت إلى تغيير الميزان الإستراتيجى الإقليمى، قبل كل شىء إزاء منظمة حزب الله الإرهابية. حيث ألحق جنود جيش الدفاع بهذه المنظمة الإجرامية إصابات وخسائر بالغة للغاية، لم تعرف أحجامها على الملأ بعد، ببنيتها العسكرية والتنظيمية، بقدراتها بعيدة المدى، بترسانة أسلحتها الهائلة التى بنتها وخزنتها طوال سنوات كثيرة، كذلك بثقة رجالها وقادتها بأنفسهم»[٩٩].

(د) أهداف رسالة القوة

تعد رسالة القوة الرسالة الأهم من منظور الحرب النفسية لأنها موجهة بالأساس إلى العدو « حزب الله»، فهو المستهدف الأول والأساسى بهذه الرسالة، وتلك الأهمية هى التى تفسر الوضوح والتحديد الذى صيغت به، وتتبلور أهداف هذه الرسالة فى الجوانب التالية:

(١) الهدف الأساسى للرسالة يتعلق بالعدو وهو حزب الله فى هذه الحالة، فقد صيغت الرسالة من أجل تحقيق هدفين فى مواجهة الخصم، هما:

الأول: تدمير معنويات قيادات الحزب، ففى ظل إدراك إسرائيلى لحالة الاستنفار الإعلامى داخل الحزب لرصد كل ما يصدر عن الجانب الإسرائيلى، يتطلب الأمر التركيز على الإنجازات الإسرائيلية وبثها فى رسالة للطرف الآخر.

الثانى: إظهار حزب الله بوصفه الطرف الخاسر فى الحرب، مقابل انتصار إسرائيل، لتقويض مكانة الحزب لدى بعض قطاعات الرأى العام اللبنانى المتعاطفة معه.

- **رسالة القوة أيضا موجهة إلى الداخل الإسرائيلى**، لكن الهدف هنا تحقيق جانب إيجابى متمثل فى رفع الروح المعنوية للمواطنين فى الداخل، فضلاً عن خلق صورة جديدة لأولمرت باعتباره قائداً إسرائيليا استطاع قيادة بلاده فى الانتصار على حزب الله، الذى يحمل له الإسرائيليون ذكريات سلبية فى الذاكرة الجماعية بسبب أحداث الانسحاب الإسرائيلى من جنوب لبنان فى عام ٢٠٠٠، ومما يؤكد إمكانية تخليق هذه الصورة هو قدرة أولمرت فى بعض خطاباته على التحدث بواقعية من خلال الاعتراف بالأخطاء والخسائر.

- **الهدف الثالث لرسالة القوة يرتبط بالرأى العام الغربى**، والأنظمة السياسية الغربية المؤيدة لإسرائيل، حيث إن إبراز الإنجازات، يؤكد نجاح إسرائيل فى حربها ضد الإرهاب، وتأكيد لفكرتها عن عدالة القضية. فضلاً عن إضعاف صورة الحزب باعتباره الخاسر أمام بعض قطاعات الرأى العام الغربية التى تعاطفت معه.

٤ - رسالة الصمود

(أ) مضمون الرسالة

الجبهة الداخلية الإسرائيلية متماسكة وقوية بفضل روح التضامن لدى الإسرائيليين.

(ب) ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب

جاءت رسالة الصمود فى المرتبة الرابعة والأخيرة على أجندة خطاب أولمرت، بمعدل ١٥ فقرة فى خطاباته.

(ج) عناصر الرسالة

تتشكل رسالة الصمود فى خطاب أولمرت من ثلاثة عناصر، الأول: الردع الداخلى، الثانى: فشل نظرية العنكبوت، الثالث: الروح التضامنية، وقد تبين من تحليل الخطاب أن أولمرت حاول التأكيد على قوة وصمود الجبهة الداخلية من خلال تفاصيل هذه العناصر.

- **الردع الداخلى**

عكست خطابات أولمرت اهتمامه بالإدارة المحلية خلال الأزمة، وتبلور ذلك فى اجتماعه مع رؤساء السلطات المحلية يومى ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦، ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦، ألقى خلالهما خطابين شرح فيهما تطورات الموقف، وتبين تركيزه فى هذين الخطابين على أوضاع الجبهة الداخلية، وتأكيده على بعدين، **الأول**: إن السلطات المحلية تلعب دور العمود الفقرى للجبهة الداخلية من خلال قربها من الجمهور، ومعرفة احتياجاته عن كثب، **الثانى**: إن رؤساء السلطات المحلية وسكان الشمال خلقوا بعداً جديداً لمصطلح الردع المشتق من صمود الجبهة الداخلية، إذ ظهر أنه لا يمكن كسر قوة وشوكة إسرائيل عن طريق قصف مدنها.

- «تشكل السلطات المحلية فى إسرائيل خلال هذه الأيام العمود الفقرى المركزى للجبهة الداخلية. فأنتم القريبون من الجمهور، تعرفون سكانكم عن كثب، تعرفون بيوتهم والأجهزة التى تعالج ضائقاتهم، أنتم من تصلون إلى كل زاوية فى المدينة، إلى كل شارع مقصوف وبيت مهجور، من تساعدون كل مواطن فى ضائقة، وتهتمون بإيصال الغذاء للجوعى وبتوفير غطاء وسرير لكل محتاج، أنتم المفتاح لقوة صمود المجتمع الإسرائيلى فى ساعة الاختبار هذه. وخلال هذا الاختبار، الذى خضتموه عن غير طيب خاطر، تظهرون صمودا مثيرا للانطباع. أنتم يا رؤساء السلطات المحلية وسكان الشمال من خلقتم بعدا جديدا لمصطلح الردع المشتق من صمود الجبهة الداخلية. إذ أظهرتم أنه لا يمكن كسر قوتنا وشوكتنا عن طريق قصف مدننا، لأننا شعب عنيد صعب المراس. حكومة

إسرائيل بجميع فروعها: وزراؤها، مديروها وموظفوها تقف معكم والى جانبكم ليل نهار من اجل مساعدتكم على بلورة الردود الفورية على المشاكل الآنية التى نشأت نتيجة للحرب، ولن نتوقف عن ذلك»[١١٠].

• فشل نظرية العنكبوت

أحد مؤشرات الحرب النفسية بين إسرائيل وحزب الله خلال الحرب على لبنان، هو حالة الاستنفار لدى الجانبين لدراسة ورصد كل ما يصدر عن الطرف الآخر، وقد وضح ذلك فى تأثر أولمرت فى خطابه بخطابات نصر الله، فقد عكست صياغات بعض الأجزاء فى عدد محدود من خطاباته ذلك التأثر خاصة فى حديثه عن صمود الجبهة الداخلية الإسرائيلية، وقدرتها على الصبر والاصطبار ورباطة الجأش، فضلاً عن عدد محدود من الفقرات أشار فيها إلى أنهم سيتألمون « فى إشارة إلى حزب الله »، وتأثرًا بطريقة نصر الله حينما يقول « وتألمون كما يألمون»، فضلاً عن توظيف أولمرت لمقاطع من التوراة فى ثلاث خطابات من خطبه على غرار توظيف نصر الله للنص القرآنى فى خطابه، وفى أحد خطاباته تعمد أولمرت الرد على حسن نصر الله لدحض رؤيته عن « كون الجبهة الداخلية الإسرائيلية تمثل بيت العنكبوت»، ففى خطابه أمام السلطات المحلية يوم ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ نفى أولمرت نجاح نظرية نصر الله التى تذهب إلى أن الضغط على الجبهة الداخلية سيدفعهم للضغط على الجيش الإسرائيلى.

ـ «خلال الحرب الأخيرة، كانت الجبهة الداخلية الإسرائيلية، المدنية، الهدف الرئيس للعدو، وذلك ليس من قبيل الصدفة؛ إذ كان هدف حزب الله هو أن يثبت نظريته بشأن نسيج العنكبوت: أن يمس بالجبهة الداخلية، أن يقتل، وأن يزرع الرعب، من منطلق نيته نشر الهلع والذعر، والتسبب فى صرخة جماهيرية تؤدى إلى شل عمليات جيش الدفاع الإسرائيلى ووقفها، إن حزب الله كان يعتقد أن الضغط على جبهتنا الداخلية هو طوق نجاتهم. كانوا يأملون فى أن لا تصمد جبهتنا الداخلية المدنية وقد تفاجئوا. حيث صمدت الجبهة الداخلية بفضل سلوك المواطنين فى الملاجئ وفى أماكن عملهم. صمدت بفضل الروح التطوعية والتضامنية لدى المجتمع الإسرائيلى الذى تجند بأسره للمساعدة، للتطوع، للمساهمة، للاستضافة، ولعمل كل ما هو ممكن. صمدت بفضل قيادتكم، فى مواقعكم، فى صفوف سكانكم، وأنتم تعملون بفطنة وشجاعة. وكذلك بفضل نشاطات

الحكومة، التى شرعت بالعمل من الأيام الأولى، فى ذروة حرب عسكرية صعبة، عصفت بنا جميعا. نعم، لقد صمدت الجبهة الداخلية، وبفضلها، بقدر كبير، فشل حزب الله فى ردعنا»[١٠١].

• الروح التضامنية

أشار أولمرت فى خطاباته إلى أن صمود الجبهة الداخلية فى إسرائيل يستند إلى قدرة الإسرائيليين على تجاوز الخلافات والانقسامات، وروح التضامن التى أبداها المجتمع خلال الحرب.

ـ «فى حياة الأمة هناك لحظات من التسامى، من الصفاء، خلالها تخلى الخلافات السياسية، والطائفية وعوامل الفرقة مكانها للشعور بالمسئولية المشتركة: وأنا أحترم وأقدر جدا طريقة تصرف المعارضة فى الكنيست خلال هذه الأيام. المنافسات بين البشر، والخصومات الشخصية تتلاشى ليحل محلها شعورنا بالتضامن المتبادل، بوحدة مصيرنا، وبخاصة حبنا اللامتناهى لشعبنا وبلادنا. هكذا هى هذه اللحظة! جميعنا ـ من يهود، ومسلمين، ومسيحيين، ودروز وشركس ـ نقف الآن وقفة رجل واحد، شعب واحد، معرضين سوية للكراهية والشر، ونحاربهما باتفاق وشراكة. عند إطلاق الصواريخ على سكاننا ومدننا، ردنا سوف يكون بشن حرب شعواء وبكل ما أوتى هذا الشعب من قوة، وإصرار وشجاعة وتفان وتضحية»[١٠٢].

ـ «أريد أن أشكر مئات المتطوعين، المنظمات، المؤسسات، السلطات والجهات من القطاع الخاص الذين يعملون ليل نهار من أجل مساعدة سكان الشمال، جاليات يهودية كثيرة ومن جميع أنحاء العالم تؤيد وتساعد سكان الشمال، هذه الروح التطوعية تبعث الدفء فى قلبى، حين أرى أشخاصا ميسورين، ومن لا تطال أيديهم أيضا، مستعدين للإسهام والبذل من أنفسهم من أجل المواطنين المرابطين على خط الجبهة»[١٠٣].

رابعًا: ردود فعل المستهدفين: صدى صوت خافت

تعرضت الدراسة فى الأجزاء السابقة للرسائل المتضمنة فى خطاب أولمرت، وأهداف هذه الرسائل، وفى هذا الجزء تبحث مدى نجاح وفشل الأهداف التى صيغت من أجلها

الرسائل الأربعة (الإرهاب- البراءة- القوة- الصمود)، من خلال تناول مواقف المستهدفين (المواطنين «الرأى العام الداخلى الإسرائيلى»، العدو «حزب الله»، جمهور الحياد «الرأى العام الخارجى») من مضامين رسائل أولمرت.

وينقسم هذا الجزء من الدراسة إلى ثلاثة محاور، الأول والثانى يتعرضان لنظرة الإسرائيليين لأولمرت، والثالث يتعلق بدراسة مواقف المستهدفين فى رسائل أولمرت من مضمون هذه الرسائل وطبيعتها.

١- رأى الجمهور الإسرائيلى فى أولمرت: أنت لا تصلح

كشفت استطلاعات الرأى العام التى أجريت فى داخل إسرائيل خلال فترة الحرب وما بعدها عن تراجع شعبية أولمرت داخل إسرائيل إلى درجات متدنية، فى مؤشر واضح على فشل أولمرت فى إقناع شعبه بقدرته على قيادته خلال الحرب، ومن ثم تعبير عن مقدار انخفاض حجم الثقة فى أولمرت ذاته، وبالضرورة خطابه السياسى.

ففى استطلاع للرأى أجراه معهد دحاف ونشرت نتائجه يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦ اعتبر ٢٩٪ من المستطلعين أن أداء رئيس الوزراء فى الحرب جيد جدًا[١٠٤]، وفى استطلاع نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت يوم ١٦/ ٨/ ٢٠٠٦ قال ٥١٪ من المستطلعين إن أداء أولمرت لم يكن جيدا، وأيد ٤١٪ من المستطلعين استقالة أولمرت[١٠٥]. وتقاربت هذه النسبة مع نتائج استطلاع الرأى الذى نشرته صحيفة معاريف فى نفس اليوم ففى سؤال عن شعبية وأداء أولمرت، نال ثقة ٤٠٪ فقط من المستطلعين، وحمله ٤٩٪ المسئولية عن الهزائم التى وقعت[١٠٦]. وفى استطلاع للرأى نشرت نتائجه يوم ٨/ ٩/ ٢٠٠٦ شمل عينة نموذجية من ٢٠٠ طالب جامعى، كانت النتائج مفاجئة، ففى سؤال عن أى زعيم أفضل فى زمن الحرب نصر الله أم أولمرت، حصل نصر الله على ٥,٥ نقطة، وأولمرت على ٣,٩ نقطة، مما يعنى أن الحرب عززت من صورة نصر الله فى نظر الإسرائيليين، وأضعفت صورة أولمرت[١٠٧]، وفى استطلاع آخر نشرت نتائجه يوم ١٨/ ٩/ ٢٠٠٦ اعتبر ٤٩٪ من المستطلعين أن رئيس الوزراء إيهود أولمرت هو المسئول عن الهزائم التى تعرض لها الجيش الإسرائيلى[١٠٨]، وفى استطلاع آخر أجراه معهد دحاف ونشرت نتائجه يوم ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ اعتبر ٧٠٪ من المستطلعين أن أداء أولمرت غير جيد، بينما اعتبر ٢٦٪ أنه جيد. واعتبر ٥٤٪ من المستطلعين أن على أولمرت أن يستقيل، بينما قال ٣٩٪ إنه لا يجب

أن يستقيل[١٠٩]، وأخيرا فى الاستطلاع الذى أجرته صحيفة هاآرتس ونشرت نتائجه يوم ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ عبر ٢٢٪ من المستطلعين عن رضاهم عن أداء أولمرت، مقابل ٦٨٪ عبروا عن عدم رضاهم.

وردّا على سؤال عن من الأنسب لرئاسة الحكومة اعتبر ٧٪ فقط أن أولمرت الأنسب لرئاسة الحكومة[١١٠]. وقد ذهب أحد المعلقين الصحفيين فى إسرائيل إلى القول بأن «أولمرت هو رئيس الحكومة الأقل شعبية فى كل الأزمان»[١١١].

وبجانب استطلاعات الرأى السابقة التى تكشف تراجع شعبية أولمرت، وتحميله مسئولية الهزائم التى منى بها الجيش الإسرائيلى هناك وسيلة أخرى تكشف كيف ينظر قطاع من الإسرائيليين إلى أداء أولمرت، فقراءة رسائل القراء فى صحيفة معاريف يوم ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٦ بعد الخطاب الذى ألقاه نصر الله، تكشف الصحيفة رؤية من أعماق المجتمع الإسرائيلى لأداء أولمرت جديرة بالتأمل، فمن بين مئات التعليقات اختارت الصحيفة تعليقات من قبيل «حكومتنا تخيفنا بضعفها»، «أولمرت تاجر عقارات فاسد»، «فى النهاية أعدنا هيبة الردع. . ولكن لحزب الله»، «مذهل كم هو صادق»، و«أولمرت أدخل جهاز التلفزيون إلى الحمام حتى لا يشاهده أحد»، «نصر الله يكذب. . لقد قال لنا أولمرت بأننا انتصرنا. . يقلقنى أولمرت عندما يقول انتصرنا. . . فماذا تكون الهزيمة بحسب أولمرت»[١١٢].

المؤشرات السابقة التى تعبر عنها استطلاعات الرأى، أو رسائل القراء إلى بريد الصحف الإسرائيلية تكشف عن عدم ثقة قطاع كبير من الجمهور الإسرائيلى فى أولمرت، ومن ثم مصداقية خطابه، خاصة ما يتعلق بانتصار إسرائيل على الحزب، وقوتها.

٢ ـ النخبة: أولمرت يرى حرب أخرى

أولمرت لم يخسر مصداقيته أمام قطاعات من الجمهور الإسرائيلى فقط، لكنه خسرها أيضا أمام النخبة المثقفة وشخصيات رسمية وغير رسمية لها وزنها على الساحة السياسية فى إسرائيل، فخلال الحرب تبلور تيار فى الصحافة الإسرائيلية يعارض أولمرت، وينتقد موقفه، ومن تلك الانتقادات ما وجه إلى خطابات أولمرت ذاتها، ومن أبرز الكتابات فى هذا الصدد: «يوم ١٧ يوليو ألقى أولمرت خطاب الحرب التشرشلى فى الكنيست ولم يقاطعه أحد للمرة الأولى فى تاريخ الكنيست» (يوئيل ماركوس هاآرتس

٤/ ٩/ ٢٠٠٦)[١١٣]. و«خطابات أولمرت الطويلة تثير «الشوق» للنصوص القصيرة لسابقه شارون التى لم تكن تزيد عن ٥ دقائق»[١١٤] (ألوف بن، هاآرتس ٣/ ٨/ ٢٠٠٦). و«الصورة المرسومة فى الذهن لرئيس الحكومة إيهود أولمرت، حسبما يمكن الاستشفاف من خطابه الأخير فى الكنيست ومن تصريحاته منذ بدء الحرب وطوال أيامها، هى صورة الشخص الذى توجد «فجوة بين نواياه المعلنة وبين مقدرته (أو رغبته) على تطبيقها. فقد وضع للحرب غايات غير قابلة للإنجاز ووصف واقعًا مزيفًا وهو يعرض نتائج المعركة بضوء تضليلى» (عوزى بنزيمان، هاآرتس ١٦/ ٨/ ٢٠٠٦)[١١٥]. و«أن أقوال رئيس الحكومة إيهود أولمرت فى الخطاب الشفوى الذى ألقاه، فى الحفل السنوى لكلية الأمن القومى، كانت أحيانًا منفصلة قليلاً عما يحدث فى الحدود الشمالية». وأضاف أنه عندما أعلن إيهود أولمرت أنه فى هذه الحرب «حققنا إنجازات غير مسبوقة غيّرت وجه الشرق الأوسط»، تساءل ضباط كبار من بين الحضور: «هل يجوز أنه لا يرى نفس الحرب التى نراها نحن؟». «(عاموس هرئيل، وآفى سخاروف، هاآرتس ٢/ ٨/ ٢٠٠٦)[١١٦]. «أولمرت مطالب بـ«إنهاء ثقافة الكذب» التى أحاطت بالحرب منذ اليوم الأول، ووقف محاولة مواجهة مخاطر وجودية بواسطة عروض عبثية متخيلة. . فالحرب ليست صفقة عقارات فى القدس. . وهى ليست معركة انتخابية» (آرى شافيط، هاآرتس ١٠/ ٨/ ٢٠٠٦)[١١٧]. كما واجه أولمرت انتقادات من بعض الشخصيات التى احتلت مناصب فى فترات سابقة مثل موشيه يعالون رئيس هيئة الأركان السابق الذى وجه انتقادات إلى أولمرت بسبب افتقاده إلى الخليفة العسكرية المطلوبة لمواجهة مواقف مثل حرب لبنان، يقول يعالون: «إن قرار الخروج إلى الحرب كان فضيحة، وهو يتحمل مسئولية ذلك مباشرة، إدارة الحرب كانت فاشلة وهو المسئول عن ذلك»[١١٨].

٣ـ الرسائل تخطئ أهدافها أحيانا

وجه أولمرت خلال خطابه أربعة رسائل (الإرهاب ـ البراءة ـ القوة ـ الصمود)، هذه الرسائل تم صياغتها لتحقيق أهداف معينة، تختلف بحسب الرسالة والجمهور المستهدف، والسؤال الضرورى كيف تفاعل المستهدفون مع رسائل أولمرت، كيف تلقى كلٌ من (الجمهور فى إسرائيل، «حزب الله»، الرأى العام الخارجى)، الرسائل الأربعة التى بثها أولمرت.

(أ) رسالة الإرهاب

فشل أولمرت فى الدفاع عن عدالة قضيته ونضاله فى مواجهة ما أسماه إرهاب حزب الله، بسبب دور الإعلام العالمى خاصة العربى فى كشف حجم الدمار الذى ألحقته الآلة العسكرية الإسرائيلية بالمدنيين فى لبنان، وخسر أولمرت وإسرائيل تيارًا كبيرًا من المتعاطفين فى أعقاب مذبحة قانا التى راح ضحيتها الأطفال الأبرياء، لكن هذه الرسالة نجحت إلى حد ما فى الداخل الإسرائيلى من خلال تضخم عقدة الخوف وشعور الضحية لدى الإسرائيليين، فقد كشفت استطلاعات الرأى عن تأييد الإسرائيليين لاستمرار الحرب من أجل تدمير حزب الله رغم علم الجمهور الإسرائيلى بحجم الخسائر على أرض الواقع. وعليه تكاد تكون هذه الرسالة الوحيدة التى أرجعت صدى صوت ضعيف إلى أولمرت بأن خطابه يلقى قبولاً على الأقل فى الداخل الإسرائيلى.

(ب) رسالة البراءة

فشل أولمرت أيضا فى إقناع الرأى العام العالمى بأنه لا يستهدف المدنيين الأبرياء فى لبنان حيث خرجت المظاهرات فى كافة مدن وعواصم العالم تطالب بإنهاء الحرب على لبنان، كما فشل فى استمالة تعاطف بعض قطاعات من الرأى العام اللبنانى، فقد كشفت استطلاعات الرأى فى الفترة السابقة على الحرب أن ٥٠٪ من اللبنانيين يدعمون حزب الله، وخلال الحرب زادت نسبة التأييد للحزب إلى ٨٥٪[١١٩].

(ج) رسالة القوة

فشل اولمرت فى إقناع الرأى العام الداخلى فى إسرائيل بأن بلاده انتصرت فى الحرب، وقد تبدى ذلك فى تيار الهجوم على أولمرت فى الصحافة الإسرائيلية، واتجاهات الجمهور فى إسرائيل التى كشفت عنها استطلاعات الرأى، والأهم من ذلك اتجاهات النخبة الرسمية فى إسرائيل، ففى الاجتماع[١٢٠] الذى عقدته لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست الإسرائيلى يوم ٤/ ٩/ ٢٠٠٦ واجه أولمرت انتقادات عنيفة من جانب أعضاء الكنيست من كافة الاتجاهات السياسية فى إسرائيل بسبب ما اعتبره أعضاء الكنيست تقصيرًا فى الحرب الثانية على لبنان، ففى كلمته التى ألقاها عضو الكنيست الإسرائيلى ملتان فيلنای عن حزب العمل قال « هذه أول مرة نهزم فيها فى ميدان قتال وجهًا لوجه، وعندما لا يعرف المهزومون أنهم هزموا، فهؤلاء ليسوا الحكومة ورئيس الحكومة فقط، فإن هذا يعنى أننا نعيش فى أزمة عنيفة وعميقة، بينما قال عضو الكنيست الإسرائيلى سليفان

شالوم من الليكود «لقد كانت هناك إخفاقات وأوجه قصور فى الحرب، وثقة الشعب فى الحكومة انهارت، إن الأهداف التى دفعتنا لشن هذه الحرب لم تتحقق بالفعل، فالجنود المختطفون لم يعودوا وحزب الله لم ينزع سلاحه وتهديد الصواريخ التى يمتلكها لم ينزع»، وتساءل عضو الكنيست عن الليكود ليمور لفنات «عن الإنجازات التى يزعم أولمرت تحقيقها فى الحرب: أهى الجنود المختطفون الذين لم يعودوا إلى إسرائيل، أم حزب الله الذى لم ينزع عنه سلاحه، أم حزب الله الذى ما زال موجوداً فى لبنان وعلى الحدود، وخلال هذه الجلسة فقد أولمرت اتزانه وتملكه الغضب ورد بعنف على أعضاء الكنيست قائلاً: «لقد كانت هناك هزائم، لكن كان هناك أيضا إنجازات مذهلة، وهل انهارت الولايات المتحدة الأمريكية بعد ثلاثة أعوام ونصف من الحرب فى العراق، وقد ذكرت صحيفة هاتسوفيه التى أوردت تقريراً عن الجلسة أن أولمرت واصل خطابه التأديبى لأعضاء الكنيست المنتقدين[١٢١]. كما أن هذه الرسالة فشلت فى تدمير معنويات حزب الله باعتباره العدو بسبب قدرة الصمود التى واجه بها مقاتلو حزب الله الآلة العسكرية الإسرائيلية، وبسبب الخسائر التى تكبدتها القوات الإسرائيلية على الأرض، كما أنه لا توجد أية مؤشرات حقيقية على نجاح إسرائيل فعليًا فى تدمير القدرات الصاروخية لحزب الله، وما يعكس ذلك قدرة الحزب على قذف العمق الإسرائيلى بعد خطاب أولمرت الذى تحدث فيه عن إنجازات من ضمنها تدمير القوات الصاروخية للحزب، كما أن الاحتفال المهيب الذى أجراه الحزب فى نهاية شهر سبتمبر ٢٠٠٦ يكشف عن الروح المعنوية والقدرة العالية للحزب غداة الحرب.

(د) رسالة الصمود

حديث أولمرت عن صمود المجتمع الإسرائيلى هو نقل فكرة موجودة فى الواقع لنص خطابى، فحقيقة أن صمود الشعب الإسرائيلى وتضامنه لم يكن نابعًا من طبيعة الحرب كونها مع حزب الله، لكنه طبيعة أى مجتمع فى لحظات الأزمة وبخاصة المجتمع الإسرائيلى الذى يتوحد ضد الخطر الخارجى دائمًا، كما أن جزءًا من هذا التضامن مرجعه تضخيم عقدة الخوف وشعور الضحية فى خطاب أولمرت، كما أن هذا التضامن لم يصمد بعد الحرب حيث تعززت الانقسامات الأولية والطائفية داخل المجتمع، واتخذت قضايا الفساد صورة علنية أكبر من أى مرحلة سابقة، هذا بخلاف ما كشفت عنه بعض التقارير الإعلامية عن حوادث السرقة فى مناطق الشمال التى تعرضت لقصف حزب الله.

ملخص الرسائل المتضمنة فى خطاب أولمرت

الرسالة	ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب	الجمهور المستهدف	الأهداف المستترة وراء صياغة الرسالة	النتائج
١ ـ رسالة الإرهاب	المرتبة الثالثة	* الرأى العام الإسرائيلى * الرأى العام الغربى * بعض قطاعات الرأى العام العربى	* تضخيم عقدة الخوف، وشعور الضحية لدى المواطن الإسرائيلى. * كسب تعاطف الرأى العام الغربى * استمالة بعض قطاعات الرأى العام العربى * الحصول على الدعم السياسى من الدول الغربية فى حربها ضد الإرهاب	*نجاح محدود على الصعيد الداخلى * فشل محدود على الصعيد الخارجى
٢ ـ رسالة البراءة	المرتبة الأولى المرتبة الثانية المرتبة الرابعة	* الرأى العام الغربى * بعض قطاعات الرأى العام العربى	* تنظيف صورة إسرائيل «ملائكية نحن» * تشويه الخصم «شيطنة الآخر»	* نجاح محدود على صعيد بعض قطاعات الرأى العام الغربى * فشل على صعيد الرأى العام الغربى، وبعض قطاعات

الرسالة	ترتيب الرسالة على أجندة الخطاب	الجمهور المستهدف	الأخداف المستترة وراء صياغة الرسالة	النتائج
٣ ـ رسالة القوة		* العدو «حزب الله» * الرأى العام الإسرائيلى * الرأى العام الغربى	* تدمير معنويات أفراد وقادة الحزب * حشد الجبهة الداخلية	الرأى العام الغربى * فشل. * فشل.
٤ ـ رسالة الصمود		* الرأى العام الإسرائيلى * «العدو «حزب الله»	* حشد الجبهة الداخلية * نقض مقولات الحزب عن الجبهة الداخلية	* نجاح محدود * نجاح محدود

خاتمة

يعطى التحليل التفصيلى السابق التعرض له فى متن الدراسة إجابات واضحة لتلك الأسئلة الأساسية التى طرحت فى المقدمة عن علاقة صياغة الخطاب بالحرب النفسية، وحجم النجاح والفشل فى توظيف الخطاب فى الحرب النفسية، كما تقدم إجابات على الأسئلة الفرعية المتعلقة بقضايا الخطاب وحجم الاهتمام بها، ورؤية رئيس الوزراء للنصر فى الحرب، وطبيعة الرسائل المتضمنة فى الخطاب، والمستهدفين بها.

فقد كشف تحليل الخطاب عن مجموعة من المؤشرات الكلية تتمثل فى:

أولاً: أن نمط صياغة الخطاب، واتجاهاته ترتبط بإطار عام حاكم يدلل على وجود إستراتيجية مسبقة تحكم صياغة الخطاب ومضمونه، من أجل توظيفه فى الحرب كإحدى أدوات الحرب النفسية.

ثانيًا: يتضمن الخطاب أربعة محاور كلية أو رسائل محددة وواضحة، **المحور الأول** يتعلق برؤية إسرائيل وموقفها من حزب الله وعلاقته مع إيران وسوريا، ويتحدد هذا المحور فى قضية أساسية هى الإرهاب، والحديث عن محور شر يربط الأطراف الثلاثة، وصياغة الخطاب بنفس الأسلوب والإطار الذى صيغ به الخطاب الأمريكى بعد أحداث ١١ سبتمبر، **المحور الثانى** يتمثل فى الدفاع عن صورة إسرائيل المتضررة من جراء ما تنقله وسائل الإعلام من شواهد وأدلة للدمار فى لبنان، وموقف الدفاع فى الخطاب عكس الحقائق وخلق صورة مغايرة للواقع تقدم إسرائيل كدولة بريئة وحزب الله هو الذى يستهدف المدنيين، **المحور الثالث** يتمثل فى رؤية إسرائيل للنصر، وفى هذا الإطار يقدم رئيس الوزراء إسرائيل فى خطابه باعتبارها الدولة المنتصرة، وهذا الطرح يختلف كثيرًا عما جرى فى الواقع، للدرجة التى دفعت قطاعات من الإسرائيليين ـ خاصة من السياسيين والكتاب الصحفيين ـ لنقد النصر الذى قدمه أولمرت فى خطابه. **المحور الرابع والأخير** يتمثل فى أوضاع الجبهة الداخلية فى إسرائيل التى تظهر فى خطابات أولمرت كجبهة قوية وتظهر فى الصحافة الإسرائيلية كجبهة منهارة وتعانى من الخسائر.

ثالثًا: الرسائل التى طرحها أولمرت فى خطابه تشكلت من عناصر واضحة وثابتة تتكرر فى خطاباته بنمط واتجاه واحد لتشكيل الرسالة المطلوبة، لكن تلك الرسائل رغم قوة الصياغة لم تنجح فى اختراق المستهدفين، فموقف الرأى العام الداخلى فى إسرائيل، والرأى العام فى الغرب، والدول العربية ضد إسرائيل، فضلاً عن احتفال حزب الله بالنصر بطريقة تبعث رسالة قوة مضادة، وتؤكد على تهافت رسالة القوة الإسرائيلية. وقد تراوحت قدرة أولمرت على النجاح فى تحقيق أهداف الحرب النفسية ما بين الفشل الكامل، والنجاح المحدود.

***

الهوامش :

١ ـ رصد الباحث ٩ خطابات من خطب إيهود أولمرت من موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت، الصفحة العربية، و٦ خطابات منشورة فى الصحف الإسرائيلية تم ترجمة الأجزاء المنشورة منها إلى العربية، ولمراجعة هذه الخطابات راجع المصادر التالية :

ـ تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلى يوم ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20this%20is%20not%20a%20terrorist%20attack%2012072006

-كلمة رئيس الوزراء فى مستهل جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20our%20cause%20is%20just%2016072006

-كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت خلال جلسة الحكومة التى عقدت يوم ١٦ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦، صحيفة يديعوت أحرونوت ١٦ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ .

ـ خطاب رئيس الوزراء إيهود أولمرت فى الكنيست ١٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20speech%20in%20the%20knessent%2017072006

ـ تصريحات رئيس الوزراء إيهود أولمرت فى مستهل لقائه بوزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20with%20german%20fm%2023072006

ـ مقتطفات من تصريحات أدلى بها رئيس الوزراء إيهود أولمرت خلال جولة قام بها فى جنوب البلاد ٢٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20tour%20in%20the%20south%2024072006

ـ تصريحات رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس عقب لقائهما فى القدس ٢٥/ ٠٧/ ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20condoleeza%2025072006

ـ كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت خلال جلسة الحكومة الأسبوعية التى عقدت يوم الأحد ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ عقب مذبحة قرية قانا، صحيفة يديعوت أحرونوت ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ .

ـ كلمة رئيس الوزراء أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية :

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/PM%20Olmert%20addresses%20mayors%2031072006

- كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت فى مراسم إنهاء خدمة جنود بمقر جهاز الأمن القومى يوم ١ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦، صحيفة يديعوت أحرونوت ١ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦ .
- كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت المسجلة التى تم بثها أمام ممثلى اتحاد الطوائف اليهودية فى أمريكا الشمالية يوم ٧ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦، صحيفة معاريف يوم ٧ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦ .
- تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت التى أدلى بها للصحفيين عقب لقائه بالرئيس الإسرائيلى موشيه كاتساف يوم ٨ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦، صحيفة يديعوت أحرونوت ٨ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦ .
- بيان رئيس الوزراء بشأن الحرب فى الشمال أمام الكنيست ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية:

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20speech%20-%20end%20of%20the%20war%2013082006

- كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت خلال جلسة الحكومة يوم ٢٧ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦، صحيفة يديعوت أحرونوت على الإنترنت ٢٧ ـ ٨ ـ ٢٠٠٦ .
- كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت أمام رؤساء السلطات المحلية فى الشمال، حيفا يوم ٢٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٦، منشور على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، الصفحة العربية:

http://www.altawasul.net/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/olmert%20speech%20northern%20mayors%2028082006

٢ ـ حامد عبد الماجد قويسى، دراسات فى الرأى العام، مقاربة سياسية، القاهرة، مكتبة الشروق، ٢٠٠٣، ص ٣٢ .

٣ ـ دان وليامز، «إيهود أولمرت . . من خليفة لشارون إلى رجل دولة»، تقرير لوكالة رويترز ٣/ ٢٢/ ٢٠٠٦، منشور على شبكة الإنترنت:

http://www.masrawy.com/News/2006/MidEast/Reuters/March/22/OEGTP-ISRAEL-OLMERT-MD5878148.aspx

٤ ـ بى بى سى العربية، «من هو إيهود أولمرت»، ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٦، تقرير منشور على الإنترنت.

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_4855000/4855602.stm

٥ ـ رونى سفير، «رئيس الوزراء بالإنابة إيهود أولمرت»، يديعوت أحرونوت ٥/ ١/ ٢٠٠٦، مختارات إسرائيلية، العدد ١٣٤، فبراير ٢٠٠٦ .

٦ ـ بى بى سى العربية، «من هو إيهود أولمرت»، مرجع سبق ذكره:

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_4855000/4855602.stm

٧ ـ دان وليامز، «إيهود أولمرت . . من خليفة لشارون الى رجل دولة»، مرجع سبق ذكره:

http://www.masrawy.com/News/2006/MidEast/Reuters/March/22/OEGTP-ISRAEL-OLMERT-MD5878148.aspx

٨ ـ رونى سفير، «رئيس الوزراء بالانابة إيهود أولمرت»، مرجع سبق ذكره.

٩ ـ المرجع السابق.

١٠ ـ دان وليامز، «إيهود أولمرت . . من خليفة لشارون إلى رجل دولة»، مرجع سابق.

١١ ـ المرجع السابق.
١٢ ـ يسرائيل هرئيل، «استهتار أولمرت وليبرمان»، هاآرتس ١٦/ ٣/ ٢٠٠٦، مختارات إسرائيلية، العدد ١٣٦، إبريل ٢٠٠٦ .
١٣ ـ ألوف بن، «أولمرت خليفة شارون ولكنه ليس امتدادًا له»، هاآرتس ٩/ ٥/ ٢٠٠٦، مختارات إسرائيلية، العدد ١٣٨ ـ يونيو ٢٠٠٦ .
١٤ ـ بى بى سى العربية، «من هو إيهود أولمرت»، مرجع سبق ذكره.
١٥ ـ افتتاحية هاآرتس، علام يبكى أولمرت، مرجع سبق ذكره.
١٦ ـ دان وليامز، «إيهود أولمرت.. من خليفة لشارون إلى رجل دولة»، مرجع سبق ذكره.
١٧ ـ اعتمد الباحث بشكل أساسى فى هذا الجزء لوضع الإطار المنهجى لفهم ودراسة الحرب النفسية على دراسة رون شيلفر المعنونة «الحرب النفسية فى (إسرائيل) دراسة جديدة» ٢٠٠٣، وهو محاضر فى جامعة بار إيلان فى قسم العلوم السياسية وباحث فى مركز بيجن ـ السادات فى مجال الحرب النفسية وحرب المعلومات وعلاقاتها فى الجيش والإعلام، وصدرت هذه الدراسة عن مركز بيجن ـ السادات للدراسات الإستراتيجية، وقد قام مركز الإعلام الفلسطينى بترجمة الدراسة إلى اللغة العربية، وبثها على موقع المركز على الإنترنت، انظر :
http://www.palestine-info.info/arabic/shoonalkaian/researches/haarb.htm
١٨ ـ المرجع السابق، ص ٢ .
19 - W.E.Daugherty & M. Janowit, A Psychological Warfare Case Baltimore, Md: Johns Hopkins University Press, 1958, P. 20.
٢٠ ـ ألفت حسن أغا، «دور الإعلام فى الحرب على العراق»، فى د. حسن نافعة، ود. نادية مصطفى محرران وآخرون، «العدوان على العراق: خريطة أزمة... ومستقبل أمة»، أعمال مؤتمر مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص ٣٠٥ ـ ٣٢١ .
٢١ ـ ماجد أحمد السامرائى، الحرب النفسية فى حملة أمريكا العسكرية (١ ـ ٢)، تقرير منشور على شبكة الإنترنت، بدون تاريخ.
http://www.azzaman.com/azz/articles/2002/01/01-15/a99849.htm
٢٢ ـ المرجع السابق.
٢٣ ـ حنان يوسف، «صورة إسرائيل: تغطيات الصراع العربى الإسرائيلى»، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوى السادس عشر للبحوث السياسية «إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريو المستقبل»، ٢٨ ـ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢، ص ٣ .
٢٤ ـ رون شيلفر، «الحرب النفسية فى (إسرائيل) دراسة جديدة»، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣ ـ ٤ .
٢٥ ـ المرجع السابق، ص ص ٦ ـ ٧ .
٢٦ ـ المرجع السابق، ص ٨ .
٢٧ ـ المرجع السابق، ص ص ٩ ـ ١٠ .
٢٨ ـ خطاب رئيس الوزراء إيهود أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٢٩ ـ تصريحات رئيس الوزراء إيهود أولمرت خلال لقائه مع وزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٠ ـ تصريحات أولمرت بعد لقائه وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٣١ ـ كلمة إيهود أولمرت خلال جلسة الحكومة الأسبوعية يوم ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ .
٣٢ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٣ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٤ ـ كلمة أولمرت أمام رؤساء السلطات المحلية يوم ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٣٥ ـ كلمة أولمرت أمام مجلس الوزراء يوم ١٦ / ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٦ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة الأسبوعية يوم ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ عقب مذبحة قرية قانا .
٣٧ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٨ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٣٩ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست ١٤ / ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٠ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤١ ـ تصريحات أولمرت خلال لقائه مع وزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٢ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٣ ـ كلمة أولمرت المسجلة التى تم بثها أمام ممثلى اتحاد الطوائف اليهودية فى أمريكا الشمالية ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٤ ـ كلمة أولمرت أمام رؤساء السلطات المحلية ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٥ ـ توم سيغف، «الحرب الحالية تتطلب لجنة مؤرخين»، ملحق صحيفة هاآرتس ١٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٤٦ ـ دان بارعون، «إسرائيل والحرب فى لبنان والوضع فى غزة: شرعية الضحية»، ترجمة رائد الباش، منشور على موقع قنطرة على شبكة الإنترنت:
http://www.qantara.de/webcom/show_article.php/_c-492/_nr 419i.html?PHPSESSID=5869
٤٧ ـ كلمة أولمرت فى جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٨ ـ كلمة أولمرت فى جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٤٩ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٠ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥١ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٢ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٣ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٤ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٥ ـ تصريحات أولمرت يوم ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٦ ـ خطاب رئيس الوزراء إيهود أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٧ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٨ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٥٩ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٠ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦١ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٦٢ ـ كلمة أولمرت فى مستهل جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٦/ ٢٠٠٦ .
٦٣ ـ تصريحات أولمرت فى مستهل لقائه بوزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .

٦٤ ـ كلمة أولمرت المسجلة التى تم بثها أمام ممثلى اتحاد الطوائف اليهودية فى أمريكا الشمالية يوم ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٦٥ ـ تصريحات أولمرت فى مستهل لقائه بوزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٦ ـ تصريحات أولمرت خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ٢٥/ ٠٧/ ٢٠٠٦ .
٦٧ ـ تصريحات أولمرت خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ٢٥/ ٠٧/ ٢٠٠٦ .
٦٨ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٦٩ ـ كلمة أولمرت فى مستهل جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٠ ـ تصريحات أولمرت فى مستهل لقائه بوزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧١ ـ تصريحات أولمرت فى مستهل لقائه بوزير الخارجية الألمانى د. فرانك شتاينماير ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٢ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة التى عقدت يوم ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٦ عقب مذبحة قرية قانا.
٧٣ ـ كلمة أولمرت المسجلة التى تم بثها أمام ممثلى اتحاد الطوائف اليهودية فى أمريكا الشمالية يوم ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٧٤ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٥ ـ كلمة رئيس الوزراء فى مستهل جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٦ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٧ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٧٨ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة يوم ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ عقب مذبحة قرية قانا.
٧٩ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة يوم ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ عقب مذبحة قرية قانا.
٨٠ ـ تصريحات أولمرت خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ٢٥/ ٠٧/ ٢٠٠٦ .
٨١ ـ تصريحات أولمرت خلال لقاءه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ٢٥/ ٠٧/ ٢٠٠٦ .
٨٢ ـ تصريحات أولمرت خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ٢٥/ ٠٧/ ,٢٠٠
٨٣ ـ كلمة رئيس الوزراء أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٤ ـ بيان رئيس الوزراء أمام الكنيست ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٨٥ ـ كلمة أولمرت فى مراسم إنهاء خدمة جنود بمقر جهاز الأمن القومى يوم ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٨٦ ـ كلمة أولمرت خلال جلسة الحكومة يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٧ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٨ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٨٩ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩٠ ـ كلمة أولمرت فى مراسم إنهاد خدمة جنود بمقر جهاز الأمن القومى يوم ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩١ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩٢ ـ كلمة أولمرت أمام مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٩٣ ـ كلمة أولمرت فى جلسة مجلس الوزراء يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٩٤ ـ خطاب أولمرت الكنيست فى ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٩٥ ـ خطاب أولمرت الكنيست فى ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٩٦ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
٩٧ ـ كلمة أولمرت أمام رؤساء السلطات المحلية فى الشمال ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٩٨ ـ كلمة أولمرت فى مراسم إنهاء خدمة جنود بمقر جهاز الأمن القومى يوم ١/ ٨/ ٢٠٠٦ .
٩٩ ـ خطاب أولمرت أمام الكنيست يوم ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٠٠ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٠١ ـ كلمة أولمرت أمام رؤساء السلطات المحلية ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٠٢ ـ خطاب أولمرت فى الكنيست ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٠٣ ـ كلمة أولمرت خلال اجتماع رؤساء السلطات المحلية ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٠٤ ـ صحيفة يديعوت أحرونوت، ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٠٥ ـ صحيفة يديعوت أحرونوت، ١٦/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٠٦ ـ صحيفة معاريف، ١٦/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٠٧ ـ صحيفة يديعوت أحرونوت، ٨/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١٠٨ ـ صحيفة معاريف، ١٨/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١٠٩ ـ صحيفة يديعوت أحرونوت، ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١٠ ـ صحيفة هاآرتس، ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١١ ـ يوئيل ماركوس، صحيفة هاآرتس، ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١٢ ـ صحيفة معاريف، بريد القراء، ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١٣ ـ يوئيل ماركوس، صحيفة هاآرتس، ٤/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١٤ ـ ألوف بن، صحيفة هاآرتس، ٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١١٥ ـ عوزى بنزيمان، صحيفة هاآرتس ١٦/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١١٦ ـ عاموس هرئيل وآفى سخاروف، هاآرتس ٢/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١١٧ ـ آرى شافيط، صحيفة هاآرتس ١٠/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١١٨ ـ ملحق، صحيفة هاآرتس ١٤/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١١٩ ـ مجلة نيوزويك، النسخة العربية، عدد ١٨/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٢٠ ـ صحيفة هاتسوفيه، ٥/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١٢١ ـ ميرون بنبنشتى، صحيفة هاآرتس، ١٠/ ٠٨/ ٢٠٠٦ .

***

التعقيب

أ. سعد هجرس(*)
د. قدرى حفنى(**)

● **أ. سعد هجرس**

أعتقد أن خطاب فؤاد السنيورة مهم جدّاً فى قراءته وتحليله بشكل جدى ولكنى فى البدء لا بد أن أشير إلى عدة نقاط :

الأولى : أن خطاباته التى يلقيها هى لغة وكتابة د. رضوان السيد ؛ لأن هذه اللغة ليست لغة السنيورة .

الثانية : وأرى أن د. أمانى مسعود لم تشر إلى وقفة البكاء الشهيرة لفؤاد السنيورة (خطاب البكاء) ؛ هذا الخطاب الذى لوح فيه بالاستقالة فى وقت حرج فى ذروة الحرب ؛ ومعنى ذلك أن الحاكم الشرعى للبنان الرئيس إميل لحود يعنى أن السيادة السورية ستعود للبنان . وكان هذا التحرك السياسى مهم جدّاً حتى إننا نلاحظ أنه فى اليوم الثانى حدث تغير فى تكتيك الأمريكان والإسرائيليين .

الثالثة : وهو موقف الإسرائيليين الآن من فؤاد السنيورة ؛ حيث إن كل تصريحات الحكومة الإسرائيلية تدعم موقف السنيورة ، حتى إنه بالأمس قالت وزيرة الخارجية الإسرائيلية : لا داعى من كل هذه التصريحات ؛ لأننا نضر فؤاد السنيورة بالمجاهرة بهذا الموقف . ولماذا مساندة الأمريكان والإسرائيليين لفؤاد السنيورة والدول السنية الكبرى فى مواجهة حسن نصر الله؟

(*) خبير إعلامى فى العالم اليوم .
(**) أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة عين الشمس .

• **د. قدرى حفنى**

بسم الله الرحمن الرحيم

فى البدء عندى ملاحظة عامة: كما يقال القدر ما زال يغلى، والأحداث ما زالت مستمرة.. وتتصور أن الأوراق التى كتبت توقفت عند انتهاء الحرب، وهذا يعطى فرصة أنها تشبه تجربة معملية. أرجو أن كاتبى الأوراق ينظرون إلى ما حدث بعد الحرب، وهذه فرصة جيدة نقول: ماذا كنا نفكر أيام الحرب؟ وهل الموقف تغير بعد الحرب أم لا؟

لدى عدة ملاحظات...

هناك ملاحظة منهجية مثلاً بالنسبة لورقة د. أمال كمال.. وأ. سعد هجرس قد أعفانى من كثير من الملاحظات، ولكن أنا على علم بأن هذا الموضوع يثير الحماس والغيرة الوطنية والحماس للمقاومة، ولكن مهمة الباحث العلمى أن يتحاشى كثيراً من التعبيرات غير المحددة. مثلاً نقول: «موقف الحكومات العربية أشعل الغضب الشعبى العربى». أنا موافق ولكن نحدد غضب من؟ فهو لم يشعل الغضب الشعبى العربى فى السعودية، ولا الغضب الشعبى العربى فى سوريا، ولم يشعل الغضب الشعبى العربى عند كل الفئات فى مصر، ولكن نقول: «أشعل الغضب الشعبى العربى متمثلاً فى بيانات الأحزاب كذا، قوى كذا، ومظاهرات كذا .... إلخ».

هذه ملاحظة عامة وأنا موافق على الملاحظات التى قالها أ. سعد هجرس. أما بالنسبة لورقة أ. نسمة كنت أشعر بالسعادة أثناء الاستماع، ولكن حينما انتبهت لنفسى أننى فى مجلس علم؛ وجدت أنها تحلل خطاب السيد حسن نصر الله من داخل السيد حسن نصر الله وليس من خارجه.. فكل مراجعها تؤيد السيد حسن نصر الله، ولكن كل ما قال حسن نصر الله وما كتب عنه أثناء الحرب اللبنانية كان طبيعيّا أن يبرز وجهه الوطنى على حساب وجهه الشيعى الذى ليس شبهة أو تهمة يتبرأ منها. هو شيعى وماهر سياسيّا ينطلق من أرضية واضحة؛ يتحالف مع المارونى أحيانًا، ومع السنى أحيانًا، والعلوى أحيانًا؛ ولكن هو شيعى.. لذلك الإغراق فى إبراز الجانب الوطنى على حساب الشيعى لا أظن أنه يسعد السيد حسن نصر الله، وهو مناضل شيعى.

أيضًا قضية البحث فى تاريخه الشخصى ونشأته فى الكرنتينا هذا أمر جيد؛ وهو حى يتركز فيه الفقراء ومعظم الشيعة، والقول بأن حسن نصر الله الذى نشأ فى الكرنتينا قد خلا

من أى تعصب عرقى أو مذهبى فيها مغامرة؛ حيث إنه لا يقلل من شأنه أنه شيعى متمسك بمذهبه. . وحين أراد أن يستزيد من العلم لم يذهب إلى مكة؛ فهذا أمر لم ينقص من شأنه. . هكذا هو.

أيضًا حين نتحدث عن موقف حسن نصر الله حين قتل الإسرائيليون ابنه فهذا موقف ينبغى الوقوف أمامه، وينبغى أيضًا أن نقارنه بموقف محمود الزهار حينما قتل زوج ابنته، ويقارن أيضًا بموقف السادات حينما قتل أخوه عاطف السادات. . هذه مواقف من يريد المقارنة واستقراء الأحداث يستطيع أن يضعها على المحك ويقارن.

أيضًا بالنسبة للسيد حسن نصر الله فى تحليل خطابه أثناء الحرب فالهدف المعلن لم يكن «تحطيم صورة الأمن الإسرائيلى»؛ ولكن الهدف المعلن هو «استعادة الأسرى». . وهذا الأمر لم يذكر فى الورق رغم أنه الهدف. وقد أعلن أنه قد أسر جنديين لتبادلهما مع أسرى لبنانيين عرب؛ وهذه مسألة لم تنقص من أحد شيئًا، ولكنها ينبغى أن توضع فى وضعها الصحيح.

بالنسبة لورقة د. أمانى مسعود لى ملاحظة واحدة؛ وهى تكرار كلمة الأسرى اللبنانيين. . كنت أحب أن توضح العدد. لأن عدد الأسرى اللبنانيين ثلاثة، وإسرائيل تدعى أنه واحد فقط، وأن واحدًا مات والثانى هناك جدل حوله، وإسرائيل تقول إن أمه يهودية، وبالتالى هو إسرائيلى أو شىء من هذا القبيل.

ولكن هذا لا يقلل شيئًا؛ واحد مثل مائة ألف، جريمة الأسر الإسرائيلى واحدة ولكن يجب أن نعرف حجم الأسرى اللبنانيين؛ فالهدف كان فى الأصل تبادل الأسرى العرب.

الورقة الخاصة بالمتغيرات الشخصية لأولمرت وأثرها على الحرب: الحقيقة أن فكرة المتغيرات الشخصية لأى شخص أو أولمرت كما جاء فى علم النفس السياسى مسألة مثيرة للجدل. . هل يمكن أن ننطلق من سمات الشخصية لنحلل القرارات السياسية؟

أنا أعترف أن هذه موجة أصابت علم النفس السياسى فترة، وكتب كثير عن هتلر وعقده النفسية التى أدت إلى كذا وكذا. لكن المسألة اليوم أصبحت محل جدل وليست ثابتة على أرض صحيحة، وأنا سبق وكتبت مقالة مطولة فى وجهات نظر وتكلمت فيها عن شارون وقلت إن تاريخه الشخصى ليس له علاقة بما فعله فى فلسطين، ولكن المسألة لها أسباب أخرى.

أيضًا الكاريزما . . قيل إن أولمرت يفتقدها، أما حسن نصر الله فلديه كاريزما عالية : تعبير كاريزما لم نعد نستخدمه كثيراً فى علم النفس السياسى لسببين هما : بعض المحللين يقولون إنه تعبير مضى وقته؛ حيث إنه فى العصر الحديث لم يعد القائد مطلوبًا، وبالتالى يعرفون صاحب الكاريزما بأنه مهيج للجماهير، وأن هذا دور ليس مطلوبًا، وليس من الضرورى أن يكون القائد عنده قدرة على إثارة الجماهير . . وبعض المحللين يقولون إن هذا عصر انتهى بنهاية القائد المفكر الفيلسوف .

أيضًا أ. حسام حسن نأخذ عليه أنه اعتمد على مقالة باحث إسرائيلى يدعى هول شيفر، كتب مقالة نظرية تطبيقية عن الحرب النفسية سنة ٢٠٠٣ .

كتابات سنة ٢٠٠٥ عن الحرب النفسية كثيرة، ولكنى أرى أن الإسرائيليين ليسوا أحسن ناس كتبوا عن الحرب النفسية، وأن هناك كتابات كثيرة عن الحرب النفسية عرضت لها فى مقالات وجهات نظر فى مقالين نتيجة الاعتماد على هذا المصدر الإسرائيلى؛ فالشخص قد يغيب عنه نقطة مهمة وهو يحلل الخطاب . . إن الخطاب الإسرائيلى تاريخيًا من أول قيام إسرائيل خطاب مزدوج يخلط بين الاستقواء والاستضعاف . . نغمتان مستمرتان معًا . . يقولون : نحن أناس ضعاف والعرب أقوى منا، ولديهم المقدرة على تدميرنا، ونحن أناس أقوياء جدًا ولدينا المقدرة على ضرب السد العالى بالقنبلة الذرية، وإذا لم نأخذ فى اعتبارنا هذا المزج يمكن أن يختلط علينا الأمر .

* * *